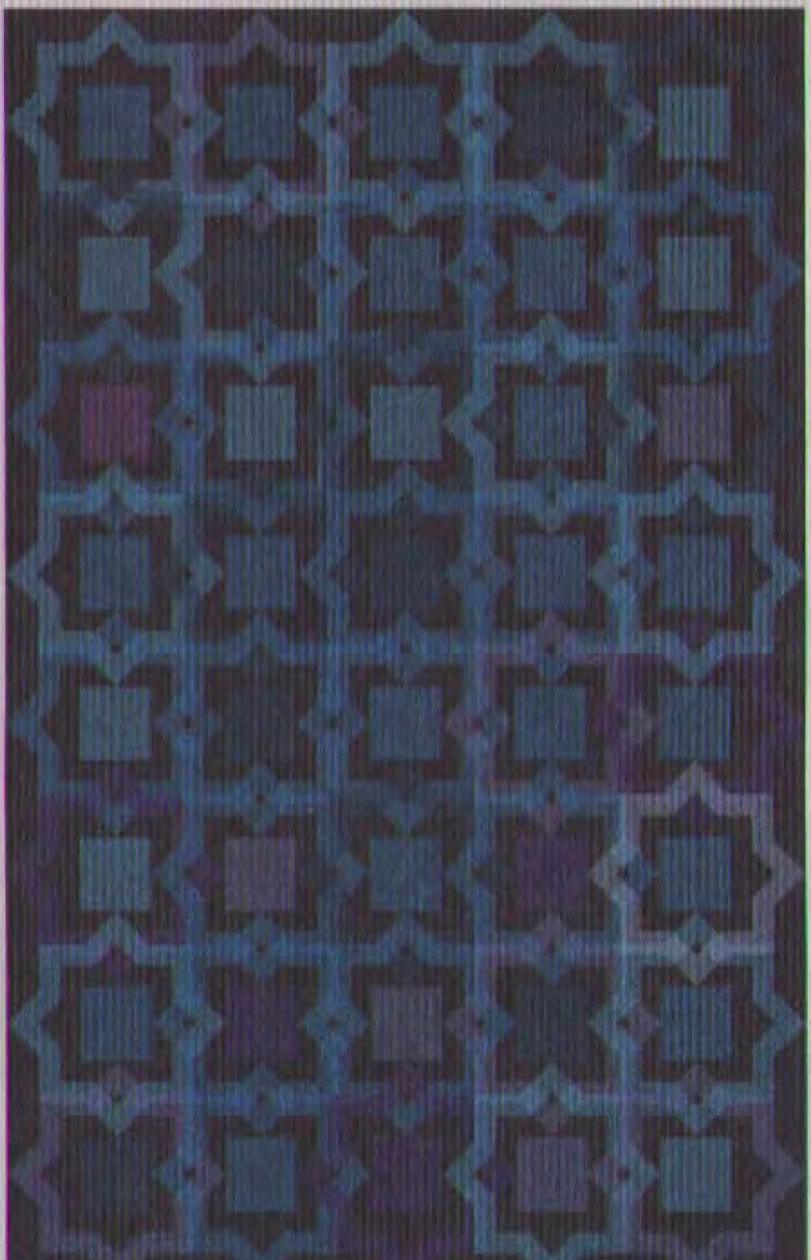
عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



حكمة الشرق وعلومه

دراسة العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر

(الجزء الأول)

جيرالد جيمس تومر

ترجمة: أحمد الشيمي

المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

حكمة الشرق وعلومه

دراسة العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر

(الجزء الأول)

تأليف: جيرالد جيمس تومر
ترجمة: أحمد الشيمي

مايو 2017
448

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي:
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب: 28613 - الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت
هاتف: (965) 40713422
www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ
وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 554 - 9

العنوان الأصلي للكتاب

Eastern Wisdome and Learning

The Study of Arabic in Seventeenth-Century England

By

G. J. Toomer

Oxford University Press, 1996

First Edition was originally published in English in 1996. This translation is published by arrangement with Oxford University Press.

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

شعبان 1438 هـ ـ مايو 2017

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر
عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المحتوى

شكر وعرفان 9

إجراءات التحرير 13

مقدمة المُترجم 15

المقدمة 23

الفصل الأول 31
بيئة العصور الوسطى

الفصل الثاني 39
دراسة العربية في أوروبا في أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر

الفصل الثالث 77
البدايات الأولى لدراسة العربية في إنجلترا

الفصل الرابع 131
لود والعربية في أكسفورد

الفصل الخامس 143
البدايات الأولى لجهود بوكوك

الفصل السادس 155
غريفز وبوكوك في الشرق

الهوامش 177

بِبليوغرافيا 221

شكر وعرفان

لم يكن هذا الكتاب ليظهر إلى النور لولا جهود عدد كبير من المؤسسات والشخصيات التي أريد الآن أن أثبت شكري لهم وعرفاني بجميلهم. من هذه المؤسسات كلية كوربس كريستي في جامعة أكسفورد، وأنا أفخر بأنني كنت - كما كان إدوارد بوكوك قبلي- طالبا في هذه الكلية ثم معيدا بها؛ فهي التي قدمت لي منحة تفرغ في العام 1990 أتاحت لي فرصة استثمار الوقت في أكسفورد ومكتبتها، والاطلاع على الجزء الأكبر من الكتابات والوثائق المتصلة بالموضوع، وهي كتابات ووثائق كثيرة جدا. وأريد أيضا أن أثبت شكري الخاص للعون الكبير الذي تلقيته من هيئة العاملين في مكتبة البودليان، كما أنني تشرفت بالحصول على إذن بالاطلاع في مكتبات جامعة كيمبردج، ومدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، والمكتبة البريطانية، ودار الوثائق القومية. أريد أيضا أن أعبر عن شكري وامتناني للسيد جون فيلد أمين مكتبة مدرسة ويستمنستر الذي أطلعني على مكتبة بوسبيBusby ، وكذلك للسيد ستيفن غريغوري، أمين مكتبة كلية سيون؛ فقد أعانني على الاطلاع على المخطوطات الشرقية، والحصول على نسخ من المخطوطات النادرة في المكتبة. كذلك أشكر أمين مكتبة جامعة شفيلد لأنه أتاح لي الاستفادة من أوراق هارتلب Hartlib Papers. وأتوجه أيضا بالشكر إلى كل من أتاح لي الاطلاع على المصادر التي تضمها مكتبتا جامعتي براون وهارفارد مما كان لـه العون الكبير لي على إتمام المهمة. أشكر أيضا العاملين في مطبعة جامعة أكسفورد، خصوصا ريتشارد جفري Richard Jeffery ومايكل بلسن Michael Belson لاهتمامهما الاستثنائي بهذا الكتاب.

أريد أيضا أن أشكر الدكتورة مونيكا أزتالوس Monika Asztalos، والسيد أيان كرستي ميللر Ian Christie-Miller، والأستاذ الدكتور هانز ديبر Hans Daiber، والدكتور ديفيد هوارث David Howarth، والأستاذ الدكتور مايكل هنتر Michael Hunter، والدكتور ج. روبـــرت جونـــزRobert Jones، والدكتور جورج مــولاند George Molland، والدكتور لورنس برنسيبه Lawrence Principe،

الذي لم يتأخر في الإجابة عن أسئلتي واستفساراتي، وإرسال ما كنت أطلبه من صور الوثائق والمواد المطبوعة. وأشكر أيضا السيد رايك سمتسكام Rijk Smitskamp الذي استفدت من معرفته النادرة بالخط العربي القديم، إلى جانب تزويدي بالكثير من المطبوعات المفيدة. والشكر الخاص أيضا للأستاذ الدكتور آلاستير هاملتون Alastair Hamilton الذي أمدني بأبحاثه المنشورة، وكذلك بنسخة من مقاله الذي كتبه عن أبي دقن Abudacnus قبل نشره. أشكر أيضا زملائي ومنهم: الأستاذ الدكتور أوين غنغريتش Owen Gingerich، فقد أمدني بنسخ من منشورات من القرن السابع عشر، والأستاذ الدكتور وليام نيومان William Newman، فقد أمدني بمعلومات عن أشخاص عاشوا في تلك الفترة لم أكن أعرف عنهم شيئا، وكذلك أشكر الأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم صبرة(*)؛ لأنه ساعدني في توفير وثائق مكتوبة باللغة العربية العامية. وقد أمضى جوناثان زاكس Jonathan Sachs وقتا وجهدا كبيرين في تصميم صورة الغطاء الورقي للغلاف. والحق أنه من المستحيل أن أعدد المواضع الكثيرة في هذا الكتاب التي استفدت فيها من النقاش مع الأستاذ الدكتور موردوخاي فاينغولد Mordechai Feingold ، الذي كان كريما معي كرما لا أستطيع الوقوف على حدوده، خصوصا: حين أتاح لي الفرصة لاستثمار معرفته التي لا تُبارى بالمناطق المجهولة في تاريخ إنجلترا الفكري في القرن السابع عشر، وحين كان يعيرني كتبا من مكتبته، ويشير عليّ بكتبٍ أخرى ووثائق متصلة بموضوع بحثي، كما أن الدكتور موردوخاي شرفني بقراءة مسَوَّدة الكتاب كلـه والتعليق عليها. الآن أريد أن أشكر الرجل على كل ما قدمه في سبيل إتمام هذا الكتاب، شكرا مصحوبا بالامتنان والعرفان بالجميل.

(*) عبدالحميد إبراهيم صبرة (1924 - 2013) أستاذ تاريخ علوم وتكنولوجيا مصري، متخصص في تاريخ البصريات والعلم الإسلامي في العصور الوسطى. حصل صبرة على شهادته الجامعية من جامعة الإسكندرية، ثم درس فلسفة العلوم على كارل بوبر في جامعة لندن، حيث حصل على درجة الدكتوراه في العام 1955 عن أطروحة في علم البصريات في القرن السابع عشر. درّس في جامعة الإسكندرية بين العامين 1955 - 1962، ثم في معهد «فاربورغ» بين العامين 1962 - 1972، وفي جامعة هارفارد من العام 1972 حتى تقاعده في العام 1996، وفي بحثه حول «الاعتماد وتطوير العلوم اليونانية على أيدي المسلمين في العصور الوسطى»، عارض نظريات «بيير دوهام» التي تقول إن الثقافة الإسلامية لم تضف إلى، أو حتى تحافظ على، العلوم اليونانية القديمة، ولكنها استخدمتها فقط. تعرف - أحيانا - نظريته بشأن انتقال الثقافات عبر اللغات بشكل غير رسمي باسم «نظرية صبرة». في العام 2005، منحته جمعية تاريخ العلوم ميدالية جورج سارتون عن مجمل أعماله في تاريخ العلوم (المترجم، عن موسوعة ويكيبيديا الحرة).

وقبل كل ذلك وبعده، أود أن أعبر عن تقديري العميق، وشكري الجزيل لكل ما قدمته زوجتي العزيزة جانيت ساكس تومر Sachs-Toomer، مما أسهم في تحقيق المشروع وخروجه إلى النور. فقد كانت تقرأ كل ما أكتب كلمة كلمة بعد أن أفرغ من كل فصل من فصوله، أو حتى كل صفحة من صفحاته، وهي تتمتع بقدرة فائقة على تصويب الأخطاء، واكتشاف الزلات الكثيرة، والتعبيرات غير المواتية. أضف إلى ذلك أنها لم تضن عليّ بدعم أو صحبة أو تشجيع في أي مكان شددنا إليه الرحال، وفي كل مرحلة من المراحل التي مررت بها في أثناء إنجاز هذا الكتاب. باختصار: أريد أن أقول إن حظها من هذا الكتاب يعادل حظي منه لقاء ما أدّت من الجهد.

جيرالد جيمس تومر

لقد تدهور هذا البلد تدهورا يدعو إلى الرثاء، وفقد شهرته العظيمة التي كانت تنطلق من مجرد ذكر اسمه، وفقد أيضا رصيده الضخم الذي كان يمتلكه ذات يوم في مجال الحكمة الشرقية وتَعَلُّمِها، وراح يتبع حركة الشمس المتجهة ناحية الغرب.

(من رسالة روبرت هنتنغتون التي أرسلها من حلب إلى جون لوك، في الأول من أبريل في العام 1671).

إجراءات التحرير

جميع المراجع التي تشير إلى المخطوطات، فيما عدا ما يتم التنويه عنها، مراجع إلى مخطوطات في مكتبة البودليان.

قد تغمض تواريخ القرن السابع عشر على القارئ اليوم، فبعد التعديل في التقويم الغريغوري في العام 1582 أصبح التاريخ في الجزر البريطانية أبكر بعشرة أيام منه في أغلب الدول الأوروبية(*)، فيوم 14 ديسمبر 1615 في إنجلترا مثلا يقابله يوم 24 ديسمبر 1615 في هولندا أو فرنسا. ولذلك فالتواريخ الواردة في هذا الكتاب تجري وفق مناطق الأحداث، فالرابع عشر من ديسمبر، تقويم قديم لحادث جرى في إنجلترا، وهو تقويم جديد (أي أبكر بعشرة أيام) لحادث جرى في هولندا. في أغلب الحالات لا يكون الفرق مهما جدا، وفي بعض الأحيان يرد التاريخ مزدوجا مثل: 24/14 من ديسمبر (وعادة يكون هو التاريخ الذي وجدناه على الوثيقة المشار إليها). ولكن الصعوبة تكمن في أن السنة الجديدة في إنجلترا في أثناء القرن السابع عشر كانت تبدأ في 25 مارس، فنجد أن حادثة إعدام الملك تشارلز الأول في الثلاثين من يناير (1649 بالتقويم الجديد) يصبح في العام 1648 وفق التقويم المعاصر. على كل حال استخدمت التقويم الحديث للسنة من الأول من يناير.. إلخ. بينما نحتفظ بالتقويم القديم بالشهر واليوم للأحداث الإنجليزية، فيكون هذا التاريخ هو الثلاثين من يناير للعام 1649 وليس الثلاثين من يناير للعام 1648 (كما قد يفعل الإنجليزي المعاصر)، وليس 9 فبراير 1649 (مثلما يتوقع من الهولندي المعاصر). وأحيانا نذكر - فيما يتصل بالتواريخ بين الأول من يناير والرابع والعشرين من مارس، التاريخ السنوي بشكل ثنائي 9/1648 (وهو ما يوجد في الوثيقة نفسها).

وأما المقتطفات من الكتب والوثائق المعاصرة فقد أوردناها بتهجيتها وترقيمها كما هي في الأصل.

(*) انطبق ذلك مباشرة على أوروبا الكاثوليكية كلها، وكثير من الدول البروتستانتية بعد ذلك، مع بعض الاستثناءات في ألمانيا البروتستانتية والمناطق الإسكندنافية.

مقدمة المترجم

> «كان العرب النموذج الذي كان يؤمل أن تحذو إنجلترا حذوه: القدرة غير المقصورة على قوة السلاح بل معها الخيال المبدع».
>
> جون ملتون

يُعد هذا الكتاب من الدراسات النادرة التي تحتاج إلى جهد كبير؛ فهي ضرب من تاريخ الفكر، أو تاريخ الترجمة، وهما من العلوم التي تحتاج إلى مستوى متقدم من آليات البحث العلمي، وإلى ضرب من السياحة الفكرية والمكانية التي قلما يُقبل عليها الباحثون لما تتطلبه من جهد كبير ومال وفير، ومعرفة عميقة باللغات القديمة والحديثة. لم أعثر إلا على دراسة واحدة قام بها الدكتور محمد المقداد، وتفضلت «عالم المعرفة» - مشكورة - بنشرها في العدد الرقم 167 للعام 1992 بعنوان: «تاريخ الدراسات العربية في فرنسا»، ودراسة قَيِّمة أخرى قام بها الأستاذ الدكتور أحمد عتمان بعنوان «المنجز العربي الإسلامي في الترجمة وحوار الثقافات: من بغداد إلى طليطلة»، وهي منشورة في هيئة الكتاب المصرية (2013)، وهذا لا يعني أنني ألممت بالكتب التي صدرت في هذا الموضوع إلماما تاما؛ فالحق أن الكتب التي أصدرها الغرب في مجالي تاريخ العلوم العربية وتاريخ الترجمة العربية في أوروبا ليست قليلة، وموزعة عبر القرون، ويستطيع القارئ أن يلتمس هذه المعرفة في

هذا الكتاب الذي ننقله الآن إلى العربية، وخاصة في الفصل الأول، وكذلك في قائمة المراجع الأجنبية الملحقة في آخر الكتاب. يستطيع أن يلتمسها أيضا في كتاب الدكتور أحمد عثمان الذي ذكرناه، على الرغم من أن الدكتور جيرالد تومر، مؤلف هذا الكتاب الذي نترجمه الآن، يشكو في مقدمته من قلة الكتب الأوروبية التي تتناول الدراسات الشرقية في الغرب عموما، ودرس العربية خصوصا، فهو يقول بالحرف: «وما يدعو إلى الرثاء حقا ندرة الكتب التي تتناول تاريخ العلوم العربية في أوروبا تناولا شاملا، وما يتصل بذلك من موضوعات بدءا من القرن السادس عشر وما تلاه في فرنسا، ولو توافرت هذه الكتب لما كانت تقدر بمال».

يركز هذا الكتاب على درس العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا. ويذكرنا الكاتب – في الفصل الأول – بدراسة العربية في أوروبا في العصر الوسيط، ويذكرنا أيضا بدراسة العربية في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر على الإجمال، ثم يتحول إلى التركيز على دراسة العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا. ومعروف أن القرن السابع عشر من أهم القرون في التاريخ الأوروبي عامة، والتاريخ الإنجليزي خاصة. ففي القرن السابع عشر بدأت الأمة الإنجليزية تشق طريقها بين الأمم الأوروبية الحية، وبدأت تتجاوز عصر النهضة بما فيه من تقلبات وتغيرات، إلى بدايات عصر الحداثة الفعلي، فقد تطور نظام الحكم ليتجاوز النظام القبلي ضيق الأفق، إلى نظام «الدولة» بما تعنيه من مشاركة الأطراف الثلاثة في الحكم، وهي: البرلمان الذي يمثل الشعب، والحكومة التي يختارها الشعب أو البرلمان، والدستور الذي يقوم حكما بين الشعب والبرلمان، أو المتخاصمين على اختلاف مشاربهم. وقد انتهى النصف الثاني من القرن السابع عشر فإذا لإنجلترا نظام ملكي لا يحكم بمبدأ حق الملوك الإلهي، بل يحكم من خلال البرلمان الذي يختاره الشعب، ودستور يؤلفه الشعب الإنجليزي مستمد من القيم الدينية العامة التي لا تجري على النقيض من القيم الإنسانية العامة. لقد اندلعت في إنجلترا القرن السابع عشر ثورتان كبيرتان: الأولى في العام 1642 قادها أولِيفر كرومِول ألغى فيها الملكية حتى العام 1659، وظهرت إنجلترا في أثناء تلك الفترة كقوة عسكرية يُعمل لها حسابٌ كبيرٌ منذ كوّن كرومِول جيشا حديثا تخشاه الأمم الأخرى، ثم ثورة أخرى بيضاء يسمونها «الثورة المجيدة» في العام 1688، قضت على كل آمال الملكيين في الحكم على أساس حق

الملوك الإلهي، وبعد أن هزم الأسطول الإنجليزي الأسطول الإسباني الذي كان يُسمى «الأرمادا» في العام 1688، نشطت التجارة مع دول العالم الأخرى، وأصبح المصدرون والمستوردون الإنجليز يجوبون العالم شرقا وغربا. وفي مجال العلوم نشطت العلوم الطبيعية، ولم يكد العام 1660 ينتهي حتى تشكلت «الجمعية الملكية للنهوض بالعلوم الطبيعية»، يجتمع أغضاؤها كل أسبوع للتشاور في شأن العلم، وإجراء التجارب، ورأسها نيوتن (1642 - 1727) فترة ما. وخفت وطأة التناقض بين العلم والدين في إنجلترا القرن السابع عشر، واستطاع المفكرون الأحرار التقليل من شأن المعارضة الدينية، والانتصار للعقل في وجه الخرافة والتطرف.

ومن الطبيعي أن تجد العربية من يهتم بها في أوروبا عامة وبريطانيا بصفة خاصة في القرن السابع عشر، فقد شهد ذلك القرن ازدهارا للتجارة بين الغرب والعالم الإسلامي بصفة عامة، وكانت بريطانيا - في تلك الفترة - تقيم علاقات تجارية مع عالم إسلامي قوي. كان العالم الإسلامي - في ذلك الوقت وقبله بقرون - هو العالم الذي ينشر أضواءه الثقافية والعلمية في كل مكان، وكانت أوروبا عموما وبريطانيا خصوصا تلهث وراء علوم العربية وآدابها. ويخبرنا البروفيسور نبيل مطر في كتابه: «الإسلام في بريطانيا من العام 1558 إلى العام 1685» المنشور في جامعة كيمبردج العام 1998، والصادرة ترجمته عن المشروع القومي للترجمة (مصر العام 2002)، بأن القرن السابع عشر كان من أهم القرون في تاريخ إنجلترا من ناحية ازدهار التجارة بينها وبين العالم الإسلامي عامة والعالم العربي خاصة، وأن بريطانيا في تلك الفترة كانت تقيم علاقات تجارية مع عالم إسلامي قوي من الناحية العسكرية والاقتصادية، ويذكر الكاتب أن الملك تشارلز الأول كان مغرما بجمع المخطوطات العربية والفارسية. وفي العام 1649 ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم لروبرت روس، وبعد إعدام الملك تشارلز الأول، وهيمنة المتطهرين بقيادة كرومول، كثرت الإشارة إلى الإسلام والمسلمين، وكان أعداء كرومول يهاجمون الثوار لاحتقارهم رجال الدين، وازورارهم عن تعاليم الكنيسة الإنجليكانية الرسمية، وكانوا يقولون لهم: «فليقرأ المسيحيون شريعة أتباع محمد، ولينظروا في تاريخهم، وسيتوارى المسيحيون خجلا حين يدركون احترام المسلمين لعقيدتهم، وحفاظهم على شعائرها، وإخلاصهم في أدائها، وغيرتهم عليها، وسرعتهم في نجدة الفقراء، وحفاظهم على نظافة مساجدهم،

وتوقيرهم للكبار، وطاعتهم لمشايخهم، حتى إن السلطان العثماني نفسه لا يُنفذُ أمرا من دون العودة إلى مفتي الديار». يقول نبيل مطر في كتابه: «وليس ثمة من شك في أن العالم المسيحي كان قد بدأ في القرن السابع عشر ثورة في العلوم والتكنولوجيا والمؤسسات السياسية أدت في نهاية الأمر إلى التفوق على إمبراطوريات الإسلام الثلاث في تركيا وفارس والهند، غير أن حضارة العربية التي وحدها العثمانيون ظلت تشغل البريطانيين من مختلف الخلفيات الفكرية والاجتماعية، فطلاب أكسفورد وكيمبردج - حيث أُوجِدت كراسي العربية في ثلاثينيات القرن السابع عشر في كلتا الجامعتين - كانوا يدرسون الفروع العربية من العلوم الإسلامية، وكما ذكر أحد الكتّاب فإن العربية كانت هي اللغة التي تُكتَب بها كتب الفيزياء والتنجيم والبلاغة. وعندما كان جون ملتون لايزال شابا في ثلاثينيات القرن وصف في «المقال التمهيدي السابع» كيف أن العرب شقوا الطريق لحضارتهم الفخمة ليس بالسيف وحده، بل أيضا بالقلم». ثم يمضي ملتون في القول: «لا يفوتني أن أتذكر أن العرب... وسّعوا إمبراطوريتهم بدراسة الثقافة الحرة قدر ما وسعوها بقوة السلاح... كان العرب النموذج الذي كان يؤمل أن تحذو إنجلترا حذوه: القدرة غير المقصورة على قوة السلاح، بل معها الخيال المبدع. وعندما أثنى أبراهام كاولي على توماس هوبز قرن المفكر الإنجليزي ثناءه بالفلاسفة الذين كتبوا بالعربية مثل ابن رشد وابن سينا وابن باجة، الذين أخرجوا «كثيرا من الكتب الممتازة» عن أرسطو... وكان السير توماس براون كثير الاستشهاد بابن سينا وابن رشد».

ولكن اهتمام الأوروبيين عامة والبريطانيين خاصة بالعربية وعلومها وتَعَلُّمِها لا يعود إلى القرن السابع عشر فقط، بل بدأ في أواخر القرن التاسع الميلادي، حين أُنشِئت الدولة الأموية في شبه جزيرة أيبيريا، وأنشأ المسلمون هناك جامعة قرطبة، وزودوها بمكتبة ضخمة، وأقبل طلاب العلم - كما يقول تشارلز بِنِت في كتابه المعنون بـ «دخول العلم العربي إلى إنجلترا» (المكتبة البريطانية، 1997) - إلى الأندلس من كل حدب وصوب، ما أدى إلى ازدهار علوم الرياضيات والفلك بفضل جهود علماء مسلمين من مثل: مسلمة المجريطي المتوفى في العام 1007، الذي كتب «رسالة في الأسطرلاب»، و«تمام علم العدد»، و«اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني»، وطوّر جداول الخوارزمي، وأضاف إلى ترجمة «المجسطي»، وكتاب

بطليموس في الفلك. بدأت هذه المعارف تتدفق، كما يقول بِنِت، إلى حاضرة كاتالونيا المجاورة، ومنها إلى سائر أنحاء القارة الأوروبية، والجزر البريطانية على الأخص. فها هو أديلار الباثي Adelard of Bath في مستهل بحثه في آلة الأسطرلاب والكون، يوجه خطابه إلى الدوق هنري، ملك المستقبل، الملك هنري الثاني بهذه الكلمات في العام 1150: «أوافقك تماما على أن شرف الملوك وعزتهم لا يتحقق إلا بتَعَلُّم الفنون الليبرالية، وأرى أن الاشتغال بشؤون السياسة ينبغي ألا يصرف عقل الأمير عن هذه الدراسات، ولا بد أن الأمير هنري، وهو الابن الأكبر للملك، قد أحاط عقله بما في كتب الفلسفة التي أنتجها اليونانيون والرومان، وعليك الآن بما كتبه العرب في شؤون الكون، والأفلاك، وحركات النجوم والكواكب. فقد سمعتك تقول: من يعش في منزل من دون أن يعرف كيف أنشئ، وما مساحته، وما أجزاؤه، لا يستحق العيش في هذا المنزل. فلنقرأ العربية، ولنكتب باللاتينية ما نعرفه منها عن العالم وأجزائه».

بدأ تَعَلُّم العربية - إذن - في بلاط الملك هنري الثاني (1133 - 1189)، وهو العهد الذي بدأت فيه إنجلترا تأسيس جامعة أكسفورد. يقول بِنِت حول هذا الموضوع: «كانت الدراسات العربية غاية الباحثين الغربيين، والمعلمين الإنجليز، وخاصة أولئك الذين كانوا يقومون على تربية أبناء القصور الملكية، وتثقيف الموظفين في بلاط الملك هنري الثاني. وقد ذكرت في هذه المحاضرة اثنين من كبار قضاة الملك وهما: روجر الهرفوردي ودانيال من مورلي. أريد في هذه المحاضرة أن أقترب أكثر من العمل الوحيد الذي وصل إلينا للعلامة الثاني دانيال من مورلي، وهو الذي أهدى كتابه الذي سماه «حب الحكمة» لـجون الأكسفوردي، أسقف نوريتش في الفترة بين العامين 1175 و1200، وربما كان الإهداء الذي ذكرناه قد كُتِب في وقت مبكر في هذه الفترة كما سنرى. كتب دانيال: «عندما خرجت - من فترة - لطلب العلم توقفت في باريس، وهناك رأيت حميرا في ثياب رجال يجلسون على كراسي العلم، ويتظاهرون بأنهم أهم خلق الله. كانوا يجلسون إلى مكاتب من الخشب يئن كلُ مكتب منها تحت سفر أو سفرين ثقيلين من هذه الأسفار الثقيلة الجاثمة في أمكنتها من دون حراك، وقد كُتِب عليها بماء الذهب عبارة «القانون الروماني». كانوا يمسكون في أيديهم أقلاما معدنية، ويرسمون بها علامات على هيئة نجوم، وعلامات قسمة هنا وهناك، وكل ذلك بشيء كثير من الوقار والجدية التي تصل

إلى التجهم. ولكن جهلهم لم يجعل منهم ما هو أفضل من تماثيل الرخام: أرادوا أن يظهروا بمظهر الحكماء بالصمت وحده، ولا يكادون يفتحون أفواههم بشيء، حتى يدركهم العي والحصر، ولا يعربون. وعندما عرفت حالهم، نأيت بنفسي بعيدا عنهم، لئلا يصيبني ما أصابهم من التحجر، وقلقت من إهمال العلوم الليبرالية التي كانت كفيلة بتفسير الكتاب المقدس، فقد أهملوها، ولم يسمحوا لها بأن ترى النور، إلا في أوراق الامتحانات الكئيبة. ولما سمعت عن عقيدة العرب، التي تشجعهم على معرفة الرباعية التعليمية quadrivium (الهندسة والفلك والحساب والموسيقى)، والتي كانت تُدرّس في طليطلة في تلك الأيام، كنت أسافر إلى هناك كلما استطعت إلى ذلك سبيلا، لعلي أسمع من أكثر فلاسفة العالم ثراء بالمعرفة والحكمة... وفي نهاية المطاف طلب مني زملائي أن أعود من إسبانيا، ووصلت إلى إنجلترا، أحمل معي الكثير والكثير من الكتب النادرة، والمخطوطات الثمينة».

ويصل الكاتب إلى نتيجة مُفادها أن الكتب التي جلبها دانيال المورلي من إسبانيا كانت نواة مكتبة جامعة أكسفورد التي ربما بدأت إرهاصاتها الأولى في أواخر القرن الحادي عشر، وربما بدأت فعليًا في عهد الملك هنري الثاني، بعد أن أمر الطلاب الإنجليز بالعودة من جامعة باريس بعد معارك نشبت بينهم وبين الفرنسيين. وكانت جامعة أكسفورد إرهاصا لإنشاء جامعة كيمبردج بعد ذلك، التي تأسست في العام 1209. في هذا الفصل يروي الكاتب قصة إنشاء كرسي اللغة العربية في كلتا الجامعتين الكبيرتين، خصوصا في القرن السابع عشر، يكشف جون ورثنجتون في إحدى رسائله لجون بِـلْ عن موقفه فيما يتصل باللغات الشرقية، يقول: «فيما يتصل بالكتب التي نريدها في اللغات الشرقية، والتي من دونها يضعف مردود الجهد المبذول في دراسة النحو، أريد أن أقول: إن سعيي إلى فقه تلك اللغات قد فَتُر عند التفكير في هذا الأمر، وإن الكتب المطبوعة لا توجد، ولا يوجد إلا المخطوطات، والتي يُحتَفظ بها ولا تُتَاح لجمهور القراء، وإني لا أقدم على ركوب الصعاب، واقتناء المفاتيح إذا كنت أعرف أن الكنز غير موجود. تمنيت كثيرا أن نفهم أن تقدمنا في هذه الدراسات يحتاج إلى تضحية بالوقت والجهد، وأن واجبنا دفع بعض الموهوبين إلى دراسة هذه اللغات، وتشجيعهم على السفر إلى مصر وبلاد فارس وما إلى ذلك من الأقطار الشرقية، ليتمكنوا من شراء هذه الكنوز الفكرية التي تفيدنا في إثراء المعرفة عندنا، فليس

من المستساغ أن ينصب اهتمامنا على أصماغهم وتوابلهم، مما يضيف إلى بذخنا وغرورنا، أكثر من اهتمامنا بفكرهم، وما يحتفظون به في خزائنهم من قديم التراث الذي كان فخر عصورهم».

ينقسم هذا الكتاب - الذي ستصدُر ترجمته في جزأين - إلى عشرة أبواب، تضم ثمانية وخمسين فصلا. تُعدُّ الأبواب الثلاثة الأولى بمنزلة التمهيد لسرد تاريخ دراسة العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر؛ فيتناول الباب الأول دراسة العربية في أواخر العصور الوسطى، وهو العصر الذي ازدهرت فيه الترجمة العلمية من العربية إلى اللاتينية، ونشط فيه المبشرون المدافعون عن المسيحية، ويتناول الباب الثاني دراسة العربية في أوروبا في أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، وذلك في إسبانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا والبلاد المنخفضة. وأما الأبواب من الثالث إلى العاشر فتتناول ازدهار دراسة العربية في إنجلترا على يد علماء مثل: بِدوِل وسِلدِن وبينبردج وجون فِكَرز وأشر ولود وبوكوك وغريفز ورافيوس وجون بِلْ وصامول كلارك وتوماس هايد وكاستل وتوماس مارشال وإدوارد بوكوك الابن وغيرهم، وفيها أيضا أسباب ضعف هذه الدراسة في أوروبا عموما وإنجلترا خصوصا في أواخر القرن السابع عشر، وأوائل القرن الثامن عشر. يقدم الكتاب فرصة للباحثين الذين يريدون رصد هذه الدراسات، والتعرف على رحلة المخطوطات المتصلة بتراثنا، والمنجز العربي في مجال نقل الحضارة اليونانية والرومانية إلى اللغة العربية، وكيف استفاد الغربيون من هذا النقل بعد يأس من العثور عليها في نصوصها الأصلية، ولكن العرب لم يكتفوا بالنقل في تلك الأزمنة، بل شرحوا هذه الحضارة وفسروها كما فعل ابن رشد الذي لم يكتف بنقل فلسفة أرسطو إلى العربية، بل فسرها وأضاف إليها. يقول الدكتور أحمد عتمان: «وتشبه حركة الترجمة العباسية من القرن الثاني إلى الرابع الهجري (القرن الثامن - العاشر الميلادي) في روحها العام ما حدث في عصر النهضة الأوروبية، ولا يمكن تصور مصير الحضارة الإسلامية ولا مصير التاريخ العالمي لو لم تؤت هذه الحركة أُكُلَها، حيث هضمت التراث الكلاسيكي وتبنت بعض قيمه العليا. لقد تبنى الإسلام كذلك روح الدرس والبحث العلميين كما عرفه المصريون القدامى والهنود والفرس والإغريق، وهكذا يُعد المسلمون ورثة الحضارات القديمة الأساسية التي عرفتها البشرية».

يرى القارئ في هذا الكتاب كيف كان الأوروبيون يحرصون الحرص كله على معرفة اللغات الشرقية عامة، واللغة العربية بنوع خاص، وكيف كانوا يرحلون من بلادهم إلى أقصى الشرق بحثا عن المخطوطات العربية، وكيف شيدوا الجامعات والمعاهد التي تهتم بدراسة العربية، وهي جامعات ومعاهد لاتزال قائمة إلى اليوم تشهد بجهود أولئك الأفذاذ الذين لم يكن لهم غرض إلا الرقي بالعلم من أجل رفعة أوطانهم ومجدها.

يمكننا أن نقول بشيء من الفخر: إن هذا البحث صفحة من صفحات اللغة العربية، وفي الوقت نفسه صفحة من صفحات تاريخنا الثقافي والمعرفي، يصور فيه كاتبه عهودا كان العالم يسعى فيها إلى المعرفة بالثقافة العربية، حين كانت العربية وسيلة كل ساعٍ إلى المعرفة، ومقصد كل محتاج إلى العلوم التي كانت لا تُلتَمس إلى من خلال لغتنا الجميلة.

وأخيرا، فقد أرسلت إليّ «عالم المعرفة» مشكورةً، بالرسالة التي تلقتها من الأستاذ الدكتور جيرالد جيمس تومر مؤلف الكتاب، وفيها قائمة ببعض تصويبات وملاحظات يقترح إضافتها إلى الترجمة العربية، إما في متن الكتاب وإما في ورقة منفصلة، وقد آثرت أن أدرجها في متن الكتاب وليس في ورقة منفصلة؛ فلا يرتبك القارئ، أو ينقطع تسلسل فكره. وقد وضعت تصويبات تومر وملاحظاته بين علامتي تنصيص، وأشرت إليها في هامش بعلامة(*) لتذكرة القارئ بأنها طارئة على الترجمة والعمل الأصلي أيضا.

د. أحمد الشيمي

11 فبراير 2016

المقدمة

«مــن يتأمــل فيــما كُتــب من دراســات عن تاريخ الدراســات الشرقيــة، وخصوصا الدراســات المتصلة بالعربيــة في أنحاء كثيرة من القــارة الأوروبية، يكشــف عن ثــروة كبــيرة مــن المقالات المغرقة في التفاصيل، ويكشــف - في الوقت نفســه - عــن ندرة في التناول الشــامل».

كان لا بد من وضع موضوع هذا الكتاب، وهو «دراسة العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر»، في سياق الجهود المماثلة في أنحاء أخرى من القارة الأوروبية في أثناء الفترة نفسها وقبلها بقليل. ومن هنا جاء الفصل الثاني ليكون مسحا شاملا للدراسات العربية في أقطار أوروبية أخرى في أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، مع اضطرارنا إلى حذف كثير من التفاصيل. وكان عليّ أن أُعوض هذا الحذف، فعمدت إلى الإكثار من الرجوع إلى أعمال آخرين (وهو ما يتكئ عليه هذا الجزء من كتابي بشكل خاص). وفيما يتصل بتاريخ الدراسات العربية في أوروبا بصفة عامة لم أجد غير كتاب واحد هو كتاب فوك Fück المعنون بـ : «الدراسات العربية في أوروبا»(*)، وعلى رغم أنه منشور في العام 1955، فإن الجزء الأول منه، الذي يتناول - في الأساس - فترة العصور الوسطى والقرنين السابع عشر والثامن عشر، إعادة لطبع مقال أسبق كُتب في العام 1944. والحق أن ما قدمه الكتاب لحقته كثير من الدراسات الزاخرة بالتفاصيل،

(*) Die arabischen Studien in Europa.

والتي ظهرت في خلال السنوات الخمسين المنصرمة، بيد أن الكتاب نفسه لا يُعَوَّض. وعلى رغم أن أوجه القصور التي يعانيها الكتاب تعود إلى منهجه الذي يقترب من أسلوب كتابة السيرة، فإنه في النهاية كتاب ثري بالمعرفة، وحافل بالحكمة. وبالنسبة إلى القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر فإن الكتاب الأخير الذي ألّفه جون روبرت جونز والمعنون بـ «تَعَلُّمْ العربية في عصر النهضة في أوروبا»(*)، يزود القارئ بكثير من المعرفة الماتعة، غير أنه يدور في مجال الدراسات النحوية واللغوية العربية فقط. أما فيما يتصل بأواخر القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر فإن كتاب كارل داننفلد Dannenfeldt المعنون بـ «رواد النزعة الإنسانية في عصر النهضة وازدهار العلوم العربية»(**)، يُعَدُّ مسحا أكثر شمولا بكثير على رغم سطحيته، ويحفل بكثير من المراجع المفيدة. وأيضا كتاب ليفي ديلا فيدا Levi della Vida فائق الحِرفية، والمعنون بـ «بحث في إنشاء أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان»(***)، ويضم كثيرا من المعلومات القيمة التي تتصل بالدراسات العربية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ليس في إيطاليا وحدها، بل في سائر الأقطار الأوروبية أيضا.

من يتأمل فيما كُتِب من دراسات حول تاريخ الدراسات الشرقية، وخاصة الدراسات المتصلة بالعربية في أنحاء كثيرة من القارة الأوروبية، يكشف عن ثروة كبيرة من المقالات المغرقة في التفاصيل، ويكشف - في الوقت نفسه - عن ندرة في التناول الشامل. البلد الوحيد الذي توجد به دراسات تحقق الحد الأدنى من الرضا هو هولندا، حيث كتب جُنبول Juynboll كتابا سمّاه: «دراسات العربية في هولندا في القرن السابع عشر»(****)، ويمد القارئ بما يمكن أن نسميه التناول المفيد على رغم سطحيته[1]، ولا توجد في إيطاليا كتب مفيدة تتناول الدراسات العربية. أما كتاب كولوميزيوس Colomesius الذي نُشر بعد وفاته

(*) Learning Arabic in Renaissance Europe.

(**) The Renaissance Humanists and the Knowledge of Arabic.

(***) Ricerche sulla formazione del più antico fondo dei manoscritti orientali della Biblioteca Vaticana.

وسيشار إلى هذا الكتاب بعد ذلك باسم «بحث» Ricerche. [المترجم].

(****) Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars van het Arabisch in Nederland.

بعنوان: «إيطاليا وإسبانيا والشرق»(*)، فهو كتاب زهيد القيمة، ضحل المعلومات، وما يحتويه من معرفة يمكن أن نجدها بيسر في كتاب آخر لمؤلف آخر يُدعى جوبيرناتيس Gubernatis بعنوان: «تاريخ الدراسات الشرقية في إيطاليا»(**)، وحتى هذا الكتاب ينطوي على معلومات مبعثرة، والتوثيق فيه ضعيف. وما يدعو إلى الرثاء حقا ندرة الكتب التي تتناول تاريخ العلوم العربية في أوروبا تناولا شاملا، وما يتصل بذلك من موضوعات بدءا من القرن السادس عشر وما تلاه في فرنسا، ولو توافرت هذه الكتب لما كانت تقدر بمال. وهناك دراسات حديثة أكثر اهتماما بالتفاصيل، نذكر منها على سبيل المثال: دراسات لمؤلف يُدعى دوفردييه Duverdier، توفر لنا بعض الإشارات إلى ثروة من الوثائق غير المنشورة، بيد أن الدراسة الوحيدة التي تتسم ببعض الشمول فهي لـكولوميزيوس Colomesius بعنوان: «فرنسا في كنف الشرق»(***)، وهي دراسة لا تشفي غليلا على رغم ذلك حتى في أيامها العام 1665؛ فقد كانت في الأغلب تعتمد على مصادر منشورة أصلا، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت لها فائدة تُلتمس بين الحين والحين.

اتكأنا في الجزء الأساسي من هذا الكتاب (الفصول من الثالث وحتى التاسع)، والتي توفرنا فيها على تناول الدراسات العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر، على مصادر أصلية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وما وجدنا فيه نفعا، والمصادر الأصلية هي الكتب التي كتبها أولئك الذين تخصصوا للدراسات العربية، وما أنتجوه من مراسلات ووثائق أخرى متصلة بتلك الدراسات. والحق أن المواد غير المنشورة كثيرة وثرية ومتاحة، وهو ما أعجزني في بعض الأحيان عن اللحاق بكثير منها، مما كان سيعينني على تصحيح كثير من التفاصيل في دراستي(2)، وعلى رغم ذلك فإني على ثقة بأن الخط العام الذي تبنيته في هذا الكتاب لن يتغير عندما يُكتشف مزيد من المخطوطات في المستقبل. فلم أعمد إلى سرد معلومات عن حياة الرجال الذين توفرتُ على تناول أعمالهم، إلا إذا كانت حياتهم تتصل بالدراسات العربية اتصالا مباشرا؛ ففي ظني أن «معجم أعلام الوطن» DNB، و«معجم علماء

(*) Italia et Hispania Orientalis.

(**) Matériaux pour servir á l'histoire des études orientales en Italie.

(***) Gallia Orientalis.

جامعة أكسفورد» Athenae Oxonienses لمصنفه وود Wood يكفيان للمهمة، بيد أنني لم أجد في هذين المعجمين ما يكفيني من معلومات عن جون فكرز John Viccars ، كما لم أجد فيهما ما يكفيني عن إدوارد بوكوك Edward Pococke وجون غريفز John Greaves، وهما شخصيتان أساسيتان في هذا البحث، فعمدت إلى إضافة معلومات عن حياتهما في هذا الكتاب. وعلى رغم أن كتابي يتكئ على المصادر الأولية، فإني آمل أن تكون الهوامش الكثيرة التي ذكرت فيها أعمال آخرين شاهدة على اعترافي بفضلهم، خصوصا أن أعمالهم تلك هي التي قادتني إلى المصادر التي عليها اتكأت. وأخص بالذكر في هذا الصدد رسالة هولت Holt للماجستير في «الآداب»(*) من جامعة أكسفورد وعنوانها: «الدراسات العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا»، وهي رسالة متميزة في وقتها، وأنا أدين لها بالكثير، وعلى الرغم من نمطيتها وافتقارها إلى الحماس في معالجة الشخصيات المهمة غير بوكوك، فإن قيمتها تتجلى في لفت الانتباه إلى ما تبقى من مذكرات بوكوك غير المنشورة، ومحاضراته في مكتبة البودليان، وكذلك في استثمارها لمراسلاته التي لاتزال المكتبة تضمها. إن الرسالة لم تُنشر إلى يوم الناس هذا، بيد أن الباحث استخرج منها أجزاء معينة مثيرة، ونشر المقالات الثلاثة الأولى في كتاب له بعنوان: «دراسات في تاريخ الشرق الأدنى»(**). وكان عدد كبير من المقالات التي ضمها الكتاب الأخير الذي قام على تحريره السيد رسل Russell، وهو بعنوان: «مباحث العرب في الفلسفة الطبيعية في القرن السابع عشر في إنجلترا»(***)، ذا فائدة كبيرة لي، ولكن الكتاب لا يقدم إطلالة عامة على الموضوع الذي أتناوله.

وللحصول على تفاصيل حول طباعة الكتب العربية ونشرها في أول العصر الحديث فإن كتاب شنورر Schnurrer المعنون بـ «دراسات في اللغة العربية»(****)، وكان كتابا رائعا لزمانه (1811)، يظل كتابا لا يُضاهى، على رغم أنه يحتاج إلى تصحيح وتحقيق وإضافة كثير من التفاصيل. ومن الأبحاث المفيدة جدا لهذا الغرض كتاب سِمتسكامب Smitskamp المعنون بـ «درس اللغات الشرقية»(+)،

(*) من التصويبات التي أرسلها تومر - مشكوراً - إلى «عالم المعرفة» [المترجم].

(**) Studies in the History of the Near East.

(***) The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth – Century England.

(****) Bibliotheca Arabica.

(+) Philologia Orientalis.

وتُعَدُّ معرفة سمتسكامب بهذه الأمور معرفة رفيعة لا ينافسه فيها أحد في زماننا. ومن يُرد الوقوف على جهود طباعة الكتب العربية في إنجلترا بنوع خاص فعليه قراءة مقال السيد روبر Roper المعنون بـ «طباعة الكتب ونشرها في إنجلترا قبل العام 1820»، وعلى رغم ما شابَهُ من بعض الأخطاء الغريبة، فإنه يظل تطورا كبيرا على الأبحاث الأقدم عهدا، التي تتصل بالمراجع، مثل كتاب تالبوت بِينْ ريد Reed المعنون بـ «تاريخ مسابك الحروف الإنجليزية القديمة»(*). وفيما يتصل بمنشورات جامعة أكسفورد بصفة خاصة فإن الكتب المهمة جدا التي كان يصدرها فالكونر مادان Falconer Madan بعنوان: «كتب أكسفورد» كانت مصدرا لا ينضب من المعلومات والمتعة أيضا.

كان نمو عدد الكتب العربية والشرقية الأخرى في المكتبات الإنجليزية من العناصر المهمة في إتمام هذا البحث. في تلك الفترة لم تكن مكتبات الجامعات ذات أهمية كبيرة، فيما عدا مكتبتيْ جامعتين ذكرناهما (على رغم أن هناك مطبوعات أخرى مثيرة في المكتبات الأخرى مثل كتابات عمدة أرندل Earl of Arundel في كلية سيون ومدرسة وستمنستر). وفي وسعنا القول: إن الكتاب الذي ألفه ج. سي. تي. أوتس Oates وهو «تاريخ مكتبة كيمبردج»، يمكن أن يُدرج في باب العلم النافع والمعرفة الدالة على سعة الاطلاع، والضلوع في العلم، والبصيرة النافذة وحب المعرفة، وليس لدينا ما نقارنه بتاريخ مكتبة البودليان في أثناء تلك الفترة، ولكن كتاب وليام دَنْ ماكراي Macray المعنون بـ «حوليات مكتبة البودليان»(**) يوفر لنا كثيرا من المعلومات المفيدة، والكتاب المختصر لـ أيان غلبرت فيليب Philip المعنون بـ «مكتبة البودليان في القرنين السابع عشر والثامن عشر»(***)، من الكتب التي تصحح كثيرا من المعلومات. وفيما يتصل بتاريخ مجموعات المخطوطات العربية فإن المقال الأحدث الذي كتبه ويكفيلد Wakefield بعنوان: «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان» هو مقال قيم وذو قيمة كبيرة، لكنه بعيد عن الإلمام بالكثير، ويقع على مبعدة من الإحاطة الكاملة.

(*) History of the Old English letter Foundries.

(**) Annals of the Bodleian Library.

(***) The Bodleian Library in the Seventeenth and Eighteenth Centuries.

كان ضروريًا أن يصبح إدوارد بوكوك Edward Pococke الشخصية المركزية في هذا الكتاب، ومن حسن حظنا أن لدينا سيرة لحياته لا تُغفل شيئا، وتتكئ على مصدر مباشر هو ليونارد تولز Leonard Twells. ولكن من جهة أخرى نجد أن المصدر الرئيس الذي اعتمد عليه تولز يتمثل في الرسائل الكثيرة التي كان يرسلها بوكوك، ولسوء الحظ أن هذه الرسائل قد فُقدَت، أو أن أغلبها اختفى بعد نشر السيرة التي كتبها تولز مباشرة في العام 1740، ولم يبقَ منها أثر إلى يوم الناس هذا[3]، على رغم جهود الباحثين خلال المائة والخمسين عاما المنصرمة في البحث عن هذه الرسائل، علمت بأهمية الرسائل وقيمتها التي لا تُضاهى، فعمدت إلى الحديث عن طبيعتها، وإعطاء القارئ فكرة عن تاريخها بشيء من الإيجاز[4]. والحق أن بوكوك كان يحتفظ برسائله المتصلة بنشاطه الأكاديمي على الأقل في أثناء السنوات الأخيرة من حياته (ويبدو أن الرسائل التي كتبها في عشرينيات القرن السابع عشر، وتشمل الفترة الرئيسة التي قضاها أسقفا في حلب، لاتزال باقية لكنها مبعثرة). وقد كان يحتفظ بمسودات بعض رسائله الخاصة أيضا، وعند وفاة بوكوك انتقلت ملكية رسائله التي بلغ عددها في ذلك الوقت أكثر من مائتي وثيقة إلى السيد آرثر تشارلت Arthur Charlett، الذي أصبح فيما بعد مديرا لكلية التعليم المستمر، وكان هو نفسه يتطلع إلى الحصول على سيرة مكتوبة لحياة بوكوك[5]. (لم يبق في يد ابن بوكوك الأكبر السيد إدوارد غير الرسائل المكتوبة باللغة العربية والعبرية، مع بعض الوثائق القليلة الملحقة بها). على أنه عندما بدأ همفري سمث Humfry Smith في جمع المواد المتصلة بمشروع السيرة التي أزمع كتابتها عن حياة بوكوك، لم يتمكن تشارلت من استخراج الرسائل، وظن سمث أنها فُقدت، ولهذا السبب لم يُكمل السيرة التي كان يريد كتابتها، على رغم أن المسوّدة الأولى بقيت؛ احتفظ بها ابن بوكوك الأصغر بعد رحيل سمث في العام 1708. وبعد مضي أكثر من عشرين عاما[6] اكتُشفت الرسائل مدفونة بين أوراق تشارلت، اكتشفها ابن أخته عالم الآثار السيد توماس راولنز من بوبهلز Thomas Rawlins of Pophills. في ذلك الوقت كان إدوارد بوكوك الابن قد مات، وخلفه ابنه جون مديرا لمدرسة ملدنهول في ولتشاير، وأوصل السيد راولنز الرسائل لـه من خلال السيد توماس هيرن Thomas Hearne عالم الآثار في أكسفورد، وبذل لديه محاولات لم تُوفق في أن يبحث له عن كاتب

يكتب سيرة حياة جده. وأُوكِلت المهمة والرسائل في العام 1734 إلى السيد تولِز الذي كان - بوصفه راعيا لكنيسة في مالبورو - جارا للسيد جون بوكوك. والحق أن المشروع أُجِّل سنواتٍ متعددة بسبب قرار يقضي بأن تصدر السيرة على هيئة مقدمة تُقَدم بها أعمال بوكوك اللاهوتية في طبعتها الجديدة، على أمل أن يُعان المشروع بتبرعات أهل الخير (فقد توقع تولِز وجون بوكوك كلاهما أرباحا يجنيانها من المشروع)، ولكن تولِز انتقل إلى لندن في العام 1737، حيث تقلد منصب مدير مدرسة القديس متى في شارع فرايداي، وأخذ معه الرسائل لكي يكمل السيرة التي بدأ كتابتها. وفي لندن طلب الرسائل السيد جون وارد John Ward للاطلاع عليها لتعينه على إتمام كتاب «سِير حيوات أساتذة كلية غريشم» في العام 1740، وطلبها أيضا السيد توماس بيرش Thomas Birch الذي كان عاكفا على كتابة سيرة حياة جون غريفز، التي كان ينوي إلحاقها بطبعة جديدة لأعمال غريفز المتفرقة في العام 1737. وبعد صدور سيرة حياة تولِز اختفت الرسائل ولم يُعثر على شيء منها، وأغلب الظن أن تولِز لم يتحمس لإعادتها إلى صاحبها الأصلي السيد جون بوكوك[7]، ولا يوجد لها أثر فيما بقي من آثار الجَدْ (بما في ذلك المراسلات المكتوبة باللغة العربية والعبرية) والتي كان يحفظها في مكتبة أبرشية ملدنهول، وبقيت هناك بعد وفاته (فهو آخر فرد في هذا الفرع من العائلة) حتى تبرع بها موظف عمومي هو السيد تشارلز فرانسيز في العام 1821 لمكتبة البودليان[8]، حيث تقبع الآن بين أوراق بوكوك ومخطوطاته التي كان يجمعها. هذا وقد مات تولِز فقيرا في العام 1742، ومن المرجح أن الرسائل قد أصابها التلف في ذلك الوقت أو فيما بعد، ومن المرجح أيضا أنها لاتزال موجودة بين مجموعة من أوراق خاصة لم تمتد إليها يد محقق أو صاحب فضول[9]، باختصار: لم تُنشر، ولا نعرف مكانها.

وعلى رغم أن الرسائل يمكن أن تشكل مصدرا غاليا يعود بالفائدة الكبيرة على تاريخ الفكر في القرن السابع عشر، فإن ضياعها لا يشكل خسارة كبيرة؛ فقد كان تولِز - ولم يكن يتمتع بخيال واسع - كثيرا ما يعود إليها مقتبسا أو شارحا أجزاء مهمة منها، ونزعم أن مساحات كبيرة من تلك السيرة التي كتبها تتكئ على رسائل كثيرة لم يجد غضاضة في شرحها واختصار محتواها. على كل حال ليس من شك في أن اكتشافها ذات يوم يمكن أن يزيل الغموض عن كثير من أحداث حياة آخرين[10]،

وربما حياة بوكوك نفسه، ويطلعنا أيضا على عددٍ من مواطن الغموض في التواريخ التي وردت في كتاب تولِز. إن الواقع يظل مُفاده أن كتابه هو الأساس الذي تُستمد منه أي معلومات عن بوكوك، بما في ذلك المقال الرائع المنشور في «معجم أعلام الوطن» بقلم ستانلي لين بول [11] Stanley Lane- Poole. على أي حال، أعتقد أن الحاجة إلى استثمار محاولة تولِز لإعادة ترتيب الأحداث المتصلة بحياة بوكوك، وهو جهد لا بد من تحقيقه[12]، انتهت - في أغلب الأحوال - إلى قبول وجهة نظر تولِز بشأن شخصية بوكوك، وهي وجهة نظر تخصه. وهناك سبب وجيه يجعلنا نعتقد أن بوكوك رجلٌ أكثر تعقيدا بكثير من تلك الصورة التي يقدمها تولِز: صورة الرجل الورع المستقيم، القس الأنجليكاني (وهي صورة تناقض الواقع)، ولعل تولِز كان يريد تقديم القدوة، أو يبتغي منها التعليم أكثر من سعيه إلى كشف الحقيقة[13]؛ فلم يكن بوكوك - على النقيض من صديقه العظيم جون غريفز - يميل إلى النقاش والجدال، ولا نتوقع منه أن ينطق بعبارات تتحدى الرأي السائد حول أمور الأخلاق والعقيدة، ولكن الكاتب يريد أن يحث القارئ الواعي إلى مزيد من اليقظة، ويذَكِّره بأن بوكوك كان يؤمن ببعض الآراء غير التقليدية، ولا تتسق مع خبرته التي جمعها من إقامته في الشرق، وباطلاعه الواسع على الآداب الشرقية.

المؤلف

جيرالد جيمس تومر

بيئة العصور الوسطى

كانت الدراسات العربية في أثناء العصور الوسطى تُلتمس لسببين رئيسيين: الأول هو الرغبة في امتلاك المعرفة العلمية، والثاني هو التبشير بدين المسيح وتعزيز الأنشطة التي تدافع عن النصرانية. وكانت إسبانيا هي العاصمة التي يعتصم بها أولئك الساعون إلى المعرفة، والمبشرون بدين المسيح، فقد ظلت إسبانيا زمنا طويلا قِبلة مهمة لتعليم الفقه الإسلامي والثقافة الإسلامية[1]، ثم ما لبثت أن أصبحت هي المنطلق الذي تنطلق منه علوم اللغة العربية والأدب العربي إلى جميع الأقطار الأوروبية. كان أكثر ما يهم الدارسين والمبشرين الناطقين باللاتينية، والذين بدأوا يتخصصون في دراسة العربية ومعارفها، شيئان مهمان: ذلك الشعور بالأمن الذي كانوا يشعرون به في الممالك المسيحية في قشتالة وأراغون[2]، وتلك المصادر المعرفية الوافرة التي كانوا يجدونها في هاتين

«كانت أغلب ترجمات العصور الوسطى إلى اللاتينية من العربية حافلة بالكثير من المشكلات بسبب إغراقها في الحَرْفية، وبسبب لغتها المقعَّرة ليس على مستوى المفردات فحسب، بل على مستوى التركيب أيضا».

المملكتين اللتين لم يجتحهما الغزو العربي لشمال شبه جزيرة أيبيريا، واللتين أسهمتا بعد ذلك في إشعال حرب الاسترداد Reconquista (أو ما يُسمى بسقوط الأندلس) التي سارت ببطء شديد على مدار القرون (من العام 718 إلى 1492 من ميلاد المسيح). وعلى هذا الأساس لم يبدأ النشاط الحقيقي سواء للمترجمين أو المبشرين في إسبانيا إلا بعد غزو طليطلة على يد ألفونسو السادس ملك قشتالة في العام 1085. وهناك منطقة أخرى انطلقت منها اللغة العربية والثقافة العربية، وهذه المنطقة هي جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، وكانت واقعة تحت النفوذ الإسلامي (وجزئيًا تحت الحكم العربي) منذ القرن العاشر الميلادي.

وقد شهدت جزيرة صقلية، بعد الغزو النورماندي الذي بدأ في أواخر القرن الحادي عشر، امتزاجا بين الثقافات الثلاث: اليونانية واللاتينية والعربية، لا سيما في ظل حكم رجلين كانا يرعيان الأدب العربي وهما: روجر الثاني (1130 - 1154م)، وحفيده الإمبراطور فريدرك الثاني ملك صقلية بين العامين (1197 و1250م)[3]. كما شهدت منطقة صقلية وجنوب إيطاليا في عهد الملك مَانْفرِد ابن الملك فرِدرِكْ نشاطا ملحوظا في مجال الترجمة من العربية، بيد أن إسهام هذا الجزء من العالم للثقافتين العربية واللاتينية لا يمكن أن نقارنه بإسهام إسبانيا في هذين المجالين. وأما فيما يتصل بالحملات الصليبية ومملكة القدس الصليبية التي بقيت من أواخر القرن الحادي عشر وبعد ذلك، فإن الباحث يلاحظ أن لها أهمية قليلة الشأن في هذا المجال[4].

(1) الترجمات العلمية

كانت الفترة من القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر هي الفترة التي ازدهرت فيها ترجمة الأعمال العلمية من العربية إلى اللاتينية[5] على رغم وجود أمثلة متفرقة تعود إلى القرن العاشر الميلادي أو حتى في وقت لاحق في أواخر القرن الرابع عشر. كان الهدف الأساس من هذه الترجمات هو إحياء تراث الأقدمين، وكان أغلبه قد فُقد في الغرب اللاتيني في أواخر العصور القديمة والعصور الوسطى في القرنين السادس والسابع الميلاديين. كان الاتصال بين أقطار أوروبا الغربية والإمبراطورية البيزنطية ضعيفا، وكانت المعرفة باليونانية لا تكاد تُذكر، لذا كانت

النهضة الكارولنجية (*) Carolingian Renaissance في القرن التاسع الميلادي مقتصرة على إحياء الأعمال المكتوبة باللاتينية. في تلك الأثناء ظهر في بغداد، وفي أمكنة أخرى من العالم الناطق بالعربية، اهتمام كبير بترجمة علوم اليونان إلى العربية. وكانت البداية في أواخر القرن الثامن الميلادي، واستمر الاهتمام أكثر من مائة وخمسين عاما، وهي فترة تُرجمت في أثنائها مئات الرسائل والكتب[6]. واقتصرت هذه الترجمات - لأسباب دينية وثقافية - على النصوص العلمية، بيد أن كلمة «علمية» كانت تعني في أدبيات العصور القديمة والوسيطة أشياء كثيرة: كانت تعني الرياضيات والفلك والطب والجغرافيا، وأيضا كانت تعني الفلسفة وأشباه العلوم كالتنجيم والكيمياء القديمة وقراءة البخت. أضف إلى ذلك أن عددا كبيرا جدا من الأعمال «العلمية» الجيدة، بعضها يتسم بالأصالة والجودة العالية جدا، قد أُنتجت في العالم الإسلامي، وأغلبها باللغة العربية. وقد شكل هذا الكم من الجهد - بدوره - وكذلك الرسائل المنشورة في الأصل باللغة اليونانية، المادة الحقيقية التي اعتمد عليها مترجمو العصور الوسطى الذين كانوا يترجمون من العربية إلى اللاتينية. وعلى الرغم من أن جهود هؤلاء المترجمين لا يمكن مقارنتها - لا من حيث المقدرة في فقه اللغة ولا من حيث حجمها - بترجمات أقدم عهدا من اليونانية إلى العربية، فإن الأعمال التي أنتجوها كانت باهرة من ناحية الكم، ولعبت دورا أساسيًا في تطور العلوم والفلسفة في الأقطار الأوروبية التي كانت تتحدث اللاتينية.

(2) البعثات التبشيرية والمدافعون عن المسيحية

بدأت الدراسة الجادة للإسلام في أوروبا الغربية[7] بنشاط بطرس المبجل Peter the Venerable راهب دير كلوني ورئيسه، والذي زار إسبانيا في العام 1141 للتفتيش على الأديرة التابعة له هناك. كان بطرس المبجل يريد القضاء على ما كان يسميه «هرطقة الإسلام»، ويعيد النصارى الذين اعتنقوا الإسلام إلى دينهم المسيحي، فراح يحشد الأنصار لقضيته، ومنهم روبرت

(*) «النهضة الكارولنجية» معناها نهضة الإمبراطورية الكارولنجية من أواخر القرن الثامن إلى القرن التاسع الميلادي، استمدت الإلهام من الإمبراطورية الرومانية المسيحية في القرن الرابع الميلادي. وقد شهدت تلك الفترة ازدهار الآداب والفنون والعمارة وسيادة القانون والإصلاحات الدينية ودراسات الكتاب المقدس [المترجم: عن موسوعة ويكيبيديا الحرة في الباب نفسه].

الكيتـوني Robert of Ketton وهرمان الدلماشي Herman of Dalmatia ، وكانا من المترجمين ذوي الخبرة الكبيرة في الترجمة من العربية، وكانا بالمصادفة في إسبانيا في ذلك الوقت نفسه، مشغولين بدراسة بعض النصوص العلمية. ترجم بطرس المبجل ومساعداه عددا كبيرا من النصوص التي كان يريد أن يستعين بها في مهماته التبشيرية، وبرنامجه[8] الذي خطط لـه للدفاع عن المسيحية. وكان القرآن الكريم أهم هذه النصوص، قام بترجمته روبرت الكيتوني، وعلى الرغم من الأخطاء الكثيرة التي اكتنفت هذه الترجمة، فقد ظلت هي الترجمة التي عُرِف بها القرآن الكريم في أوروبا ليس في العصور الوسطى وحدها، ولكنها ظلت ترجمة وحيدة حتى القرن السابع عشر[9]. كانت جماعات الصدقة من الفرنسيسكان والدومينيك(*) ، يهتمون أيضا بالنشاط التبشيري بين المسلمين، وأقاموا مراكز لتعليم العربية[10]، خصوصا في إسبانيا، ولكن حتى ذلك الوقت كان أكثر البرامج طموحا هو البرنامج الذي كان يتبناه رامون لول، والذي كانت أحداث حياته وجزءٌ كبيرٌ من كتاباته الضخمة منذورة لمهمة واحدة وهي تحويل المسلمين عن الإسلام، ودعوتهم إلى المسيحية[11]. ولم يكتفِ بتعليم نفسه العربية، بل أنفق جزءا كبيرا من حياته يدعو إلى ضرورة تعليم العربية بشكل منظم بوصفها جزءا من الجهود التبشيرية. وبلغ به الأمر أن زار البلاد الإسلامية يريد أن يقنع الناس بدين المسيح. وفي العام 1292م ذهب إلى تونس، وفي العام 1306م ذهب إلى بجاية في الجزائر، وسرعان ما طُرد من بجاية كما طُرد من تونس، ولكن اليأس لم يتطرق إلى قلبه، فعاد في العام 1316م، وكان قد تقدم في السن، إلى تونس، حيث لقي هناك حتفه، وأصبح شهيدا في العرف المسيحي، وهو ما كان ينشده. وزُعم أن معرفته بالعربية كانت جيدة، وأنه كتب بها، ولكنا لا نستطيع أن نحكم على مقدار معرفته بالعربية؛ لأن هذه النصوص لم تصلنا. وعلى الرغم من أنه ظفر بتأييد البابوات والملوك على مدى سنين متعددة، فإن «لـول» لم يحقق إلا نجاحا متواضعا في النهوض بدراسة العربية التي تخدم الأغراض التبشيرية. والحق أنه أسهم في تأسيس معهد للتعليم العالي لهذا الغرض في العام 1276 في ميرامار، وفي بلدته الأصلية مدينة «ميورقة» الإسبانية، ولكنه لم يستمر طويلا. وليس من

(*) جماعات الصدقة: جماعات دينية كانت تعتمد في حياتها على ما كان يجود به أهل الخير، ولم يكن لها أملاك أو عقارات، وكانت توفر الوقت والجهد لنشر الدعوة المسيحية والصلاة في جماعة. [المترجم].

شك في أن أهم نتيجة لجهوده[12] وأشهرها هو «قانون مجلس فيينا» بين العامين 1311-1312م، والذي يقضي بضرورة إنشاء منصب الأستاذية لتدريس اليونانية والعبرية والكلدانية[13] والعربية في الحرم البابوي، وفي جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وسالامانكا[14]. وقد ذُكر هذا القانون كثيرا بعد ذلك من قِبَل أولئك الذين كانوا يهتمون بتطوير الدراسات العربية[15]، ولكن في الحقيقة لم يكن له تأثير كبير. ففيما يتصل باللغة العربية لم نر لهذا القانون أثرا في تطوير اللغة العربية في جامعة أكسفورد، ويبدو أن القانون استُخدم في إنجلترا فقط كمبرر مؤقت لجمع الضرائب الكنسية[16]. وفي مواضع أخرى هناك دلائل قليلة على فائدته[17]، ولكن لا يوجد دليل على أن القانون دخل حيز التنفيذ الحقيقي في أمكنة أخرى في العصور الوسطى.

(3) معرفة العربية

فيما يتصل بمستوى القدرة اللغوية أو غيرها عند هؤلاء الذين تخصصوا في دراسة العربية فإن التعميم صعب؛ فلا نجد بين أيدينا الآن أعمالا مهمة في مجال الدراسات النحوية والمعجمية. لم نظفر من جهود الدارسين في إسبانيا في العصور الوسطى إلا بمصنفين صغيري الحجم يمكن إدراجهما في مجال الدراسات المعجمية؛ الأول معجم لاتيني/ عربي مجهول التاريخ (ربما يعود إلى القرن الثاني عشر)، وقُصد به إلى مساعدة المسيحيين الناطقين بالعربية على فهم اللاتينية وفق قواعدها في ذلك الوقت[18]. والثاني بعنوان «مفردات العربية من القرن الثالث عشر»[19]، كان القصد منه مساعدة الناطقين باللاتينية على أن يفهمهم الآخرون: الناطقون بالعربية العامية في إسبانيا. وللمعجمين فائدة قليلة في تفسير النصوص العربية (على الرغم من أن اسكاليجيه، الذي كان يمتلك المخطوطة الأولى، استخدمها لهذا الغرض)[20]. كان طلاب الدراسات العربية في العصور الوسطى مضطرين إلى الاعتماد - على الأقل بصفة مبدئية - على ناطقين أصليين بالعربية الفصحى والعامية أيضا (عادة باللهجة الإسبانية). فإذا كان أولئك المترجمون مسلمين أو يهودا، فهذا يعني أنهم لم يكونوا يعرفون اللاتينية، وإذا كانوا من المسيحيين الإسبان الذين كانوا يتحدثون العربية ويعشقون ثقافتها، فهؤلاء لم يكونوا من المتعلمين، وكان حظهم من الجهل باللاتينية كحظ غيرهم من المسلمين واليهود. ومن هنا كانت الترجمة من العربية العامية إلى

اللاتينية عملية شاقة وعسيرة، وعلى الرغم من ذلك وصل بعض المترجمين إلى مستوى محترم من التمكن من اللغة العربية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر جيرارد الكريموني Gerard of Cremona المتوفى في العام 1187م، والذي قضى أغلب سني حياته الطويلة في إسبانيا، وأنجز عددا كبيرا جدا من الترجمات، بما في ذلك أعمال أساسية مثل كتاب المجسط للعالم الإغريقي بطليموس [21]. كانت أغلب ترجمات العصور الوسطى إلى اللاتينية من العربية حافلة بالكثير من المشكلات بسبب إغراقها في الحَرْفية، وبسبب لغتها المقعرة ليس على مستوى المفردات فحسب، بل على مستوى التركيب أيضا، وهذا لا ينفي وجود ترجمات أمينة في نقلها للنصوص الأصلية، وكانت عونا للدارسين المعاصرين على الشرح والتأويل أحيانا، وعلى تحقيق المخطوطات العربية الكثيرة أحيانا أخرى[22]. أيضا كانت المعرفة بثقافة الشعوب الناطقة بالعربية التي توفر الغرب على دراستها، معرفة متفرقة وقليلة. وقد كانت الصورة التي خرج بها مشوهة، شوهتها عيون التعصب الديني، والهجوم اللاهوتي، والجدل المتصل. ولكن العصر لم يكن يخلو من أفراد قلائل كانوا يعرفون الإسلام معرفة دقيقة، وكانوا يمارسون طقوسه ممارسة مخلصة: يطيعون فيها أوامر القرآن ونواهيه، ويستلهمون أقوال المفسرين العرب له، وما جاء في الكتب التي تضم أحاديث النبي. وإلى جانب لول Lull وريكولدو [23] دا مونتكروتشي Ricoldo da Montecroce في أوائل القرن الرابع عشر، كان معهم الراهب الدومينكاني الإسباني ريموندي مارتيني Raimundo Martini صاحب كتاب: «معرفة المور واليهود» الصادر في العام 1278م، يحمل فيه على اليهود في الأساس، ويكشف عن معرفة عميقة بكتب المسلمين الدينية والفلسفية [24]، والتي كان مارتيني يحيط بها علما بصورة دقيقة؛ فقد كانت معرفته العميقة بالعربية مدهشة غاية الإدهاش، تجلت في مساجلة كتبها بين مسيحي ومسلم يحاكي فيها أسلوب القرآن[25]. بيد أن أولئك الباحثين - على الرغم من معرفتهم الدقيقة بالعربية والثقافة الإسلامية - كانوا يستخدمون هذه المعرفة في إقامة الدليل على ما اعتبروه هرطقة الإسلام، وإقامة الحجج الدامغة على ما عدُّوه كفر المسلمين بدين المسيح. والحق أن صورة الإسلام، خصوصا صورة نبيه التي يمكن استنباطها من النصوص اللاتينية التي أنتجتها العصور الوسطى، صورة يمتزج فيها الطعن بالأسطورة والابتعاد عن الحقيقة، وربما

أُضيف إليها – للتخفيف – بعضُ الحقائق والأحداث التاريخية القليلة[26]. والحق أيضا أن معرفة الغرب بتاريخ العرب، حتى في أثناء أيام الرسول محمد نفسه، كانت ناقصة نقصانا شديـــدا [27]، وربما يكون من الحق أن نقول: إن الاهتمام بالعرب وبما كان يجري في الجزيرة العربية لم يكن كبيرا، أو لم يكن موجودا إلا لغرض الهجوم والطعن.

ومن العجيب أن أغلب المترجمين المهمين من العربية في العصور الوسطى كانوا من الإنجليز، ومن الجزر البريطانية إذا أردنا الدقة، وهو أمر يدعو إلى العجب والفضول أكثر من دعوته إلى الجِد والقبول[28] إذا تذكرنا الطبيعة العالمية التي تتميز بها الثقافة الأوروبية اللاتينية. ففي القرن الثاني عشر سافر أديلار الباثي في الأقطار الناطقة بالعربية، وكان روبرت الكيتوني نشطا في إسبانيا. وفي القرن الثالث عشر كان مايكل سكوت يعمل في صقلية [29] تحت رعاية فردريك الثاني بعد أن عمل في طليطلة وساليرنو، وكان ألفرد سارشل (وكان يُعرف بـ : ألفرد الإنجليزي) قد سافر إلى إسبانيا. وهناك من المبررات التي تجعلنا نصدق أن بعض المخطوطات المكتوبة باللغة اللاتينية في العصور الوسطى (على سبيل المثال ترجمات الجداول الفلكية التي ألفها الخوارزمي) التي يُظهر فيها الكاتب معرفة عميقة بالعربية أو بالمخطوطات العربية، قد كُتِبت بالإنجليزية. ومن المرجح جدا أن يوجد بعض الأشخاص في إنجلترا بين الحين والحين من أوائل القرن الثاني الميلادي وبعد ذلك، يعرفون العربية معرفة ما [30]، ولكن تأثيرهم في التطورات في الفترة التي نحن بإزائها لم يكن يُذكر.

2

دراسة العربية في أوروبا في أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر

كانت العوامل الجديدة التي ظهرت لتشجع على دراسة العربية في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر كثيرة وفاعلة. أول هذه العوامل كان انشغال الدول الأوروبية في صراع مع الإمبراطورية العثمانية التي واصلت تألقها وهيمنتها ونجاحها في التوسع غربا في أثناء هذه الفترة. كانت العلاقات بين الأوروبيين والترك تتسم بالعداء المتبادل. (على سبيل المثال، أعلن العثمانيون الحرب على إمبراطور البندقية وأهلها في القرن السابع عشر)، ولكن زادت أيضا أهمية التجارة. وفي أثناء الحقبة المتأخرة من حياة الإمبراطورية البيزنطية كانت التجارة مع القسطنطينية والعثمانيين لاتزال في قبضة حكام البندقية وجنوة، ولكن الآن أصبحت لأقطار أوروبا الشمالية مصالح كثيرة مع هذه الأطراف

«ليس على سبيل المصادفة أن كانت أول المطبوعات العربية في إيطاليا مرتبطة بمدينتي البندقية وجنوة، وكان لهما تراث طويل من العلاقات التجارية مع الشرق».

جميعا. أدى ذلك، إذا أضفنا إليه الحاجة التي ظهرت إلى إقامة علاقات ديبلوماسية رسمية مع الإمبراطورية العثمانية، إلى المعاهدات التي أُبرمت في القرن السادس عشر. وقد قضت هذه المعاهدات بأن يُمنح السلطان العثماني امتيازات معينة في كل بلد من البلاد الأوروبية، كأن يُسمح للتجار الأتراك بالإقامة في مناطق معينة إقامة دائمة تمكنهم من الإشراف على تجارتهم، وأن تصبح هذه المناطق التي يقيم فيها أولئك التجار مجتمعات تتمتع بالحكم الذاتي يشرف على شؤونها سفير الباب العالي، وبعض القناصل المقيمين في بعض المناطق الأشد أهمية من حيث التجارة، مثل: حلب وإزمير. وكانت أول دولة[1] تتفاوض حول هذه الامتيازات هي فرنسا، عندما أبرم سليمان القانوني معاهدة تجارة وصداقة مع الملك فرانسوا الأول في العام 1536[2]. كانت هذه المعاهدة نموذجا للمعاهدة التي أُبرمت بين مراد الثالث والملكة إليزابث ملكة إنجلترا في العام 1580 (والتي أعقبها في 1581[3] تأسيس شركة الشام)، والمعاهدة التي أُبرمت أيضا بين أحمد الأول والجمهورية الهولندية في العام 1612. كانت التجمعات التجارية في القسطنطينية وآسيا الصغرى والشام ومصر وأماكن أخرى خاضعة للإدارة العثمانية ملاذات آمنة للأوروبيين (وإلا أصبحوا في خطر عظيم بوصفهم مسيحيين غرباء على أرض إسلامية) الذين كانوا يرغبون في زيارة الشرق بحثا عن المخطوطات، ومعرفة اللغات. وكانت مصادر المعرفة التي وفرتها هذه التجمعات من العناصر الرئيسة في التطور الكبير للدراسات العربية في القرن السابع عشر في أوروبا، وهو تطور أخذ شكل الظاهرة.

أما العامل الثاني الجديد فكان الزيادة الكبيرة في الاهتمام الذي ظهر بين الأوروبيين الغربيين بإنشاء علاقات مع الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية، والنسطورية، والروم الملكية الكاثوليكية، والمارونية، واليعقوبية، والمسيحيين القبطية الوحدانية[4]. كانت هذه الكنائس الشرقية تستخدم عددا من اللغات المختلفة (اليونانية والسريانية والعربية والتركية والقبطية) إما لهدف الصلاة وإما لهدف الحديث وإدارة المعاملات الحياتية. كان كل من الكاثوليك والبروتستانت يتوقون إلى استقطاب الكنائس الشرقية، وضمها إلى صفهم كل في مواجهة الأخرى، (لذلك لاحت في إنجلترا في القرن السابع عشر آمال الوحدة بين الكنيسة الإنجليزية والكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، ولفترة طويلة). على أن الكنيسة الكاثوليكية أضحت أكثر قوة وتنظيما وقدرة على

القيام بهذه المهام، وخصوصا بعد مؤتمر ترنت Trent (*) والقرارات التي اتخذها بضرورة الإصلاح الذاتي ومجابهة الحركة البروتستانتية في الوقت نفسه. أبقت الكنيسة على بعض المجتمعات اليسوعية الصغيرة، ومجموعات تبشيرية أخرى في عدد من البلدان الخاضعة للإمبراطورية العثمانية. الأهم من ذلك أنها قررت بناء كليات متعددة في روما تخضع لرعاية البابا مباشرة، وتتيح التعليم اليسير لمسيحيي الشرق، بهدف تأسيس معارفهم الدينية على العقيدة الكاثوليكية. وكانت أهم كلية من هذه الكليات بالنسبة إلى تعليم العربية هي الكلية المارونية التي بناها البابا غريغوريوس الثالث عشر في العام 1584. وكان من بين الذين سافروا للدراسة في هذه الكلية قساوسة لغتهم الأصلية العربية أو السريانية[5]، وكان أولئك القساوسة يعلمون فقه اللغة العربية حق المعرفة، وكانوا يحيطون أيضا بمعارف أخرى كثيرة، وما لبثوا أن أصبحوا يمارسون أدوارا خطيرة كمعلمين ومحققين في تلك الحقبة الباكرة من الاهتمام بالعربية، وهو ما سوف نفصل القول فيه حين نتناول الفترة الباكرة في إحياء الدراسات العربية في إيطاليا وفرنسا.

في الوقت نفسه نجد أن ما يميز القرن السابع عشر عن العصور الوسطى، فيما يتصل بدراسة العربية، تلك المناهج الجديدة التي أصبحت تُقارَب بها النصوص، ويُحَلَّل بها التاريخ، وكلها مناهج ظهرت في عصر النهضة. وليس من الغريب أن نجد في عصر النهضة من كان ينفر من دراسة العربية، ولا يجد فيها فائدة كبيرة كتلك الفائدة التي يمكن أن يظفر بها حين ينفق الوقت في تعلم اليونانية، خصوصا بعد أن راح المحققون يمعنون في تحقيق نصوص يونانية قديمة، ويعيدونها إلى الحياة بلغتها الأصلية بعد أن كانوا يقرأونها باللغة العربية في ترجمات شائهة لا يفقهون منها الكثير. أصبحت هذه النصوص تجد من يترجمها مباشرة من اليونانية التي شاعت بعد اختراع المطبعة. والحق أن كثيرا من المتخصصين في العلوم الإنسانية كانوا يُعرِضون عن دراسة العربية، ويظهرون ازدراءهم لها[6]. من جهة أخرى أسهمت مناهج البحث التي استحدثها علماء عصر النهضة، وطوروها، خصوصا في

(*) عُقد هذا المؤتمر بين العامين 1545 و1563 في ترنتينو شمالي إيطاليا، ويُعد من أهم المؤتمرات التي نظمتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من أجل مناهضة حركة الإصلاح البروتستانتية. [المترجم].

مجال تحليل النصوص، في ظهور الحاجة إلى الاطلاع على النسخ الشرقية للكتاب المقدس، وأصبحت هذه الرغبة من الدوافع الأساسية في القرن السابع عشر للبحث عن المخطوطات الشرقية وتحقيقها ونشرها. وحدث الشيء نفسه في مجال الطب، حيث كان المؤلفون العرب من أمثال ابن سينا لايزالون يُنظر إليهم بشيء كثير من التوقير والإجلال. زاد الاهتمام بالنصوص الطبية المكتوبة باللغة الأصلية، وهي اللغة العربية، بدلا من ترجماتها اللاتينية العقيمة التي أُنجزت في العصور الوسطى. أضف إلى ذلك أن ظهور علم الفلك الجديد، على يد كوبرنيكوس وكبلر، استدعى اهتماما متجددا بإعادة الكشف عن مزاعم العرب القديمة والوسيطة في علمهم بالطب. ولم يكن من قبيل المصادفة أن كان بعض المستشرقين البارزين في القرن السابع عشر من الأطباء، أو - وخصوصا في إنجلترا - من علماء الفلك[7]. ولكن الأهم من ذلك كلـه، أن هذا القدر من الفضول، والرغبة في المعرفة، وذلك الإحساس بأهمية التاريخ، وما إلى ذلك من تلك الأمور التي تعلمها الناس في عصر النهضة من أجل مقاربة النصوص القديمة، إنما استثمرها مستشرقو القرن السابع عشر في مجال آداب المسلمين وتاريخهم وحضارتهم على وجه التخصيص.

في المسح التالي لدراسة العربية في أوروبا (خارج إنجلترا)، آثرنا التعامل مع الأقطار والمناطق منفصلة، ولكننا لم نقصد من ذلك إلا التيسير على القارئ، والتيسير على نفسي من خلال تنظيم المادة العلمية التي بين يدي. وكما سيظهر من خلال طريقتي في السرد، تحفل القصة بكثير من الروابط والتأثيرات بين المناطق المختلفة. والحق أن بعض أولئك الذين كانوا يهتمون بشؤون اللغة العربية ودرسها، كانوا من النشطاء في أكثر من مجال؛ على سبيل المثال ذكرنا السيد بوستل، الذي بدأ عمله في فرنسا، وعمل في إيطاليا والنمسا. وعلى نحو مضاد انتقل الماروني جبرائيل الصهيوني Gabriel Sionita، وإبراهيم الحقلاني من إيطاليا إلى فرنسا. وكان جوزيف اسكاليجيه Joseph Secaliger فرنسيًا، وتعلم العربية في فرنسا، ولما كان تأثيره الأكبر في هولندا، فقد تعاملنا معه على أنه من المؤثرين في هولندا، كما كان شأن الفرنسي الآخر سالمازيوس Salmasius الذي كانت أغلب أعماله المنشورة المهمة باللغة العربية، أو متصلة بالعربية، وفي هولندا على وجه الخصوص.

(1) إسبانيا

كانت إسبانيا من أولى البلاد التي شهدت أكبر ازدهار للدراسات العربية الناجحة في أثناء العصور الوسطى، ولم تسهم مع ذلك بقدر كبير من هذه الدراسات في أوائل العصر الحديث. تُلتمس أسباب ذلك في التصرفات السياسية والسياسات الاجتماعية عند السلطات الحاكمة في ذلك الوقت. كان آخر معاقل المسلمين المستقلة (غرناطة) قد سقطت في أيدي الصليبيين في العام 1492م، وكانت إسبانيا لاتزال مملوءة بالموريسكيين (كما كان يُطلق على المسلمين الإسبان)[8]، لا في غرناطة وحدها، بل في أجزاء أخرى من شبه جزيرة أيبيريا، ولوقت طويل نسبيّا فيما بعد. بيد أن القرون التي تلت بعد ذلك، والتي شهدت حروبا طاحنة بين الدول المسيحية والإسلامية، خلفت وراءها ميراثا من الكراهية والريبة، ما لبث أن أدى إلى اتباع سياسة الإبادة والإقصاء، ليس فيما يتعلق بدين الإسلام فقط، بل فيما يتصل بجميع مظاهر الثقافة الإسلامية بما في ذلك اللغة العربية نفسها[9]. وفي أوائل العام 1499 رحنا نسمع عن حرق خمسة آلاف مخطوطة عربية في الميدان العام في غرناطة بأوامر من خيمينيث دي ثيسنيروس Ximénez de Cisneros، كبير أساقفة طليطلة[10]. وفي العام 1567 صدر مرسوم من الملك فيليب الثاني ملك إسبانيا، يعيد فيه - ويفرض - أمرا ساميّا سابقا كان قد أصدره ولم يخرج إلى حيز التنفيذ، يقضي بمنع المسلمين في غرناطة من ارتداء ملابسهم المعتادة التي يلبسونها، والتخلي عن بعض عاداتهم التي كانوا يمارسونها، ومن أهمها استخدام العربية في الحديث مع الناس في أي مكان[11]، مما أدى إلى اندلاع ثورة كبيرة أطلق شرارتها السكان الذين كانوا يتحدثون العربية ولا يعرفون غيرها في مدينة غرناطة. وفي أثناء هذه الثورة ارتكبت قوات الحرس الملكي مجازر بشعة ضد أولئك السكان، فتعززت فيها مشاعر الكراهية، وقوي فيها التعصب الديني. وكان الحدث الأخير الحزين، وهو طرد جميع الموريسكيين في العام 1609، اقتداء بالملك فرديناند والملكة أزابيلا حين قاما بطرد اليهود في العام 1492.

في أثناء الفترة السابقة كان النشاط التبشيري قد ترك أثره في الدراسات العربية الإسبانية. يظهر ذلك في عملين مكتوبين بطلب من كبير أساقفة غرناطة، كتبهما بدرو دي ألكالا، وطُبِعا في غرناطة في العام 1505: الأول بعنوان

«Vocabulista aravigo en letra castellana» أي، «الألفاظ العربية في أدب قشتالة»، والثاني بعنوان «Arte para ligeramente saber la lengua araviga» أي، «قاموس في اللغتين القشتالية والعربية»، وهما كتابان يتناولان المفردات والنحو العربيين، قُصِد بهما خدمة أهداف البعثات التبشيرية في المناطق التي تم غزوها حديثا. ونظرا إلى عدم توافر الكتابة بالحروف العربية المطبوعة إلا بالخط القوطي، كانت الكلمات تُنسخ نسخا بحروف عربية مصنوعة من الخشب[12]. كانت اللغة العربية في تلك الكتب هي اللهجة الفظة المرتبِكة التي كان يتحدث بها أهل غرناطة، وهي أكثر أهمية للدارسين المحدثين الذين يريدون التخصص في علم اللهجات[13] منها لدارسي القرن السادس عشر الذين كانوا يتخصصون في العربية القديمة، على رغم أن منهم من اطلع على هذه الكتب لأنه لم يجد غيرها، أو أفضل منها[14]. والجدير بالملاحظة أن قائمة المطبوعات التي كانت تضم الأعمال المكتوبة باللغة العربية، والتي رتبها شنورر وفق التاريخ[15]، لم تضم كتابا مطبوعا في إسبانيا بين هذين الكتابين (وهما أول كتابين يذكرهما شنورر في هذه القائمة)، وكتاب كانز Cañes المعنون بـ «النحو العربي الإسباني» المنشور في مدريد في العام 1775. وعندما حُسِم النشاط التبشيري بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية أو النفي خارج البلاد، لم تعد الاستخدامات العملية للغة العربية التي كانت تشجع على دراسة العربية في إسبانيا الوسيطة موجودة. لقد منع الإسبان قراءة القرآن، أو حتى أي كتاب آخر مكتوب باللغة العربية، ومنعوا استخدام اللغة العربية ليس في المكاتبات الرسمية فقط، ولكن بأي صورة من الصور. بقي استثناء وحيد وهو استخدام النصوص العربية في مجال الطب الذي كان يتطلب الإلمام بالعربية. الكتاب الوحيد الذي أنقذه المطران خيمينيث Ximénez من المحرقة كان كتابا في مجال الطب، قد أهداه لمكتبة «ألكالا». نسخة الجزء الأول من كتاب «القانون في الطب» لابن سينا، الذي قدمه لِدسيما Ledesma (فالِنسيا، 1547 - 1548)، زُعم أنه نسخة من الكتاب الأصلي[16]. ولكن حتى هذه المعرفة الطبية العربية كانت نادرة في نهاية القرن السادس عشر[17]. وفي وسعنا أن نرصد حادثتين تبرهنان على أفول الاهتمام بالعربية في إسبانيا. الحادثة الأولى عندما جاء نِكولاس كليناردس المشغوف بدراسة العربية

إلى سالامنكا في العام 1531، (معتمدا على وضعها المتميز في قانون مجلس فيينا)، فأخبروه بأنه لن يجد من يعلمه العربية هناك[18]. والحادثة الثانية في العام 1609 حين أرسل الملك فيليب الثالث بعثة للكشف عن بعض المخطوطات العربية لاعتقاده أنها من الكتابات المسيحية الباكرة في غرناطة في العام 1595، ولم يكن أمام الملك فيليب إلا الاستعانة بخبراء من إيطاليا أو أي مكان آخر للنظر في هذه المخطوطات[19]. وعلى رغم ذلك وُجِد الإنسانيون في القرن السادس عشر في إسبانيا ممن كانوا يدافعون عن دراسة العربية مثل الدكتور فيفزVives [20]، أو حتى شرعوا في دراستها مثل الأستاذ بينيتو آرياس مونتانو[21] الذي أخذ على عاتقه جمع المخطوطات العربية عندما كان أمينا لمكتبة الإسكوريال في أوائل ثمانينيات القرن السادس عشر[22].

وقد يفهم القارئ من وجود مكتبات عظيمة في قرطبة وفي أمكنة أخرى كانت تحت الحكم الإسلامي أن إسبانيا كانت مصدرا ثريّا للكتب العربية في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، ولكن الأمر لم يكن كذلك: ولنا في حريق المطران خيمينيث Ximénez دليل على ما نقول[23]. والحقيقة أن مكتبة الإسكوريال التي أسسها فيليب الثاني في العام 1563 بدأت في جمع المخطوطات العربية منذ بداية إنشائها تقريبا[24]، ولكن تلك المخطوطات لم تكن كثيرة، ولم تكن ذات قيمة كبيرة إلا بعد اكتشاف مكتبة مولاي زيدان سلطان مراكش بطريق القرصنة في العام 1611[25]. والحقيقة أن الحصول على هذه المكتبة بجهد زهيد[26] جعل من مكتبة الإسكوريال من المكتبات التي تضم أكثر المخطوطات العربية من ناحية العدد، وأكثرها تنوعا في أوروبا كلها، وحتى بعد الحريق المأساوي العام 1671، وتكديس أكبر عدد من المخطوطات العربية في أكسفورد ولايدن وباريس وبلدان أخرى، ظلت مجموعة الإسكوريال من المخطوطات العربية أهم المجموعات وأكثرها تأثيرا على الإطلاق[27]. وعلى رغم ذلك ليس لدينا دليل على الاستفادة من هذه المخطوطات في تلك الفترة التي نتحدث عنها؛ فقد كان الوصول إليها صعبا جدا[28]، ولم تكن مفهرسة إلى أن جاء كازيري Casiri الذي تفرغ لفهرستها بين العامين 1660 و1670[29]. لا نبالغ إن قلنا: إن مكتبة الإسكوريال لم تكن لها فائدة للدراسات العربية في القرن السابع عشر كله.

(2) إيطاليا

كانت إيطاليا في أثناء القرن السادس عشر في مقدمة الدول المهتمة بالدراسات العربية، ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في طباعة الكتب العربية هناك. كان أول كتاب طُبع في إيطاليا بالحروف العربية المتحركة هو «كتاب السواعي» المطبوع في مدينة «فانو» في العام 1514[30]. وبعد هذا الكتاب طُبع كتاب جليل بلغات متعددة يحتوي على مزامير الكتاب المقدس كلها (بالعبرية واليونانية والعربية والكلدية واللاتينية)، ونُشر في مدينة جنوة في العام 1516، وقام على تحقيقه على مدى سنوات متعددة العلامة أغوستينو جوستينياني مطران نبيو في كورسيكا، والذي كان من كبار علماء اللغة في عصره [31]. وكان من أكثر الإنجازات مدعاة للدهشة في مجال الطباعة العربية في سنواتها الأولى طباعة القرآن كاملا ونشره، وهو ما قام به رجل من أهل البندقية يُدعى بغانينو دي بغانينس Paganino de Paganinis في العام 1538. ويُقال إن باغانينو كان يبتغي من ذلك الكسب التجاري، فقد كان كل أمله أن يُدر عليه هذا العمل مبلغا كبيرا من المال عندما يبيع الكتاب للمسلمين في المناطق التي كانت تحت الهيمنة العثمانية، ولذا فقد طبعه كله باللغة العربية، من دون أن يشير - ولو من قريب - إلى المصدر الأوروبي للكتاب. ولكن يبدو أن مساعي الرجل لبيع هذا الكتاب قد باءت بالفشل بسبب ارتياب المسلمين آنذاك في الطباعة (وهو شك كانت تعززه الدعاية المناوئة للطباعة التي كانت نقابات النسّاخين المحترفين تنشرها في ذلك الوقت)، فلم تنج من الضياع سوى نسخة واحدة[32]، ما أدى إلى إفلاس بغانينو السريع؛ والسبب أنه اعتمد على أداة صممها خصيصا لطباعة لم تدر عليه أي أرباح. أما الكتاب الآخر الذي نجا من هذه الحوادث فقد كان ترجمة كتاب ابن سينا المعنون بـ «القانون في الطب» إلى اللغة اللاتينية، وهي ترجمة محققة قام على ترجمتها وتحقيقها آندريا ألباغو من بيلونو Andrea Alpago of Belluno، الذي أنفق سنوات كثيرة في الشرق، وفي دمشق على وجه التحديد، يعمل في سفارة البندقية بوصفه طبيبا مقيما للقنصل. وقد عمل هذا الرجل في أمكنة أخرى في الشرق، وكان دؤوبا في تعلم العربية، والبحث عن مخطوطاتها، وقد نُشر هذا الكتاب بعد وفاته في مدينة البندقية في العام 1527. وقد أنتج ألباغو أيضا ترجمات من العربية لبعض أعمال ابن سينا الفلسفية، قام على نشرها ابن أخيه باولو في العام 1546[33].

ويذكر التاريخ رجلا مهما آخر نظرا إلى المعلومات المهمة التي وفرها، والمتصلة بجغرافية العالم الناطق بالعربية وتاريخه، اسمه ليو أفريكانوس أو ليون الأفريقي. وكان هذا الرجل مسلما إسبانيّا هاجر إلى مدينة فاس في المغرب في سن مبكرة جدا، وتلقى هناك تعليما جيدا، وأسره قراصنة مسيحيون في العام 1518، وساقوه إلى روما حيث انتهى به الأمر إلى البابا ليو العاشر. وبعد عامين قضاهما في السجن، سمحوا لـه بالانتفاع من المخطوطات العربية في مكتبة الفاتيكان[34]، واضطروه إلى العماد والتحول إلى المسيحية، وتغيير اسمه من الحسن بن محمد بن أحمد الوزان إلى يوحنا ليو تيمنا براعيه البابا. وبعد أن أُطلق سراحه عاش في إيطاليا فترة قصيرة، حيث درّس العربية للكاردينال أغيديوس من فتربو Aegidius of Viterbo[35]، وذلك قبل عودته إلى المغرب والإسلام أيضا. أخرج هذا الرجل عددا من الأعمال باللغة العربية وعن اللغة العربية نفسها، منها كتاب في النحو العربي. أغلب هذه الأعمال غير موجود، إلا نسخة من كتابه المعنون بـ «وصف أفريقيا» الذي كتبه باللغة الإيطالية، ونشره ضمن كتاب راميزيو المعنون بـ «رحلات خارجية Navigationi et viaggi»[36]. وقد نُشر كتاب لــيــو هذا أكثر من مرة باللغة اللاتينية ولغات أخرى في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وظل زمنا طويلا مرجعا أساسيّا في المعرفة الأوروبية المتصلة بالعالم الإسلامي[37]. كما كتب لــيون كتابا آخر عن الفلاسفة العرب، ويبدو أن هذا الكتاب ظل المصدر الأساس الذي استقى منه هوتنغر رسالته المعنونة بـ «مشاهير العرب ورحلاتهم» العام 1664[38].

وليس على سبيل المصادفة أن كانت أولى المطبوعات العربية في إيطاليا مرتبطة بمدينتي البندقية وجنوة، وكان لهما تراث طويل من العلاقات التجارية مع الشرق. أما المطبوعات العربية التي ظهرت في وقت متأخر من القرن السادس عشر فقد ظهرت في روما، وهي تعكس الانتقال إلى التركيز على الأنشطة التبشيرية التي ارتبطت بشكل كبير بأهواء المؤسسة البابوية. وعلى رغم وجود إرهاصات كثيرة على انتشار تعلم العربية في بلاد اللاتين، فإن أهم حدث بالنسبة إلينا هو تأسيس مطبعة تستخدم الحروف العربية لطباعة كتب الطب[39]، أسسها الكاردينال فرديناندو دي ميدتشي، بتشجيع من البابا غريغوريوس الثالث عشر في العام 1584. وقد صُمِمت حروف الطباعة العربية في هذه المطبعة بطريقة متقدمة جدا

تفوق المطابع السابقة بكثير، صممها المتخصص الكبير في صناعة الطباعة الفرنسي المدعو روبرت غرانجون[40]. وجاء في حيثيات تأسيس هذه المطبعة أنها تهدف إلى تعزيز العقيدة الكاثوليكية بين مسيحيي الشرق[41]، ويتسق هذا في واقع الأمر مع بعض ما أنتجته هذه المطبعة، مثل الكتاب الأول الذي أخرجته، والذي يتضمن الأناجيل الأربعة باللغة العربية في العام 1590[42]. ولكن مدير المطبعة جيوفاني باتستا رايموندي كان رجلا لـه اهتمامات كثيرة ومتنوعة، ومعرفة واسعة بالعربية والفارسية[43]. أنتجت المطبعة في السنوات الأولى أيضا عددا من الكتب الدنيوية باللغة العربية، منها كتب في النحو العربي، ومنها كتاب «القانون في الطب» لابن سينا[44]، ومنها ترجمة عربية لكتب إقليدس[45]، وكتاب آخر في الجغرافيا لم يُكتب عليه اسم مؤلفه، ويُرَجح جدا أنه كان جزءا من رسالة الإدريسي، ولكنه أصبح يُعرف بين أوروبيي القرن السابع عشر باسم «جغرافية النوبة»، نقلا عن العنوان الخاطئ الذي وضعه لـه جبرائيل الصهيوني Gabriel Sionita ويوحنا الحصروني Johannes Hesronita اللذان أصدرا له نسخة باللغة اللاتينية[46]. ما السبب المنطقي الظاهر وراء ظهور هذه المطبوعات؟ كان السبب الظاهر وراء ظهور هذه المطبوعات هو كسب المال وإنفاقه على تطوير المطبعة ببيع هذه الكتب في البلاد الإسلامية: وتأسيسا على ذلك وجدنا حصول صاحب هذه المطبعة على رخصة من السلطان مراد الثالث لتصدير هذه الكتب المطبوعة باللغة العربية إلى البلاد الإسلامية وذلك في العام 1587، ووجدنا نسخة لهذه الرخصة في نهاية كتاب إقليدس[47]. وكان مصير هذه المحاولة مثل مصير محاولة «بغانينو Paganino» التي سبقتها في درجة الإخفاق[48]، ولكن على رغم ذلك كلـه كانت هذه الكتب الثلاثة مصدرا قيما للأوروبيين الذين كانوا يرغبون في دراسة العربية خارج الإطار الضيق الذي كانت تفرضه مؤسسة الكنيسة، ودراسات الكتاب المقدس التي أصبحت النصوص المطبوعة تلازمها[49]. كان رايموندي يضمر برنامجا طموحا للطباعة يطمح إلى طباعة أكثر من ثمانين عملا، أغلبها في العلوم، والعربية، ولغات شرقية أخرى. وكان عليه لكي ينجح في ذلك المسعى أن يحصل على مخطوطات ذات صلة[50]، والحق أننا نعرف أن هناك مجموعة من المخطوطات الشرقية كانت متاحة لـه في المكتبة التي أحضرها إغناطيوس نعمة الله، بطرك أنطاكيا، إلى روما في العام 1577، وفي

النهاية تبرع بها للكاردينال فرديناندو وتم استثمارها في مطبعة آل ميدتشي[51]. من بين هذه الكتب ترجمة عربية لمخروطات أبولونيوس، وتشمل ثلاثة كتب فُقدت في النسخة اليونانية الأصلية، وقد عبر رايموندي عن نيته في نشرها[52]. على أن مطبعة ميدتشي لم تطبع غير كتاب واحد باللغة العربية بعد كتاب إقليدس في العام 1594، وهو كتاب علماني في النحو، يدور حول تصريف الأفعال، مع ترجمة لاتينية أنجزها رايموندي في العام 1610[53]. ولهذا الكتاب مقدمة يهديها رايموندي للبابا بول الخامس، ويزعم فيها أن موت غريغوريوس الثامن وإقصاء الكاردينال فرناندو إلى فلورنسا عندما جاء دوره في تولي عمدية توسكانيا، كانا من أسباب تأجيل الطباعة[54]. لكن إذا كانت هذه الأحداث قد جرت بين العامين 1585 و1587، قبل أن تظهر هذه المطبوعات، فيحق لنا أن نشك في أن الإخفاق التجاري لهذه المطبوعات المتخصصة كان هو العامل الحاسم[55]. على أي حال، عندما توفي رايموندي في العام 1614 توقفت المطبعة الميدتشية تماما عن العمل، ولكن الحروف العربية فيها لم تضع قط، ووجدت من يستخدمها بعد ذلك، في مطبعة الفاتيكان مثلا[56]، ومطبعة مجمع نشر الإيمان بالكتاب المقدس[57] التي تأسست في العام 1622 للإشراف على النشاط التبشيري، وكانت من أكثر مصادر نشر العلوم الشرقية ثراء في إيطاليا منذ العام 1626 وبعد ذلك.

استمرت الأعمال العربية، بفضل هذه الجهود وبفضل مؤسسات دينية أخرى، تُطبع في إيطاليا طوال القرن السابع عشر، والحق أن النظر فيما أنتجته المطابع الإيطالية من الكتب العربية يجعلنا نؤكد - في غير تردد - أنها تفوقت على مناطق أوروبية كثيرة في مجال صناعة الكتب العربية. بيد أن الكتب التي صدرت عن هذه المطابع، كتب غير متخصصة في كثير من الأحيان، تحتوي على مواعظ كنسية وتعاليم دينية في الأساس. كان ذلك يتسق تمام الاتساق مع الأهداف التبشيرية التي كان يضمرها القائمون على تلك المطابع؛ ومع الرقابة الصارمة التي كانت تفرضها السلطات الكنسية، مما كان يقضي على أي محاولات للبحث في أمور أخرى غير الأمور الدينية[58]. دار الحديث عن الرغبة في طباعة القرآن ونشره على الناس، ولكن الخوف من تأثيره المفسد في الناس كان كبيرا، فلم يُطبع القرآن وينشر إلا في أواخر القرن السابع عشر على يد لودفيجو مراتشي في بادوفا 1698، ولم يستطع

لودفيجو مراتشي طبع القرآن ونشره إلا بعد أن مهد الطريق إلى ذلك لدى مطبعة «مجمع نشر الإيمان» بطباعة عدد كبير جدا من الكتب والبحوث والكراسات التي تفند ما جاء فيه، وتدحض ما ورد في هذا الكتاب الذي كان العالم المسيحي يبغضه أشد البغض[59]. أضف إلى ذلك أن طبعة هنكلمان للقرآن كانت قد صدرت في هامبورغ في 1694. أنتجت إيطاليا أيضا كتبا في النحو العربي ومعاجم عربية مثل: «موجز مبادئ اللغة العربية» لصاحبه غوادانيولي Guadagnoli (روما 1642) [60]، و«موسوعة مفردات اللغة العربية» لصاحبها جيغي Giggei، وهو عمل ضخم (ميلان 1632) [61]، وهي كتب لم تكن ذات نفع كبير، ولم تكن تنافس في فائدتها تلك الكتب التي أنتجها العلماء الهولنديون في مجال العربية، أو كتاب إربنيوس Erpenius في النحو، أو معجم غوليوس. من المهم أن نذكر أن الكتاب العلماني (غير الديني) الوحيد المنشور بالعربية في إيطاليا في القرن السابع عشر، وهو ترجمة الأجزاء من الخامس إلى السابع لـ «مخروطات أبولونيوس»، عندما ظهرت في العام 1661، (انطلاقا من المخطوطة نفسها التي كان رايموندي قد وعد بطباعتها منذ سبعين عاما)، لم يحتوِ إلا على الترجمة اللاتينية من دون النص العربي[62].

كانت إيطاليا، وخصوصا روما، تستضيف عددا لا بأس به من المسيحيين الشرقيين من ذوي المهارات المهمة في مجال اللغة العربية. وأذكر منهم هنا: فكتور شيلاك، ويوحنا الحصروني، وجبرائيل الصهيوني في بداية القرن السابع عشر، وهم من الموارنة، وفيما بعد إبراهيم الحاقلاني، ونذكر منهم أيضا القبطي يوسف بن أبي دقن الذي عاش في روما قبل أولئك جميعا. كانوا جميعا - فيما عدا «شيلاك» - قد هاجروا فيما بعد إلى الشمال، وظهرت أهميتهم في تطوير دراسة العربية هناك، الحصروني، والصهيوني والحاقلاني في فرنسا، وأبو دقن في فرنسا وإنجلترا وهولاندا الإسبانية والنمسا. أيضا كانت الزيادة في مجموعات المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان من العوامل الحاسمة في نمو دراسة اللغة العربية في القرن السابع عشر[63]، على رغم أن هذه المجموعات لم تُستثمر في ذلك الوقت الاستثمار الأمثل[64].

(3) فرنسا

تتميز فرنسا عن سائر الدول الأوروبية بأمرين: الأول أنها أول دولة أوروبية تقيم علاقات رسمية مع الإمبراطورية العثمانية، والثاني أنها أول دولة تؤسس برنامجا منظما لتعليم العربية. وقد أُنجز الأمران كلاهما في عهد الملك فرانسوا الأول[65]. كان الأستاذ المحاضر باللغة العربية فيما أصبح يُعرف لاحقا بـالكوليج دي فرانس هو غيوم بوستل Guillaume Postel، الذي يستحق أكثر من غيره أن يُوصف بأنه أبو الدراسات العربية في أوروبا. وأعتقد أن المكان هنا لا يكفي لوصف - ولو بإيجاز - الجهود الضخمة إلى حد مذهل لهذا الرجل الغريب[66]؛ سوف أكتفي بالحديث عن الجوانب التي تتصل بموضوع كتابي اتصالا مباشرا. ما دفعه إلى الاهتمام باللغة العربية هو رغبته (الصادقة) في إشاعة نوع من السلام العالمي من خلال نشر كلمة الكتاب المقدس في كل مكان، وإيصال كلمة الرب إلى كل شعوب العالم قاطبة، وذلك عن طريق الوعظ باللغة التي تتحدث بها هذه الشعوب. ولكن من الواضح أن الرجل كان أيضا مفتونا بدراسة فقه اللغات على الإجمال. تعلم العربية وسائر اللغات التي كان يعرفها خلال رحلاته الكثيرة إلى الشرق: كانت الرحلة الأولى من العام 1534 إلى العام 1537، عندما صحب السفير الفرنسي «دي لا فوريست» إلى القسطنطينية، حيث أُبرمت المعاهدة بين فرنسا والباب العالي[67]. وعندما عاد إلى فرنسا عبر إيطاليا، حيث قابل هناك كثيرين، منهم صاحب دار طباعة للكتب العبرية يُدعى دانيال بومبرغ، وكان من أهل البندقية، والمستشرق المعروف تيسيو امبروجيو[68]، الذي عينته الدولة محاضرا ملكيًا في اللغة العربية في الكلية الملكية وكانت حديثة التأسيس في العام 1538. غير أنه فُصل من وظيفته في العام 1542، وفي العام 1544 عاد إلى إيطاليا، حيث التحق باليسوعيين، ولكنه ما لبث أن فُصل لاتهامه بالابتداع. ومن العام 1549 إلى العام 1550 ذهب في رحلة أخرى إلى الشرق، وفي أثنائها حصل على حماية السفير الفرنسي في القسطنطينية، ولكنه زار أماكن أخرى منها القدس وسورية. وعندما عاد إلى فرنسا كان قد نجح في أن يكون أهم صاحب مجموعة من المخطوطات العربية في أوروبا كلها. وفيما بعد اضطرته الظروف الاقتصادية السيئة التي مر بها إلى أن يبيع - أو يرهن - بعضا من هذه المخطوطات. لقد عُهِد بعدد كبير من هذه المخطوطات إلى

أوتهاينريش، أمير بالاتين في العام 1555، وقد أخفق بوستل في مساعيه التي بذلها لاحقا من أجل إعادتها، وانتهى المطاف بأغلبها إلى الفاتيكان، مع ما تبقى من مكتبة بالاتين Palatine Library، بعد أن نُهبت هايدلبرغ في العام 1622[69].

كان بوستل يدرِّس في فرنسا من العام 1538 إلى العام 1542، ثم بعد ذلك بين العامين 1551 و1553، ويبدو أن تأثيره كان ضعيفا هناك؛ ولكن في العام 1562، قبل اعتكافه في دير القديس مارتن في باريس بقية حياته، أثمر تدريسه هناك جوزيف اسكاليجيه، الذي أصبح فيما بعد من أعظم علماء عصره، وعاش معه زمنا قصيرا لكي يدرس العربية. وهناك آخرون ممن كانوا يدرسون العربية مع بوستل، منهم ببلياندر وفرانشسكس رافيلنغس. على أن ما نشره بوستل كان أهم من عمله في مجال التدريس. ففي العام 1538 نشر كتابا مهما بعنوان: «مقدمة لأبجديات اثنتي عشرة لغة مختلفة» Linguarum duodecim characteribus differentium (alphabetum introditio ac legendi modus longe facilimus[70]

الذي تضمن، مع لغات أخرى غريبة (مثل السامرية والإثيوبية)، قسما حول اللغة العربية، يُفتتح بالصلاة والتسليم على رسول الله، ونصوص أخرى قصيرة في تلك اللغة، منقولة بلغة متقعرة فظة إلى حد ما، ويلي ذلك مباشرة كتابه في النحو العربي[71]، وكان يقصد به خصوصا أن يُستبدل هذا الجزء به: وتكون العربية بذلك قد طُبعت بحروف طباعية متحركة، ولكن النتيجة كانت لاتزال غير مشجعة. ولم يكن النحو، المتأسس على التراث العربي الأصيل، مرضيا من وجوه كثيرة[72]. وعلى الرغم من كل ذلك ظل إحدى الأدوات الأساسية المتاحة لدراسة العربية في أوروبا: وهكذا كان «مختصر النحو العربي» Compendium of Arabic Grammar الذي ألحقه روتجر سباي إلى طبعته العربية لسنة 1583 «لرسالة إلى أهل غلاطية»، أكثر قليلا من مقتطف (غير موثق) من كتاب النحو لـ بوستل. ولم تكن القواعد المختصرة في الأبجدية العربية التي أنتجتها المطبعة المديتشية في العام 1592، (وهي لمؤلف مجهول مع احتمال أن يكون رايموندي نفسه هو المؤلف)[73]، ولا طبعة الكتاب الثاني المعنون بـ «كتاب التصريف» 1610، تكفيان لملء الفراغ بشكل كافٍ، ولم يكفِ في ذلك إلا كتاب النحو الذي حرره إربنيوس في العام 1613، مما جعل عمل بوستل قديما باليا. وقد شرع بوستل أيضا في إصدار معجم عربي[74]، ولكن ذلك لم يتحقق على الإطلاق.

ومن إحدى المخطوطات العربية التي كان بوستل يمتلكها في الشرق واحدة تحتوي على كتاب «الجغرافيا» لأبي الفداء، وهو عمل علمي يعود إلى القرن الرابع عشر، يمعن في وصف العالم المعروف بخطوط الطول وخطوط العرض في الكثير من الأمكنة. وعندما أدرك بوستل أهمية الكتاب في مجال الجغرافيا، راح يوجزه لـ أوتهاينريش Ottheinrich، ووقع الموجز في يد جيوفاني باتستا راموزيو، الذي كتب عنه مقالا في كتابه الشهير المعنون بـ «رحلات بحرية» في العام 1559، وأشار إلى ضرورة أن يُنشر العمل كله على الناس[75]، وقد وصلت أخبار هذا الكتاب إلى علماء أوروبيين آخرين في علم الجغرافيا، منهم أورتيليوس[76]، وألهب حماس الكثير من المستعربين في القرن السابع عشر، ومنهم إربنيوس، وفلهلم شيكارد[77]، وجون غريفز، ممن كانوا يخططون لإخراج طبعة كاملة لهذه الجغرافيا العربية مع ترجمة لها.

وبعد فصل بوستل لم يخلُفه أحد في منصب المحاضر الملكي للغة العربية لعشرات السنين[78]. والحق يُقال إن القرنين السادس عشر والسابع عشر عرفا محاضرين في اللغة العربية من أفذاذ العلماء بها، يذكر التاريخ منهم آرنولت دي ليزلي[79] الذي عُين في العام 1587 محاضرا في اللغة العربية وعلومها، ولكنه سافر في السنة التي بعدها إلى مراكش ليعمل طبيبا في قصر سلطان المغرب، وظل هناك إلى العام 1599. ربما يكون قد مارس بعض التدريس بعد عودته إلى جانب عمله الأساسي كدبلوماسي حتى وافته المنية في العام 1613. وأما خليفته كطبيب لسلطان مراكش فكان إتيان هيوبرت[80] الذي أتقن العربية في أثناء إقامته في المغرب، وعند عودته إلى باريس في العام 1600 شغل منصب المحاضر الملكي في اللغة العربية، وهو منصب ظل يشغله حتى العام 1613[81]. وعلى النقيض من آرنولت دي ليزلي، كان هيوبرت يدرس العربية بانتظام شديد. وبصرف النظر عن رأي سافاري دي بريف فيه بوصفه مستشرقا محدود المعرفة بالعربية[82]، وقليل التحصيل، فقد كان محل إعجاب علماء آخرين من أمثال كاسوبون واسكاليجيه وإربنيوس الذي كان يعترف بفضله ويقر بجميله عليه في تَعَلُّم العربية في أثناء سنوات تكوينه في فرنسا. وعلى الرغم من تشجيع كاسوبون لـه لم ينشر هيوبرت شيئا مكتوبا بالعربية[83]. وليس من شك في أن جبرائيل الصهيوني الذي خلفه كمحاضرٍ ملكي بين العامين 1614 و1648 كان قديرا في علوم العربية، وله أكثر من كتاب مهم منشور بها، غير أن أثره في الدراسات

العربية في فرنسا أقل من المتوقع، ويبدو أنه كان يتجنب إلقاء المحاضرات ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان العلماء والدارسون يعرفون كسله ويشهدون بذلك[84]. تأخر إصدار الكتاب المقدس الضخم في باريس الذي بدأ العمل به في عشرينيات القرن السابع عشر، حتى العام 1645 بسبب كسل هيوبرت وبطئه في الترجمة العربية التي كان مكلفا بها، وكان بيريسك كثير الشكوى منه بسبب ذلك[85].

وأما طباعة هذا الإنجيل فقد كانت تحتاج إلى حروف شرقية، وهو ما يذكرنا بتاريخ الطباعة بالحروف العربية في فرنسا؛ فلم يُطبع بالعربية شيء مهم في فرنسا حتى نهاية القرن السادس عشر بعد طباعة كتاب بوستل المعنون بـ «النحو العربي» بحروفه الغليظة المنفرة. وأما كايي دو لا بالم Cayet de la Palme فقد استخدم حروفا خشبية لكتابة الأجزاء العربية التي ضمنها كتابه المعنون بـ «من علوم الشرق» (باريس 1584)[86]، ثم كان أن سعى الناسخ غيوم لو بيه Guillaume Le Bé بابتداع حروف عربية على سبيل التجريب[87]. كان لو بيه نفسه مؤلفا لكتاب في النحو العربي لم ينشره، وكان مهتما بنشر النصوص العربية، وفي العام 1610 طلب من إربنيوس أن يعطيه كتاب النحو الذي كان يعمل على تأليفه حينذاك في سامور، لطباعته[88]. لم يظهر استخدام الحروف العربية طوال حياة لوبيه إلا عند طباعة بعض المفردات العربية في الطبعة التي ظهرت لكتاب اسكاليجيه المعنون بـ «متنوعات»، والذي قام على تحقيقه كاسوبون في العام 1610 «وفي أعمال أخرى لـ كاسوبون»(*) . على كل حال، كانت الحروف العربية الطباعية تُستخدم في فرنسا وفي أماكن مختلفة حتى أواخر العام 1805 [89].

كانت حروف الطباعة التي ابتدعها لو بيه، على الرغم من أنها لم تكن تخلو من أناقة، أكبر من اللازم في الحجم مما جعلها لا تصلح لطباعة النصوص العربية الطويلة بشيء من اليسر. وأما الحروف التي كانت سلسة واستُخدمت على نطاق واسع فقد كانت الحروف العربية التي ابتدعها فرانسوا سافاري دي بريف François Savary de Brèves، ولكنها كانت جزءا من خطة صاحبها لتقديم الدراسات الشرقية للفرنسيين[90]. كان فرانسوا سافاري دو بريف سفير فرنسا لدى

(*) من إضافات تومر. [المترجم].

الباب العالي، وكان يرأس المفاوضات التي أدت إلى توقيع اتفاقية بين السلطان أحمد الأول وهنري الرابع في العام 1604. وفي أثناء إقامته في القسطنطينية تعلم التركية والعربية، وظفر هناك بمجموعة كبيرة من المخطوطات الشرقية، ثم إنه كان سفيرا للبابا منذ العام 1608، فاستثمر المصادر التي أُتيحت لـه في روما في إرساء دار طباعة تهتم بطباعة الكتب باللغة العربية (مطبعة سفاريانا). وكانت حروف الطباعة التي استخدمها لهذا الغرض، بأحجام مختلفة، من أنسب حروف الطباعة العربية التي عرفتها أوروبا أو أي مكان آخر[91]. بهذه الحروف طُبع كتابان في روما هما: «ترجمة عربية لمواعظ الكاردينال بيلارمينو» في العام 1613، وطبعة للمزامير باللغة العربية مع ترجمة لاتينية في العام 1614[92]. وقد قام على تحقيق هذين العملين وترجمتهما اثنان من القساوسة اللبنانيين، وكانا يدرسان في الكلية المارونية وهما: جبرائيل الصهيوني ونصرالله شلق العاقوري. وعندما عاد إلى فرنسا في العام 1614 لم يأخذ سافاري دي بريف معه مطبعته ومخطوطاته وحسب، بل أخذ معه أيضا اختصاصي الطباعة الإيطالي الذي كان يعمل معه ويُدعى ستيفاني باولينو[93]، كما أخذ معه جبرائيل الصهيوني، وقسّا آخر من الطائفة المارونية وهو يوحنا الحصروني. كان سافاري دي بريف يأمل أن يُنشر الإنجيل بلغات متعددة تضم النص باللاتينية والعربية والسريانية في الوقت نفسه، وكان يريد أن ينشر أعمالا عَلمانية (غير دينية) أيضا باللغات العربية والفارسية والتركية، وكان يريد أن يصنف قاموسا في اللغة العربية. ونستطيع أن نحيط بذلك علما عندما نقرأ ما تركه من مخطوطات، والتي تحتاج إلى متخصصين يحققونها، ولهذا الغرض عمل على إنشاء كلية في باريس تُعنى بالدراسات الشرقية[94]. ولكن هذه الخطط كانت في حاجة إلى تمويل، ولم يكن «دو بريف»، الذي أنفق الكثير من ماله الخاص في تأسيس دار الطباعة، يمتلك المصادر الكافية، على الرغم من منصبه الكبير بوصفه وصيّا على أخي الملك، «دوق أنجو». وقد استطاع أن يظفر بمعاش من الملك لويس الثالث عشر للحصروني والصهيوني؛ فالأول كان المترجم الملكي، والثاني كان أستاذا للغتين العربية والسريانية في الكلية الملكية. بيد أن الدعم الملكي أو غير الملكي كان قليلا في الوقت نفسه، فلم تتمكن مطبعة سافاريانا من طبع الكثير من الأعمال[95]. وفيما عدا النص التركي للمعاهدة التي أسهم دي بريف في مفاوضاتها في العام 1604، لم

تطبع المطبعة في باريس غير كتاب بعنوان: «النحو العربي من تأليف الموارنة» في العام 1616، وكان الجزء الأول من هذا المشروع ذي الأجزاء الخمسة من تأليف الصهيوني والحصروني، ولا نعرف من ألف الأجزاء المتبقية[96]. وفي العام 1618 فقد سافاري دي بريف مكانته لدى السلطات الحاكمة وفُصل من منصبه. وأما الصهيوني والحصروني فقد احتفظا بمنصبيهما، ولكن الموارد التي كانت متاحة أمامهما كانت أقل من أن تتيح لهما الاضطلاع بنشر النصوص العربية، وعلى الرغم من ذلك نشرا ترجمة لاتينية لكتاب الجغرافيا الذي كانت المطبعة الميدتشية قد طبعته في العام 1592 بعنوان «جغرافية النوبة». وقد نشرا هذا الكتاب على حسابهما الخاص في العام 1619، وبيعت منه نُسخٌ كثيرة، خصوصا بعد أن أضافا إليه ملحقا يتناول جغرافية الشرق الحديثة على أساس ما كان ينشره الجغرافيون العرب.

وعلى الرغم من أن المطبعة السافارية توقفت عن العمل فعليّا في العام 1618، فقد ظلت حروف الطباعة الشرقية يُنتفع بها في أماكن أخرى[97]. لقد استُخدمت حروف الطباعة العربية في طباعة إنجيل باريس الكبير متعدد اللغات(*) والذي نشره ميشيل لو جي Michel Le Jay ، وطبعه (بدءا من العام 1628) آندريه فيتراي André Vitray الذي عُين في العام 1630 بوظيفة فني طباعة لدى الملك لشؤون اللغات الشرقية. وبعد وفاة دي بريف في العام 1627، ظهرت مخاوف في باريس من أن مخطوطاته، خصوصا مطبعته، يمكن أن تُباع للهيوغونوتيين Huguenots(**) الأجانب، تحديدا الهولنديين أو الإنجليز[98]. وعلى هذا الأساس، اضطر فيتراي في العام 1632، انصياعا لأمر ملكي، إلى شراء الحروف الطباعية والمخطوطات من ورثة «بريف»[99]. قام الحصروني والصهيوني على إعداد النصوص العربية والسريانية لنسخة باريس من الكتاب المقدس متعدد اللغات، بالترجمات اللاتينية[100]، وبعد فترة وجدنا أحد خريجي الكلية المارونية في روما يشارك في المهمة، وهو إبراهيم الحاقلاني الذي قضى جل حياته في إيطاليا، ولكنه عاش ونشر أعماله في باريس من العام 1640 إلى العام 1641، وعاد مرة أخرى ليعيش هناك

(*) Paris Polyglot Bible.

(**) هم البروتستانت الفرنسيون، وكانوا أقلية وسط أغلبية كاثوليكية تضطهدهم أشد الاضطهاد. [المترجم].

بين العامين 1645 و1653. على أن أغلب العمل في هذا الكتاب يقع على عاتق الصهيوني الذي كان تباطؤه يؤدي إلى مشاجرات تنتهي بقضايا بينه وبين فيتراي ولو جي. وقد انتهت الأمور بالصهيوني إلى السجن في وقت ما في العام 1640، ولم يُطلق سراحه إلا بعد أن تعهد بالفراغ من إعداد طبعة الكتاب المقدس متعدد اللغات بحلول عيد القيامة[101]. وعلى الرغم من كل ذلك لم ينته الصهيوني من إعداد الكتاب المقدس متعدد اللغات حتى العام 1645، وقد صدر في عشرة مجلدات مهيبة، وكان إنجازا ضخما من ناحية الطباعة والجهد الأكاديمي، ولكن من ناحية أخرى لم يكن نجاحا كبيرا في مجال الدراسات العربية في القرن السابع عشر في فرنسا. فلم تشهد فرنسا نشر كتاب واحد باللغة العربية خلال ما تبقى من القرن السابع عشر، وأغلب القرن الذي يليه. وفي العام 1656 نُقِلت مطبعة سافاري دو بريف إلى المطبعة الملكية الفرنسية، وبعدها اختفت تماما حتى ظن البعض أن التلف أدركها، ثم ظهرت مرة أخرى على يد دو غين في العام 1787[102].

ولم يكن هذا الوضع المتردي في دراسات العربية راجعا إلى نقص في عدد المستشرقين الفرنسيين القادرين على أداء المهمة، من بين الأساتذة في الكلية الملكية مثل بيير فاتييه (1658 - 1667)، وفي أماكن أخرى. تلقى بعض أولئك الخبراء تعليمهم وتدريبهم اللغوي خارج فرنسا، مثل آندريه دو راير الذي كان قنصلا لفرنسا في الإسكندرية لسنوات متعددة. ولدينا مثال ج. ب. دوفال الذي سافر إلى إيطاليا - بعد أن تعلم مبادئ العربية على يد هيوبرت في باريس - للدراسة مع رايموندي والصهيوني وسيالاك، كما سافر إلى بلاد الشام قبل أن يعود إلى باريس ليصبح المترجم الخاص للملك في مجال اللغات الشرقية[103]، وآخرون، مثل كلود هاردي وغيلبرت وغولمين، كانوا من الهواة الذين عشقوا العربية بوصفها تخصصا جديدا، ومجالا فكريًا مختلفا عن تخصصاتهم الأصلية[104]، وهؤلاء لم ينشروا شيئا بهذه اللغة. ومن الملاحظ أن ما نُشر في فرنسا بعد العام 1645 لم يكن إلا ترجمات وليست نصوصا أصلية. اشتهرت في ذلك الوقت ترجمة آندريه دو راير للقرآن إلى الفرنسية من اللغة العربية مباشرة في العام 1647[105] وكانت ترجمة شائعة مشهورة حتى أن الإنجليز والهولنديين نقلوها إلى الإنجليزية[106] والهولندية. وترجم فاتييه نسخة إربِنيوس لكتاب «تاريخ الأماكن»[107]، وطبعة غوليوس لسيرة تيمور

لابن عربشاه، ومنطق ابن سينا وديوان الطغرائي[108]. والحق أن بعض الفرنسيين بذلوا جهودا لطباعة أعمال إلى العربية، ومن أغرب هذه الجهود الاستيلاء على مطبعة سرية في مدينة «كاين» الفرنسية في العام 1644 [109]. وقد اتفق القائمون على هذه المطبعة وهم من البروتستانت (بعون من الصهيوني وابن أخيه) على الحصول على الحروف الطباعية العربية التي ابتدعها سافاري دو بريف[110]، وقالوا إنهم يريدون استخدامها في طباعة كتاب «الحيوان» Hierozoicon لصامويل بوشار، القس الكالفيني لمدينة «كاين»، وكان تلميذا لإربنيوس ومستعربا لا يُستهان بـه[111]. وفي مارس من العام 1669 كتب مالكِزِدِك تيفِنو Melchisédech Thévenot إلى كولبرت، الذي كان قد اشترى له مخطوطات شرقية في أمستردام، عن خطته لإنتاج طبعة كاملة وترجمة لكتاب الجغرافية لأبي الفداء[112]. ولكن إدوارد برنارد الذي كان يعيش في هولندا في ذلك الوقت أخبر بوكوك بأن تيفِنو فشل في أن يجد في هولندا كلها من يرغب في الاضطلاع بنشر هذه الترجمة[113]. ومن الواضح أن تيفنو كان يدرك أن نشر عمله في فرنسا[114] كان من المستحيلات إذا لم يُنشر في أي مكان آخر. وقرب نهاية القرن جمع دربلو d'Herbelot كتاب «المكتبة الشرقية» باللغة العربية، وخطط كولبرت لامتلاك مطبعة بحروف اللغات الشرقية لطباعة هذا العمل، وانتهى هذا المسعى بالفشل بعد موت كولبرت في العام 1683[115] حتى أن النسخة المنشورة مطبوعة كلها باللغة الفرنسية.

يذكرنا ذكر كولبرت بوجود ظاهرة كانت شائعة في فرنسا في القرن السابع عشر، وهي ظاهرة تكدس المخطوطات العربية والشرقية بين المجموعات التي كان يجمعها وزراء الملك والأثرياء وذوو النفوذ. وقد انتهى الأمر بالمخطوطات التي جمعها سافاري دو بريف إلى مكتبة الكاردينال ريشيليو[116]. ومن الأمور التي كانت مثيرة أيضا في ذلك الوقت تنظيم الرحلات إلى الشرق بحثا عن المخطوطات وعملات النقود وما إلى ذلك من الأشياء الأثرية الأخرى. من أبرز من كانوا يفعلون ذلك الكاردينال مازاران، وأيضا كولبرت[117] على وجه الخصوص؛ فقد جمع لـه وانزلبِن Wansleben - الألماني المتحول إلى الإسلام - مجموعة ضخمة جدا من المخطوطات والنقود والأثريات من مصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية من العام 1671 إلى العام 1675. وفي بدايات القرن السابع عشر على وجه الخصوص برز نجاح العلامة فابري

دي بيريسك Fabri de Peiresc في جمع أكبر قدر من المخطوطات الشرقية، ويُرجح أن ما ألهمه وشجعه على ذلك الخبر الذي تلقاه فيما يتصل بثراء المخطوطات العربية التي عاد بها ياكُب يوليوس Jacobus Golius من الشرق[118]. على أي حال، ساعدته صلاته ببلاد الشام من خلال تجار مرسيليا على اقتناء بعض المخطوطات العربية، وقد دفعته عدم قدرته على قراءة هذه المخطوطات أو فهمها إلى التخلي عنها لآخرين. على سبيل المثال، نجده يرسل مخطوطة موسيقية إلى مرسين Mersenne في باريس، ولم يكن مرسين مؤهلا لقراءة المخطوطة فالتمس العون من الصهيوني في تفسيرها[119]. أيضا أمد سالمازيوس بعدد كبير من المخطوطات التي تشهد عليها رسائل سالمازيوس نفسها[120]. وهو أيضا ما يشهد على التأثير الكبير لعلاقات بيريسك Peiresc بالشرقيين، حتى أن ياكُب يوليوس في لايدن، استثمر جهود بيريسك في جعله وسيط اتصال بأخيه بطرس في حلب، حتى مع وجود قنصلية هولندية في تلك المدينة[121].

لقد انتهى الأمر بجميع هذه المخطوطات - تقريبا - ومثلها إلى المكتبات الكبرى في باريس، أغلبها قابع الآن في المكتبة الملكية[122]، ما أسهم في تكوين أساس المجموعة الرائعة للمخطوطات العربية في المكتبة الوطنية الفرنسية. ولولا هذه المجموعة من المخطوطات لما تمكن سلفستر دي ساسي Silvestre de Sacy من إحياء الدراسات العربية في فرنسا، ومن ثم في أوروبا كلها في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر كلـه. وإذا عدنا قبل هذين القرنين فسنجد أن المجموعة الملكية كانت مصدرا مهما من مصادر المكتبة الوطنية التي أعدها بارتِلمي دربلو Barthélemy d'Herbelot[123] التي زودت أوروبا في القرن الثامن عشر بمراجعها الأساسية فيما يتعلق بالشرق الأدنى. وقد ظهرت هذه المخطوطات بعد وفاة بارتِلمي هربلو في العام 1697، وكانت اعتمدت على النصوص التي نشرها إربِنيوس وجوليوس في هولندا، والتي أذاعها بوكوك في إنجلترا، وأيضا على عدد من الكتب العربية والفارسية غير المنشورة التي كانت متاحة على هيئة مخطوطات في باريس، خاصة: ذلك العمل المرجعي الضخم المعنون بـ «كشف الظنون» لحاجي خليفة[124]. وهذا دليل واضح على علم دربيلو الذي أشاد به علماء مهمون مثل ج. ج. رايسكه J. J. Reiske الذي رأى أن الجهد الذي بذله في إنتاج طبعة محققة لكتابه جهد في محله[125].

(4) ألمانيا

عند النظر في الدور المركزي الذي مارسه الألمان (رويشلن وسيباستيان مونستر على سبيل المثال) في ازدهار الدراسات العربية في أوروبا القرن السادس عشر[126]، يبدو مدهشا أن أولئك الألمان الذين نشطوا للدراسات العربية في أثناء القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر كانوا قلة، ولم يكن لهم تأثير كبير. ويمكن أن نُرجع ذلك في القرن السادس عشر إلى عوامل كان لها تأثيرها في أوروبا كلها خارج إيطاليا، وهي ندرة النصوص، وندرة المدرسين الذين يدرِّسون هذه النصوص باللغة العربية[127]. على أن سبب التخلف النسبي للبلاد الناطقة بالألمانية في هذا المجال لم يكن ذلك التشظي السياسي والديني، وما أسفر عنه من تأثيرات مدمرة في ألمانيا إبان حرب الثلاثين عاما[128]، التي كانت محتدمة في أثناء ازدهار هذه الدراسات في بلاد أخرى في أوروبا البروتستانتية خصوصا في هولندا وإنجلترا. قبل أن تندلع هذه الحرب في العام 1618، ظهرت بداية مبشرة عندما أنشأ بيتر كيرستن - الذي عرف العربية من خلال علاقته بالطب - مطبعة عربية في بريسلاو[129]، أصدرت عددا من الكتب العربية في النحو والطب واللاهوت المسيحي في أثناء الفترة من العام 1608 إلى العام 1611[130]. ولكن الرجل اضطُر إلى الانتقال إلى بروسيا بعد اندلاع هذه الحرب مصطحبا معه مطبعته. وفي العام 1632 كتب إلى بدوِل من دانزيغ[131] يخبره بأنه كان يرغب في الانتقال إلى إنجلترا مع أسرته ومطبعته، ولكن عندما لم تصل أي ردود على رسائله راح يفكر في العودة إلى ألمانيا. وفي العام 1636 شد الرحال إلى السويد، ومعه مطبعته العربية أيضا، ليعمل هناك طبيبا للملكة كريستينا، وهناك توفي في أوبسالا في العام 1640، من دون أن ينشر شيئا آخر.

ومن ضحايا حرب الثلاثين عاما أيضا مكتبة بالاتين في هايدلبيرغ Heidelberg، والتي أصبحت - بفضل ما قدمه لها بوستل من مخطوطات - من أهم المصادر الأساسية للمخطوطات العربية التي كان ينتفع بها العلماء في شمال أوروبا في أثناء القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر[132]. ومن بين أولئك الذين استعاروا منها مخطوطات عربية لغرض استنساخها كان إربِنيوس في هولندا وتنغناغل Tengnagel في النمسا. ولكن هيدلبرغ حُوصرت ونُهبت من قِبَل جيش تيلي Tilly في العام 1622. في ذلك الوقت تم الاستيلاء على المكتبة العظيمة ونقلها - في النهاية

- إلى الفاتيكان حيث أصبحت المخطوطات العربية هناك بعيدة المنال. وكان ماتياس باسور Matthias Pasor من بين المدافعين عن حصار هيدلبرغ، وأصبح باسور فيما بعد من كبار المستعربين في أكسفورد[133]، ولم يكن وقت الحصار على علاقة تُذكر باللغة العربية. ومثل آخرين، لم يجد باسور من يعلمه العربية في ألمانيا، ولكن في أمكنة أخرى، وغالبا في مدينة لايدن. نجد على سبيل المثال، يأتي يوهان إليشمان Johann Elichmann من سيليزيا، ولكنه استقر في لايدن[134]. وكان ليفِنَس فامر Levinus Wamer من بين تلاميذ غوليوس الألماني في لايدن[135] وكذلك كان ج. هـ. هوتنغر J. H. Hottinger الذي أصبح - بعد أن درس مع باسور في غروننغن Groningen في العام 1639، ومع غوليوس (بين العامين 1640 و1641)[136] - أستاذا للغات الشرقية في زيورخ، مسقط رأسه. وهناك، وهو أستاذ في هيدلبرغ من العام 1655 إلى العام 1661، أصدر كتبا متعددة في السيرة والببليوغرافيا التي، على الرغم من أنها كانت متوسطة القيمة، كانت لها بعض الأهمية في الدراسات الشرقية نظرا إلى النقص الشديد في المراجع في هذا المجال[137]. وأخيرا من بين الألمان الذين درسوا مع غوليوس في لايدن يمكن أن نذكر تيودورس بتريوس Theodorus Petraeus في فلنزبورغ، وكان يعمل مع إدموند كاستل في إنجلترا، وكرستيانوس رافيوس في برلين، وكان عالما مشهورا في هولندا والشرق وإنجلترا والسويد، وسوف نأتي على ذكرهما بعد حين.

كانت الدراسات العربية في شمال ألمانيا في مستهل القرن السادس عشر تنطلق في الأساس من مكتبة بالاتين في هيدلبرغ. هناك أصدر اليهودي المتحول إيمانويل ترميليوسImmanuel Tremellius ومساعده فرانشيسكوس جونيوس (فرانسوا دو جون من بورج) ترجمة جديدة للعهد القديم من العبرية، وأنجز جونيوس ترجمة لاتينية من العربية من سفر أعمال الرسل، والرسائل إلى أهل كورونثوس[138]. كان هناك على الأقل تلميذان لجونيوس في هيدلبرغ يعملان على إخراج الكتب العربية، أولهما هو روتغر سبي Ruthger Spey، الذي أصدر في العام 1583، «الرسالة إلى أهل غلاطية» بالعربية من المخطوطات العربية في مكتبة بالاتين، (وكانت إحدى مخطوطات بوستل) التي كان جونيوس قد استخدمها، مع ملخص للنحو العربي. في هذا الكتاب ظهر النص العربي بحروف قُدت من خشب[139]. وكان التلميذ الثاني

هو جيكوب كرستمان[140] الذي نشر مقدمة موجزة لتعليم قراءة العربية وكتابتها، أو ما يسمونه الأبجدية العربية (أيضا بحروف عربية خشبية) في العام 1582[141]. وفي العام 1590 أنتج ترجمة لاتينية لعمل الفرغاني في علم الفلك، استمدها من مخطوطة من مخطوطات مكتبة بالاتين كانت مترجمة من العربية إلى العبرية التي كان اليهود يكتبونها في العصور الوسطى[142]. غير أن هذا التعليق يضم النص العربي بحروف خشبية أيضا، وفي التصدير الذي يهديه الكاتب لـ: أمير بالاتين يوحنا كاسمير Kasimir، يدعو فيه كرستمان إلى تأسيس كرسي أستاذية للغة العربية، وإلى نشر النصوص العربية القابعة في مكتبة بالاتين. وفي العام 1607 نعرف من رسالة من أمين هذه المكتبة، واسمه جان غروتر Jan Gruter إلى تنغناغل[143] يقول فيها إنه بسبب نقص في حروف الطباعة العربية والإهمال العام للدراسات العربية فإن كرستمان يتوقف عن العمل في تحقيق المخطوطات القابعة في هيدلبرغ. والحقيقة أنه على الرغم من أنه عُين في منصب أستاذ العربية في هيدلبرغ في العام 1608، (وهو أول منصب في اللغة العربية في ألمانيا)، فإنه لم ينشر شيئا بعد كتاب الفرغاني. والغريب أن حروف الطباعة العربية كانت موجودة في ألمانيا على الأقل في أوائل العام 1587[144]، ولكن هذه الحروف لم تُستخدم إلا في طباعة سطر في طبعة إلياس هوتر Elias Hutter للكتاب المقدس في اللغة العبرية في هامبورغ في ذلك العام[145]. وواضح جدا أن هذه الحروف بدأت تُستخدم على نطاق معقول منذ العام 1639 وما تلاه، وفي هذا التاريخ أيضا انتقلت هذه الطباعة إلى آلتدورف Altdorf حيث ظهرت في كتاب تيودوريكس هاكسبان Theodoricus Hackspan المعنون بـ: «نصوص مقدسة Locutiones Sacrae»[146] وأعمال أخرى متعددة في القرنين السابع عشر والثامن عشر[147].

وهناك تجليات أخرى لظهور العربية في شمال ألمانيا في القرن السادس عشر، وهي تجليات متفرقة وليست لافتة للنظر، نذكر منها كتابا بعنوان: «مقدمة في اللغة العربية» من تأليف بارتولوميو راتمان Bartholomaeus Radtmann، وهو عمل نادر نُشر في فرانكفورت آن در أودر at Frankfurt an der Oder في العام 1592[148]. أما في النمسا، حيث كانت العلاقات مع الإمبراطورية العثمانية وثيقة على الرغم من العداء في الأغلب، فقد كان هناك اهتمام كبير باللغات والعادات

بهذا الجار العتيد. وعلى الرغم من أن اللغة التركية كانت أكثر انتشارا بين الدارسين، فإن الاهتمام باللغة العربية كان كبيرا أيضا، وكان من أكثر المهتمين بها على سبيل المثال: يوهان ألبرشت فدمان شتيتر Johann Albrecht von Widmanstetter، وهو تلميذ تيسيو أمبروجيو Teseo Ambrogio، وكان مشهورا بوصفه ناشر الأناجيل باللغة السيريانية (فيينا 1555)[149]. كان فدمان شتيتر Widmanstetter مسؤولا عن تعيين بوستل لتدريس العربية في فيينا في العام 1554، على الرغم من أن بوستل لم يستمر أكثر من شهور قليلة في هذا العمل. ويبدو أن ترجمة فدمان - شتيتر للقرآن إلى اللاتينية اختفت ولم يُقدَّر لها الظهور، وكذلك لم يُقدَّر لكتاب النحو العربي الذي وعد به أن يظهر إلى الوجود[150]. في النهاية كان سيباستيان تنغناغل Sebastian Tengnagel أكثر تأثيرا في الدراسات الشرقية في فيينا؛ فقد كان سيباستيان أمينا للمكتبة الإمبراطورية هناك من العام 1608 إلى العام 1636[151]. كانت مهارات سيباستيان اللغوية عظيمة، جعلت لوكاتس هولستن يصفه بأنه أفضل أستاذ للغات الشرقية في أوروبا[152]. وعلى الرغم من أن سيباستيان لم يؤلف كتبا، فإنه راح بإصرار يجمع المخطوطات الشرقية ويضمها إلى المكتبة، كان يلتمسها عند مترجمي الإمبراطور، ووسطاء آخرين في القسطنطينية[153]. سعى أيضا إلى اقتناء نصوص عربية عندما استعار مخطوطات من هيدلبرغ، وإلى الحصول على مجموعات أوروبية أخرى والعمل على نسخها. لهذا الغرض استعان - لبعض الوقت - بخدمات درويش إبراهيم، وكان من الأسرى الأتراك[154]. لقد حاول أيضا أن يستعين - من دون نجاح يُذكر - فيلهلم شيكارد Wilhelm Schickard الذي كان معروفا بوصفه من كبار المستشرقين، في الانتقال من توبنغن Tübingen إلى قصر الإمبراطور في فيينا[155]. وكان من شأن نشر مراسلاته المتعددة مع علماء في جميع أنحاء أوروبا، البروتستانت منهم والكاثوليك، أن يكون محط اهتمام الراغبين في دراسة تاريخ الدراسات الشرقية وعلومها على الإجمال. بيد أن هذه المراسلات لم تُنشَر إلا على نطاق ضيق[156]. لا ننكر أن تنغناغل أسهم في زيادة المصادر الشرقية في المكتبة الإمبراطورية، غير أن هذه المصادر لم يُستفد منها كثيرا إلى عصر مننسكي Meninski، الذي نشر معجمه الكبير التركي/ عربي/ فارسي في العام 1680[157]، وكان يركز على التركية أكثر من تركيزه على العربية.

لم نظفر بالعلامات الأولى على وجود ثمار لهذا الاشتغال بالدراسات العربية إلا في أواخر القرن السابع عشر في ألمانيا، والتي شهدتها ألمانيا بعد هولندا في القرن الثامن عشر، وراحت تنافس فرنسا على المركز الأول في ذلك القرن. وأما ما نشره هوتنغر Hottinger في خمسينيات القرن السابع عشر وستينياته، على الرغم من عدم تعمقه في الموضوع، فلن نستطيع أن نقول إنه غير مهم. كان طبيب أوغسبرغ المدعو جورجيوس هيرونيموس فلشيوس Georgius Hieronymus Velschius [158] غريب الأطوار، ولكنه كان متضلعا من اللغة العربية ومتبحرا في علومها. يظهر ذلك أكثر ما يظهر فيما نشره «تطبيقات في الطب» (وفي تصديره لهذا العمل نشر نصا وترجمة لجزء محدود من كتاب «القانون في الطب» لابن سينا)، ومن تفسيره للروزنامة[159]. وأكثر ما يلفت النظر في هذا الصدد إصداره النص العربي للقرآن الذي أعده أبراهام هنكلمان في هامبورغ في العام 1694[160].

(5) الأراضي المنخفضة

كان الاهتمام بالعربية في مملكة الأراضي المنخفضة في السنوات الأولى من القرن السادس عشر مقصورا على المناطق الجنوبية من هذه المملكة (وهي الأراضي المنخفضة الإسبانية، وما يُسمى ببلجيكا اليوم). في هذا المكان - حتى قبل بوستل في فرنسا - نجد أن نيكولاوس كلناردس Nicolaus Clenardus Clenardus [161] (أو كليناردس من ديست Diest في برابانت Brabant) - كان لـه اهتمام كبير بالعربية وآدابها[162]. فبعد أن استوعب المبادئ الأولى لهذه اللغة في لوفان من خلال انكبابه المتصل على دراسة كتاب المزامير الذي أصدره أوغستينو جوستينياني بثلاث لغات، سافر إلى الخارج بحثا عن معلم يعلمه اللغة العربية. لم يجد ضالته في باريس بين العامين 1530 و1531، لكنه علم بوجود قسم للغة العربية في جامعة سالامانكا. وصل إلى سالامانكا في نهاية العام 1531، وخاب أمله عندما لم يجد من يُدَرِّس العربية هناك. وفي النهاية ظفر ببعض الدروس في العربية، وظفر أيضا ببعض المخطوطات العربية[163] من إيرنان نونيز Hernán Núñez (الذي كان يُدَرِّس اليونانية في الجامعة لكنه تعلم العربية قبل ذلك بسنوات). غير أن الصعوبات التي واجهها في إسبانيا في العثور على معلم يعلمه العربية يدل عليها رفض أحد

الموريسكيين - وكان معلما لـنونيز - أن يعلمه شيئا منها، فقد كره هذا الموريسكي اللغة العربية في اللحظة التي تحول فيها عن الإسلام إلى دينه الأول، وكان يظن أنه إذا عاد إلى الحديث بالعربية فربما أثار شكوك محاكم التفتيش[164]. وعلى رغم ذلك، ظفر كليراندس بمغربي كان أسيرا في غرناطة، ويبدو أن كليراندس اشترى هذا الأسير ليعمل عبدا لديه. تلقى كليراندس تعليمه في اللغة العربية والدين الإسلامي على يد هذا المغربي المستعبد، وكان ما عرفه كليراندس من اللغة العربية والدين الإسلامي عن هذا الرجل كفيلا بأن يجعله يصمم على أن يكرس ما تبقى لـه من الحياة لدراسة العربية ليجعلها المدخل الذي يدخل منه لمحاربة هذا الدين[165]. قضى كليراندس عاما (من العام 1540 إلى العام 1541) يتعلم اللغة ويجمع المخطوطات في مدينة فاس المغربية. ولكن كل ما جمعه من مخطوطات سرق منه بينما كان لايزال في شمال أفريقيا. لم ييأس، وراح يضع الخطط للقيام برحلة أخرى إلى مراكش، غير أن المنية وافته وهو في الطريق، في غرناطة في العام 1542. ولم يتبق شيء مما كتبه بالعربية، بما في ذلك كتابه في النحو العربي، ومعجمه[166]، ولكن رسائله التي اهتم بها الباحثون المعاصرون[167]، وجدت من يطبعها بعد ذلك، وكانت مصدرا لإلهام كثير من المستشرقين الأوائل.

كان الإنجاز الكبير في مجال الدراسات الشرقية في الأراضي المنخفضة الجنوبية هو الكتاب المقدس باللغات المتعددة، والمطبوع في مطبعة بلانتين في أنتورب من العام 1568 إلى العام 1572. وعلى رغم أنه كان أول كتاب متعدد اللغات يتضمن شروحا باللغة الكلدية للعهد القديم كله، وترجمة للعهد الجديد باللغة السريانية، فإنه لم يتضمن الترجمة العربية. ولكن بعض الذين قاموا على تحقيق هذا العمل كانوا متعمقين في اللغة العربية، نذكر منهم على سبيل المثال: فلمنغ أندرياس مازيوس Fleming Andreas Masius[168]، وكان ممن درسوا اللغة العربية على بوستل في روما، وأيضا رئيس التحرير الإسباني بنيتو أرياس مونتانو Benito Arias Montano. أضف إلى ذلك أن أحد الذين أسهموا في طباعة هذا الكتاب المقدس وهو فرانشيسكوس رافيلنغيوس Raphelengius (صهر كرستوفر بلانتنوس)، أصبح من الشخصيات المهمة التي أسهمت في ازدهار الدراسات العربية في جمهورية هولندا[169].

وبعد ثورة الهولنديين على الحكم الإسباني، وخصوصا بعد تأسيس جامعة لايدن في العام 1575، أصبحت هولندا هي مركز الدراسات العربية في البلاد المنخفضة(170)، خصوصا في لايدن وأمستردام. وفي العام 1585 انتقل رافيلنغيوس إلى لايدن ليؤسس قسمه الخاص به في مطبعة بلانتين، وما لبث أن أصبح المسؤول الأول عن الطباعة في الجامعة. ليس هذا فقط، بل أصبح أستاذا للعبرية أيضا. ومما زاده حماسا لتَعَلُّم العربية وصول أعظم عالم ورائد من رواد تَعَلُّم العربية في أوروبا كلها إلى لايدن، جوزيف جستس اسكاليجيه Joseph Justus Scaliger الذي شغل منصب أستاذ اللغة العربية هناك العام 1593. وحصل رافيلنغيوس على حروف طباعة عربية يريد بها أن يعيد طباعة بعض الكتب التي ألفها اسكاليجيه، وأصدر عينة من هذه الكتب المطبوعة في مطبعته في العام 1595[171]. ولما كانت تلك الحروف أكبر حجما من اللازم فإنها لم تصلح لطباعة نصوص عربية طويلة، ولم تصلح أيضا لطباعة مقتطفات من النصوص العربية لتوضع في ثنايا نصوص أخرى[172]، ولم تُستخدم في أثناء حياة رافيلنغيوس إلا في طباعة بعض الفقرات القصيرة في بعض الكتب الأكاديمية، مثلما حدث عند إعادة طباعة كتاب اسكاليجيه المعنون بـ «دراسة في تصحيح الأزمنة والتواريخ»[173]. وقد قضى رافيلنغيوس سنوات متعددة في جمع معجم في العربية، بيد أن المعجم لم يُنشر حتى وفاته في العام1597[174].

كان اسكاليجيه، على رغم اهتمامه الشديد بالعربية منذ سن مبكرة (كما رأينا أنه درس على بوستل في شبابه)، يعرف تمام المعرفة أن معرفته باللغة متواضعة. وعلى رغم ذلك كان موقفه من دراسة العربية يسبق عصره[175]. أما عن أسلافه ومعاصريه من بين المستعربين الأوروبيين فقد كانوا يركزون على النصوص المسيحية، وخصوصا في نصوص الكتاب المقدس، ومن خلال معرفتهم بالصلة الوثيقة بين اللغة العبرية واللغة العربية، فقد كانوا يزعمون أن العبرية أم العربية، ومن ثم فالعربية ابنتها بطبيعة الحال[176]، وأنه يمكن استخدام أي منهما في تفسير الأخرى. والحق أن اسكاليجيه رفض المنهجين كليهما، وركز بدلا من ذلك على ضرورة قراءة القرآن؛ ليس بهدف إشاعة الاضطراب في قلوب المسلمين (وكان ذلك من الأهداف الشائعة لتَعَلُّم العربية في ذلك الوقت)؛ بل باعتباره المدخل الوحيد الممكن لفهم اللغة والتاريخ، وهي أمور ينبغي أن تُدرس لذاتها. كانت إسهامات اسكاليجيه في مجال العربية

متواضعة[177]، على رغم أن معجم المترادفات الذي وضعه في العربية قد استخدمه رافيلنغيوس، واستخدمه فيما بعد إربِنيوس الذي نشر طبعة اسكاليجيه لمجموعة من الأمثال العربية في مخطوطة أرسلها إليه كاسوبون. والمثل الأهم من ذلك هو الذي وضعه اسكاليجيه لأولئك الذين كان يشرف عليهم في لايدن، وأولهم إربِنيوس نفسه، وجمعه للمخطوطات الشرقية على مدى سنوات متعددة من مصادر في أوروبا والقسطنطينية والقاهرة وأماكن أخرى، وهي التي أهداها وهو على سرير الموت في العام 1609، لمكتبة جامعة لايدن، مما أسهم في إنشاء ما أصبح فيما بعد أكبر مجموعة مخطوطات في اللغة العربية في أوروبا كلها.

يظهر لنا عند الحديث عن توماس إربِنيوس Thomas Erpenius (فان إرب)[178] أنه أول أوروبي أصلي يتعمق في اللغة العربية وعلومها. وُلِد إربِنيوس لأسرة ميسورة من أصل برابنتي Brabantine، والتحق بجامعة لايدن في العام 1602، حيث شهد لـه الجميع بالتفوق في النواحي الأكاديمية، ولقي تشجيعا من اسكاليجيه على اهتمامه باللغات الشرقية، على رغم أنه في ذلك الوقت لم يكن يعرف غير العبرية، ولم يكن يعرف العربية. وبعد حصوله على درجة الماجستير في العام 1608 شد الرحال في جولة إلى البلاد الخارجية. بدأ بإنجلترا[179]، وبعد زيارة أكسفورد وكيمبردج، عكف على تَعَلُّم العربية في لندن مع وليام بِدوِل[180]. كان يمكن أن يمضي في تَعَلُّم العربية على يد ذلك المستعرب الإنجليزي، لولا أنه انتقل في العام 1609 إلى فرنسا، فبدأ بزيارة باريس حيث لقي تشجيعا من إسحق كاسوبون على المضي في دراساته العربية، كما أعاره بعض الكتب[181]. وتوطدت أيضا علاقة إربِنيوس مع إتيان هيوبرت، أستاذ اللغة العربية في الكلية الملكية، وعكف على تحسين لغته العربية فتلقى دروسا على يد القبطي المدعو يوسف أبا دقن، الذي سنلقاه بعد حين في إنجلترا. وكان إربِنيوس يقول: إن أبا دقن لم يعلمه سوى العربية العامية السوقية، ولم يعلمه اللغة الفصحى، وهذا ما كتبه إلى بِدوِل في رسالة في 14 سبتمبر من العام 1609 بلغة عربية ركيكة[182]. ومكث من نوفمبر من العام 1609 إلى أكتوبر من العام 1610 في الأكاديمية البروتستانتية في ساومور Saumur، حيث انشغل ظاهريا بدراسة اللاهوت، في حين أنه كان مكبا على تأليف كتاب في النحو العربي وعده لوبيه Le Bé بنشره[183]. وعند عودته إلى باريس، قضى العام التالي هنا أو قريبا

من كونفلانس Conflans. وهناك، في سبتمبر من العام 1611، زاره أحد العرب الذين يتحدثون العربية كلغة أولى، وهو أحمد بن قاسم الحجري[184] الذي كان عالما باللغة العربية الفصحى وعلوم القرآن، واستطاع أن يعلم إربنيوس العربية أفضل ممن علموه قبل ذلك. وقد اعترف إربنيوس بذلك في رسالة إلى أحمد مكتوبة في الشهر نفسه، يشرح فيها كيف أن لغته العربية قد تحسنت كثيرا منذ أن كتب إلى بِدوِل[185]. وواصل رحلاته في أكتوبر من العام 1611. كان يخطط للوصول إلى القسطنطينية، ولكنه في واقع الأمر لم يتجاوز مدينة البندقية. وفي رحلة العودة زار مكتبة بالاتين في هيدلبرغ، حيث ألقى نظرة على المخطوطات العربية هناك. وفيما بعد استعار من تلك المكتبة مخطوطتين مهمتين كانتا في حوزة بوستل، وهما «كتاب الجغرافيا» الذي ألفه أبو الفداء، والذي أنتج منه نسخة خص بها نفسه، وكتاب «تاريخ الأماكن» الذي لم يُعِده إلى المكتبة قط[186].

عندما عاد إربنيوس إلى لايدن في العام 1612 وجد أن قضية تدريس العربية في الجامعة مطروحة. كان مجلس الأمناء، المتكوّن من الموقنين بأهمية اللغة العربية لأغراض التجارة وليس للأغراض الأكاديمية فقط، قد عَيَّن - بتوصية من اسكاليجيه - فيليبس فرديناندس Philippus Ferdinandus، اليهودي المتحول إلى الإسلام، كأستاذ للغة العربية في العام 1600[187]، ولكن عند وفاته في العام 1601 لم يُستبدل به أستاذ آخر. ولكن في ذلك الوقت، كان جان ثينيز Jan Theunisz (يوحنا أنتونيدس Johannes Antonides)، الذي نشر في تلك السنة نفسها رسالة إلى تيتوس باللغة العربية في مطبعة رافيلنغيوس[188]، يسعى إلى أن يكون هو أستاذ العربية في الجامعة، وخصوصا بعد أن سمح لـه مجلس الأمناء بإلقاء بعض المحاضرات على مدى عام. بيد أن انتماءه إلى الكنيسة المعمدانية، وتحدره من أسرة من الدهماء، وعدم حصوله على مؤهل جامعي، وإلمامه الضعيف باللاتينية، كلها لم تكن في مصلحته[189]. وفي فبراير من العام 1613 عُين إربنيوس في منصب أستاذ استثنائي للغات الشرقية بعد توصية من كاسوبون وهوغو غروشيوس Hugo Grotius ودانيال هنسيوس Daniel Heinsius وعدد آخر من المناصرين من ذوي التأثير. عمل إربنيوس جادا خلال الأحد عشر عاما التي قضاها في المنصب، وحتى وفاته في العام 1624، على وضع أسس الدراسة الحقيقية للغة العربية وعلومها في أوروبا كلها.

كانت أول خطوة قام بها إربنيوس هي نشرَ كتابه في النحو العربي المطبوع في مطبعة رافيلنغيوس في العام 1613[190]، وعلى رغم أن الكتاب كان يتضمن مواد استقاها من التراث النحوي العربي القديم، فقد تأسس منهج إربنيوس في التناول - أساسا - على قراءاته التي كانت واسعة عند ذاك، وزاد على ذلك أنه صُمّمَ بنية أن يروق كتابه لطلاب العلم الذين هم على صلة بنحو اللاتينية واليونانية. وكانت النتيجة أن تفوق الكتاب على ما عداه من الكتب التي ظهرت في أوروبا في النحو العربي تفوقا كبيرا، واستحق عن جدارة أن ظل ما يقرب على القرنين عمدة في بابه. كان إربنيوس نفسه يقوم على مراجعته، وأصبح الأخلاف يقومون على مراجعته أيضا. كانت الطبعات المنقحة والمزيدة منه - بدءا من طبعة إربنيوس نفسها التي كان يسميها «أساسيات اللغة العربية» الصادرة العام 1620[191] - تحتوي على نصوص عربية قصيرة، الغرض منها التدريب على القراءة. أما أكثر الطبعات تأثيرا وشيوعا فقد كانت طبعة يوليوس في العام 1656[192]، التي ضمت في ثناياها طائفة من الأمثال العربية، وأول مقامة كتبها الحريري، وقصيدة لأبي العلاء المعري. بيد أن إربنيوس أراد أن يعالج النقص في النصوص العربية المطبوعة التي كان يعاني بسببها طلاب العربية عندما قام بتحقيق عدد من النصوص الأساسية وترجمتها إلى اللاتينية، كما فعل مع الأمثال العربية (وهي التي جمعها اسكاليجيه ونُشرت بعد وفاته)[193]، وكما فعل مع حِكم لقمان[194]، وسورة يوسف في القرآن[195]. ثم إنه أنتج بعضا من النصوص التي رأى أنها نافعة للعلماء والدارسين مثل: العهد القديم وسفر التثنية[196]، وهي نصوص نقلها إلى العربية، وكذلك أول كتاب تاريخ مطبوع في اللغة العربية يدور حول تاريخ المسلمين وهو «كتاب الأماكن»[197].

كان كتاب النحو العربي وطبعة اسكاليجيه لكتاب «الأمثال العربية» من أوائل الكتب التي طُبعت في مطبعة رافِلنغيوس، وقد طبعها أولاد فرانشيسكوس رافِلنغيوس، الذين أصدروا في العام 1613 معجم أبيهم الذي صنفه بالعربية. لقد أسهم إربنيوس في هذا الكتاب بأن أضاف بعض الملاحق، وأضاف أيضا كتابه في النحو مطبوعا على ورق من القطع الربعي. وحدث في العام 1614 أن توفي فني الطباعة الوحيد في تلك المطبعة، وهو الذي كان يتقن الطباعة بالحروف العربية[198]، وفقد إخوان رافِلنغيوس اهتمامهم بنشر الكتب العربية. عندئذ اتخذ إربنيوس خطوة

جريئة حين أنشأ دار الطباعة الخاصة به، والتي خصصها لطباعة الكتب الشرقية، وكان لذلك - على رغم التكلفة العالية - فائدة كبيرة خصوصا بالنسبة إليه؛ فقد استطاع أن يطبع كتبه هو شخصيا، وأيضا استطاع الحصول على حروف طباعة مصممة بحيث تناسب ما كان يحتاج إليه بدلا من الاعتماد على الحروف الفظة التي كان يستخدمها رافِلنغيوس. بدأ في هذه المطبعة الجديدة بإعادة طبع حِكم لقمان في العام 1615، وظهرت مطبوعاته اللاحقة بثوبها الجديد الأنيق، وكان يُسمى «حروف طباعة إربِنيوس»، وأصبح الأنموذج الذي احتذاه أصحاب دور الطباعة في شمال أوروبا بما فيها إنجلترا نفسها.

كذلك عمد إربِنيوس إلى ترتيب مجموعة من المخطوطات العربية، مشتريا بعضها من ممتلكات هيوبرت بعد وفاته في العام 1614، وعددا آخر في أثناء وجوده في القسطنطينية بمساعدة السفير الهولندي كورنيلس هاغا Cornelis Haga. وقد عززت التكلفة الباهظة لهذه المخطوطات اقتناعه بالحاجة الماسة إلى توفير نصوص مطبوعة يُعتمد عليها من الأدب العربي[199]، ومتنوعة، وزهيدة التكلفة. لقد بذل إربِنيوس جهدا كبيرا في سبيل تحقيق تلك الغاية، ولم يكن هناك من شك في أنه كان سيبذل الكثير لولا وفاته بالطاعون في سن مبكرة وهو لم يتعد الأربعين من عمره[200]. نستطيع أن نقول - على رغم ذلك كلـه - أن إربِنيوس كان السبب الرئيس في تغيير الدراسات العربية في أوروبا كلها. وكان كتابه الذي ألفه في النحو العربي مرجعا أساسيا من مراجع العالم كله فيما يتصل بقواعد العربية. ومن أمثلة تفوق هذا الكتاب على ما عداه من كتب النحو العربي أنه عندما قرر الكاردينال ريشيليو في العام 1628 توزيع كتاب في قواعد العربية على أعضاء البعثات الديبلوماسية الفرنسية، كان الكتاب الذي اختاره لهذه المهمة هو طبعة العام 1628 من كتاب إربِنيوس في مبادئ النحو العربي[201]. لقد أقر الإيطاليون أيضا بتفوق إربِنيوس، حيث سعت إليه «لجان نشر الإيمان» Congregatio de Propaganda Fide - من دون جدوى - للظفر بخدماته في إنتاج إنجيل خاص بهم باللغة العربية [202]، كما أعادوا طبع كتابه في النحو العربي في أواخر العام 1829. وفي الأراضي المنخفضة بقي التراث الذي تركه إربِنيوس. مع أن مخطوطاته قد انتقلت إلى إنجلترا، على رغم جهود أمناء مكتبة لايدن[203]، فقد بِيعت حروف الطباعة العربية التي ابتدعها لدار طباعة

الزفْير Elzevir التي ظلت زمنا طويلا تنتفع بها في طباعة الكتب العربية. أضف إلى ذلك كلـه أن تدريس العربية في جامعة لايدن قد وجد من يهتم به عندما عينت الجامعة أستاذا في الدراسات العربية ظل يشغل المنصب أكثر من أربعين عاما، وهو ياكُب يوليوس.

وُلد ذلك الرجل (ياكُب يول)[204] في العام 1596 لأسرة من الأشراف ذوي النفوذ، وكان في أثناء السنوات الأولى من دراسته في جامعة لايدن يهتم بالرياضيات أكثر من اهتمامه باللغات، متأثرا في ذلك بأستاذين من أساتذة الرياضيات المشهورين كانا يُدَرّسانه هناك، وهما: الأستاذ الدكتور ولبرورد سنيليوس Willebrord Snellius والدكتور فرانز شوتن الأب Frans Schooten. ولكن بدءا من العام 1618 راح يتعلم العربية على إربِنيوس، وآثره إربِنيوس على سائر تلاميذه. ومن العام 1622 إلى العام 1624 كُلف مشرفا على بعثة هولندية إلى مراكش، حيث عمل على تحسين مهاراته في اللغة العربية وعلى جمع المخطوطات، خصوصا بعد أن وجد العون من أحمد بن قاسم (الموريسكي نفسه الذي كان يدرب إربِنيوس على العربية في فرنسا وهولندا، والذي التحق بقصر السلطان مولاي زيدان)[205]. عاد يوليوس إلى لايدن في الوقت المناسب ليحضر آخر أيام إربِنيوس على سرير الموت، وبتوصية من إربِنيوس عُين في منصب أستاذ العربية في الجامعة في العام 1625. ولكن يوليوس سرعان ما استعد للقيام برحلة أخرى إلى الشرق. وبحجة أنه يريد زيادة معرفته باللغات الشرقية، استطاع أيضا إقناع مجلس الجامعة بمنحه إجازة بمرتب كامل للقيام بهذه الرحلة. أضف إلى ذلك أنه استطاع إقناع مجلس الجامعة بمنحه مبلغا قدره ألفا جنيه لتغطية مصاريف شراء المخطوطات التي كان يريد شراءها لحساب الجامعة[206]. لبث يوليوس زمنا في بلاد الشام وبلاد الرافدين Mesopotamia في صحبة القنصل الهولندي الجديد في حلب في العام 1625، الذي اتخذه مساعدا لـه. وفي العام 1627 انتقل إلى القسطنطينية حيث عاش زمنا مع السفير. وقد أسفر اختلاطه بالمثقفين في حلب والقسطنطينية عن أنه أصبح خبيرا باللغتين العربية والتركية ولغات أخرى. وعندما عاد إلى جامعة لايدن في العام 1629، كانت المخطوطات الشرقية التي أحضرها معه، سواء عن طريق الشراء أو على سبيل الهدية أو من خلال الاستنساخ، قد أصبحت كنزا أكثر ثراء من أي مجموعة مخطوطات موجودة في أوروبا الشمالية

كلها. ولم تلبث أن انتشرت هذه الأنباء عن وجود هذا الكنز، في دول أوروبية أخرى، خصوصا بعد نشر فهرست لهذه المخطوطات مطبوع في باريس في العام 1630 في مطبعة بيير غاسندي[207]. وراح بيير هذا يتلقى طلبات يطلب فيها أصحابها الاطلاع على هذه المخطوطات. وسوف نرى بعد حين أن جون بنبردج يطلب منه معلومات في علم الفلك، ولكن من دون أن يظفر منه بشيء. وربما كان فلهلم شيكارد Wilhelm Schickard أكثر حظا؛ فقد أرسل إليه يوليوس معلومات حول ملاحظات متصلة بتفسير ثلاث حالات من الكسوف وجدها في رسائل ابن يونس، وقد نشرها شيكارد فيما بعد[208]. ومما كان يثير الاهتمام وجود مجموعة من الترجمات العربية لعدد كبير من كتب الرياضيات اليونانية التي كانت أصولها مفقودة كلها أو أجزاء منها مثل: كتاب أبولونيوس في المكعبات، وكتاب «الميكانيكا Barulcus» لهيرون السكندري، وكتاب بطليموس المعنون بـ «نظرية الكواكب» Planetary Hypotheses. وراودت القوم آمالٌ كبيرة في أن يُقدِم يوليوس على إثراء «جمهورية الأدب» بنشر بعض من هذه المخطوطات مع ترجمة إلى اللاتينية كما كان يَعِد دائما، وكان يستطيع أن يفعل ذلك؛ فقد كان من كبار المستعربين، ومن كبار علماء الرياضيات أيضا. توفي سنيليوس، أستاذ الرياضيات في جامعة لايدن، في العام 1626، وكان يوليوس مصرا على الظفر بمنصب أستاذ الرياضيات في لايدن بينما كان في تركيا، فخلف سنيليوس في المنصب بعد عودته مباشرة، وشغل المنصبين معا حتى وفاته.

أثبت يوليوس أنه جديرٌ بخلافة إربنيوس خصوصا في مجال تدريس المواد باللغة العربية. فلم يكتفِ بإعادة طبع كتاب إربنيوس في النحو العربي مع قائمة بأهم الكتب المتصلة بالموضوع[209]، بل طبع نصوصا عربية أخرى، وهي النصوص التي كان يقرأها على طلابه، والتي كان يستخدمها في تدريس العربية في إنجلترا وأماكن أخرى. وفي بدايات العام 1629 نشر مجموعة من المقولات المعزوة إلى علي بن أبي طالب، وقصيدة للطغرائي[210]، ونصا فلسفيا لابن سينا. ثم إنه نشر عملا آخر له هدف تعليمي وهو كتاب «حياة تيمور» لابن عربشاه في العام 1636، وهو كتاب طويل وله أهمية تاريخية كبيرة وأهمية أكاديمية كبيرة أيضا[211]. ولكن مما لا شك فيه أن أهم إنجاز حققه يوليوس في مجال تدريس العربية كان المعجم الذي ظهر بعد سنين متعددة من الجهد الجهيد، وذلك في العام 1653[212]. وإذا أخذنا في

الاعتبار الثراء الكبير الذي تتمتع به اللغة العربية، وندرة النصوص العربية التي كانت متاحة في أوروبا، لعرفنا أن الأمل الوحيد في إخراج معجم شامل كان في استثمار التراث المعجمي العربي نفسه، وهو تراث غني وقديم[213]. لم يكن يوليوس أول أوروبي يفعل ذلك؛ فقد استثمر جيغي Giggei قاموس الفيروزآبادي في إنتاج معجمه الضخم. وكان يوليوس يشير بكثرة إلى «القاموس»، ولكنه كان يعتمد في الأساس على «صحاح الجوهري». أضف إلى ذلك أنه راح يعزز مصادره في اللغة العربية المتصلة بصناعة المعاجم ويصححها من خلال قراءاته الكثيرة جدا. وعلى رغم أن قاموسه كان بعيدا عن الكمال كما يعترف يوليوس نفسه، فإن ما أنجزه كان مهما حقا، وكان يتفوق على أي قاموس آخر نُشر بالعربية قبله، حيث إن قاموسه أصبح هو القاموس المعتمد حتى القرن التاسع عشر.

بيد أن جمهورية الأدب أصيبت بخيبة أمل كبيرة في ذلك الوقت، فقد كان المتوقع أن يعمل يوليوس على نشر الترجمة العربية للنصوص اليونانية المفقودة. وكانت خيبة الأمل هذه أكبر في الجزأين الخامس والسابع من كتاب أبولونيوس المعنون بـ «القطوع المخروطية Conics»، خصوصا بعد أن أعلن يوليوس كثيرا أنه سيعمل على ترجمته، لكنه لم يفعل قط. ففي العام 1646 راح كونستانتين هيغنز Constantijn Huygens يشكو لصديقه مرسين Mersenne من أن سبعة عشر عاما مرت على وعد يوليوس بترجمة الكتاب ولم يفعل[214]. والحق أن يوليوس لم يكن مهملا، فقد درس ما كتبه أبولونيوس، وشرع في طباعة كتبه، حتى إن المؤرخين يزعمون أنه أعد الحروف الطباعية لكتبه الثلاثة المهمة[215]، وفرغ من ترجمة لاتينية لكتاب «الميكانيكا Barulcus» لهيرون السكندري، لكنه لم ينشر أيا من هذه الأعمال[216]، فقد شغلته عن ذلك اهتماماته المتعددة ومشاغله الكثيرة، خصوصا تفرغه لإنجاز المعجم، الذي استغرق منه أكثر من عشرين عاما. وعلى رغم ذلك نستطيع أن نلقي عليه باللوم لأسباب أخرى، منها مثلا أنه لم يترك الفرصة للباحثين الآخرين لقراءة ما جمعه من مخطوطات عربية، ولا حتى المخطوطات التي كان يحتفظ بها في جامعة لايدن؛ كان يعتبرها من ممتلكاته الخاصة به وحده[217].

كان ليوليوس الفضل في جمع العدد الكبير من المخطوطات العربية والشرقية، جمعها في أثناء رحلاته المتعددة إلى الشرق، وجمعها أيضا من خلال شرائه لهذه

المخطوطات من عملاء كانوا يجلبونها لـه، ومنهم أخوه بطرس يوليوس الذي مكث في سورية زمنا طويلا. كان يوليوس أيضا يكلف بعض العرب في جامعة لايدن بنسخ بعض المخطوطات، ومنهم نيكولا بطرس وشاهين كندي، (وسوف نتحدث عنهما بعد حين). كانت النتيجة أن زاد عدد ما جمعه من مخطوطات لنفسه، وأصبح يفوق ما لدى الجامعة نفسها من مخطوطات: على الأقل فيما يخص مؤلفا واحدا (وهو كتاب القطوع المخروطية لأبولونيوس)، نحن نعرف أنه احتفظ بالأصل لنفسه، ووضع النسخة في مكتبة الجامعة[218]. وعند وفاته في العام 1667 وجدوا عنده مجموعة مهمة جدا من المخطوطات الشرقية في أوروبا تفوق قيمتها أي مجموعة مخطوطات أخرى يمتلكها أفراد مثل بوكوك في إنجلترا[219]. ولم تذهب هذه المخطوطات إلى جامعة لايدن، لكنها (وفي الأساس بسبب طمع ورثة يوليوس) ظلت من دون بيع حتى العام 1696 عندما عُرِضت في المزاد وذهب الجزء الأكبر منها إلى إنجلترا، وانتهى بها المطاف بعد ذلك إلى مكتبة البودليان. وعلى رغم ذلك، امتلكت جامعة لايدن مجموعة معتبرة جدا من المخطوطات العربية في أثناء الجزء الأخير من القرن السابع عشر، ولا يعود ذلك إلى جهود يوليوس بقدر عودته إلى تلميذه ليفنوس فارنر [220] Levinus Warner . كان فامار ألماني الأصل من ليب «Lippe»، بعد أن انتهى من دراسته في مدينة برمِن «Bremen» التحق بجامعة لايدن في العام 1638، حيث تخصص في اللغات الشرقية، ونشر ثلاث رسائل قصيرة تتصل باللغات الشرقية قبل أن يذهب إلى القسطنطينية في العام 1645. وهناك أصبح من الهولنديين المقيمين، لكنه واصل دراساته وجمع المخطوطات أيضا. لم يُنشر من دراساته إلا القليل جدا[221]، لكنه أوصى عند موته في العام 1665 بأن تذهب مكتبته الكبيرة إلى جامعة لايدن.

ومن بين تلاميذ يوليوس الأجانب الذين كانت لهم بصمات واضحة في مجال الدراسات العربية هوتنغر Hottinger الذي أشرنا إليه قبل حين، ومنهم أيضا رافيوس Ravius وبترايوس Petraeus، وكلاهما كانت له علاقات ما بالمملكة المتحدة، وسوف نتناول إنجازاتهما بعد حين. ولكن دعوني أتحدث الآن عن يوهان إلـيكمان [222] Johann Elichmann، الذي قرر التسجيل للدراسات العليا في جامعة لايدن في العام 1631، بعد أن درس على يد يوحنا إسكندر [223] Johann Zechendor . وفيما بعد، تدرب هناك على

ممارسة الطب، وكان يستقبل الكثير من طلاب العربية، بيد أن المنية وافته وهو صغير في العام 1639. قام بتحقيق النص اليوناني واللاتيني والعربي المسمى: «لغز قابس» Tabula Cebetis، مصحوبا بقصيدة تعود إلى العالم فيثاغورس (224) Pythagoras، ونُشرت هذه الطبعة بعد وفاته من خلال جهود زميله المثابر كلوديوس سالمازيوس Claudius Salmasius، وهناك طبعات أخرى أخرجها إليكمان، كالطبعات التي تفسر القَسَمْ الأبوقراطي، و«مختار الحكم» للمبشر بن فاتك(225)، وهي طبعات لم تكتمل. كان سالمازيوس (كلود سوميز) من أكثر الناس علما في عصره، بدأ تَعَلُّم العربية على الأرجح في وقت متأخر من حياته في بلده الأصلي فرنسا، ولم يأخذ هذا الأمر مأخذ الجد إلا بعد مجيئه إلى لايدن، حيث عُيِّن في العام 1632 في المنصب نفسه الذي كان يشغله اسكاليجيه. ويستحق التصدير الذي كتبه لكتاب إليكمان الإشارة لما تضمنه من نبرة الشك التي يثيرها حول الترجمات العربية للأعمال اليونانية ظنا منه أنها تُضعِف النص الأصلي(226). أما معرفته بالعربية فقد تجلت بالمصادفة في أعمال مثل «في الفلك وتغير الأمزجة عند القدماء» De Annis Climactericis الصادر في العام 1648(227)، وكذلك كتاب: تمارين بليونوس Plinianae Exercitationes الصادر بعد وفاته في العام 1689(228). وبعد وفاة يوليوس ضعفت دراسة العربية في جامعة لايدن بشكل كبير. فبعد وفاته بأقل من شهر واحد كتب توماس مارشال من دوردرشت Dordrecht إلى صامويل كلارك في أكسفورد، ليعبر عن شكه في قبول أي مطبعة في هولندا لطباعة الإنجيل التركي، وقال: إن مثل هذه الدراسات أصبحت تقترب من الموت، إذ لم تكن أقرب إلى الاختفاء التام(229). والمشاعر نفسها نجدها فيما كتبه هيرونيموس هاردر Hieronymus Harder في رسالة لـه إلى بوكوك من لايدن في الثامن والعشرين من نوفمبر من العام 1671(230)، والذي ينحي فيه باللائمة على يوليوس الذي لم يهتم بتدريب طلابه على الترجمة، ولم يستخدم سلطته عليهم لحثهم على المثابرة في العمل. وتوجد أدلة أيضا على أن يوليوس نفسه لم يكن يرغب في التدريس؛ ففي العام 1643 سعى إلى الحصول على إجازة من إلقاء المحاضرات لكي يتفرغ لدراسة الفارسية(231). لكن المؤرخين يزعمون أن السبب الحقيقي من وراء هذا الطلب هو الذي أشاعه «هاردر»: ألا وهو «حكم السن» الذي لم يستطع معه يوليوس الاهتمام بأي علم من العلوم التي لم تكن تدر ربحا كبيرا. والحق أن منصب

أستاذ اللغة العربية في جامعة لايدن لم يتقلده أحد بعد وفاة يوليوس وحتى العام 1710، وذلك على الرغم من الجهود الحثيثة التي كان يبذلها مجلس الأمناء، بما في ذلك الفترة القصيرة جدا التي شغل «هاردر» فيها المنصب من العام 1671 وحتى العام 1673 بوصفه أستاذا فوق العادة، وكذلك المساعي التي بُذلت لتعيين إدوارد برنارد في العام 1683[232]. لم تَسْتَعِد الدراسات العربية نهضتها التدريجية من جديد إلا مع قدوم ألبرت شولتنز Albert Schultens في العام 1729.

3

البدايات الأولى لدراسة العربية في إنجلترا

(1) القرن السادس عشر

كان وصول الاهتمامات الفكرية المتصلة بعصر النهضة الذي بدأ في إيطاليا، أسبق إلى فرنسا وجميع أقطار الشمال الأوروبي من وصولها إلى إنجلترا. وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسات اليونانية كانت قد استقرت مع نهاية القرن السادس عشر في الجامعتين الكبيرتين هناك، وشاعت الرغبة أيضا في إتقان العبرية التي كانت منتشرة في أوساط المتعلمين حينذاك[1]. وعلى ذلك النحو لم يكن من العسير أن يظهر عددٌ من العلماء القادرين على ترجمة الإنجيل من النسخة المحققة التي ظهرت في العام 1611.

أما بالنسبة إلى الدراسات العربية في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر فقد كان الأمر مختلفا؛ فلم يكن هناك من لديه الرغبة في تمويل تدريس هذه العلوم في

«نحن نعرف أن الظروف التي أحاطت ببدء الطباعة العربية في إنجلترا غامضة أشد الغموض، ولكن الذي نعرفه أن أول كتاب منشور في إنجلترا، ويضم مفردات عربية مطبوعة بحروف متحركة، هو كتاب سِلدِن «البحر المغلق» «Mare Clausum».

الجامعات، وكان الذين يرغبون في دراستها بصورة فردية يواجهون صعوبات لا قبَلَ لهم بها. كانت كتب النحو العربي المطبوعة قليلة للغاية، لا تشفي غليل الراغب في العلم، ولم يتوافر معجم واحد يستحق اسم «معجم» يعين الراغب في درس العربية. والحق أن الكتب المطبوعة في اللغة العربية كانت نادرة بصفة عامة، ولم تكن هذه الكتب متاحة في إنجلترا على وجه الخصوص. أما الحصول على مخطوطات عربية - فيما عدا نسخ متناثرة من القرآن - فقد كان مستحيلا[2]. لم يكن يوجد أساتذة عرب يتحدثون العربية يمكنهم تدريس هذه اللغة، وهذا أيضا على النقيض من اللغة العبرية، فعلى الرغم من الحظر الذي كان مفروضا على اليهود منذ العصور الوسطى، لم تكن تعدم بعض المتحولين الذين يعطون الدروس في هذه اللغة[3].

أستطيع أن أقول إن الأمثلة التي يمكن ذكرها فيما يتعلق بمعرفة العربية في أوساط المتعلمين في إنجلترا في القرن السادس عشر، قبل وليام بدول، أمثلة قليلة تثير الفضول من دون أن تكون لها أهمية كبيرة. ومن أول هذه الأمثلة القليلة على المستعربين التي تثير الفضول حالة روبرت ويكفيلد Robert Wakefield الذي أصبح أول أستاذ لكرسي ريجيوس للعبرية في جامعة أكسفورد في العام 1540. وفي العام 1524 كان قد ألقى محاضرة في كيمبردج بعنوان: «في مديح اللغات الثلاث وفوائدها» De laudibus et utilitate trium linguarum، وكانت اللغات الثلاث هي العبرية والكلدية والعربية. وقد خصص أغلب ما جاء في هذه المحاضرة للحديث عن العبرية[4]، بيد أنه خصص جزءا للحديث عن أهمية العربية بالنسبة إلى دراسات الإنجيل (فقد أكد المؤلف - مثلما أكد باحثون سبقوه أو جاءوا بعده - أن أغلب سفر أيوب مكتوب باللغة العربية). وعلى الرغم من أن ويكفيلد زعم أنه كان أول من بدأ دراسة اللغتين الكلدية والعربية في جامعة توبنغن، وأنه أول من ألف قاموسا ثلاثي اللغة في النحو، وأنه كان مستعدا لتدريس العربية في كيمبردج، فإن باحثا مثلي لا يستطيع أن يكَوّن رأيا مقبولا عن إتقانه للغة العربية من عدمه من خلال هذا الكتاب الذي تركه لنا[5]. تتكون المقتطفات العربية في النص من حروف خشبية تحمل البسملة وكلمات أخرى قليلة. ويدور حديثه حول اللغة، في أغلبه، حول أشياء تتصل بتاريخ اللغة قد لا يقبلها المنطق، بل تمنح القارئ انطباعا مفاده أن معرفته

بالعرب كان يأخذها في الأغلب من المصادر الكلاسيكية، وأن معرفته باللغة العربية ربما كان يستمدها من كتابات الأحبار.

وفي العام 1555 ألقى ريتشارد أرجنتين خطابا يدعو فيه إلى تدريس اللغة العربية في أكسفورد وكيمبردج؛ وراح يعدد الفوائد التي يجنيها طلاب الطب في كيمبردج بصفة خاصة من تَعَلُّم العربية، خصوصا بالنسبة إلى أولئك الذين يمارسون الطب بوصفه مهنة. والحق أني لم أقرأ هذه المحاضرة التي يُقال إنها موجودة مخطوطة في كيمبردج[6]، وعليه لا أزعم أني أعرف مدى إتقان أرجنتين للغة العربية. أما نصيحته بتَعَلُّم العربية في الجامعات الإنجليزية فلم تلق القبول المنتظر إلا بعد خمسة وسبعين عاما من إطلاقها.

وقد ذكر بدول Bedwell في أكثر من موضع أسماء معاصريه الذين اهتموا بتَعَلُّم اللغة العربية في إنجلترا [7]. وفي وسعنا نحن أن نخرج من هذه الأسماء التي ذكرها في قائمة تقريبية فنذكر: جون مونتفورت، وجون آيلمر، وريتشارد هوكر، وجورج درايود، وإدوارد ليفلي، ووليام ثورن، وفرانسيس بيرلي، ولانسلوت براون، ولانسلوت أندروز. ونستطيع أن نقول إننا لا نعلم شيئا عن مدى علم هؤلاء باللغة العربية فيما عدا الاسمين الأخيرين من هذه القائمة، على الرغم من معرفتنا أن نفرا منهم لـه إنجازات مهمة في مجال اللغة العبرية[8]. والحق أن أغلب أولئك من خريجي جامعة كيمبردج وعلمائها. وقد لا يعود ذلك إلى انحياز إلى دول لمصالح زملائه في الجامعة فقط، بل يعود إلى اهتمام حقيقي باللغة العربية في كيمبردج في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وربما غاب عن هذه القائمة اسم توماس كومبر Thomas Comber الذي حل ضيفا على كلية ترنتي Trinity College في كيمبردج (وقد أصبح فيما بعد رئيسها) في نحو العام 1592، وهناك - وفق ما جاء فيما كتبه مترجموه - [9] تعلم العبرية والسريانية والعربية على يد معلمه المدعو تتشبورن Titchburn، ليصبح فيما بعد متضلعا من العبرية والعربية والقبطية والسامرية والسريانية والكلدية والفارسية، وعدد كبير من اللغات الحديثة (لم أستطع الوقوف على أغلبها). وقد أصبح لانسلوت براون - مثل أندروز- زميلا لكلية بمبروك هول Pembroke Hall في كيمبردج، وعالما متميزا في الفيزياء، أفضى به عشقه لكتب الطب العربية إلى أن يؤلف معجما يجمع فيه أعمال ابن سينا[10]. هذا المعجم

لم يُنشر قط، ولكن هذه المخطوطة لم تَعْدم من ينتفع بها بعد ذلك بسبعين عاما؛ حيث استفاد منها إدموند كاستل بوصفها أحد المصادر التي استثمرها في تصنيفه لمعجمه الكبير، وقد أشار في تصديره لهذا المعجم إلى براون بوصفه «العالم الذي لا يُبارى في المعرفة بابن سينا». لا يحق لنا أن نقول إن إعجاب كاستل بذلك القاموس يشوبه انحياز إلى رجل كان زميلا لـه في جامعة كيمبردج، وزميلا لـه في علوم العربية، بما أن القاموس لم يعد موجودا، وأغلب الظن أنه فقد. ويقول بدول أيضا إن براون كان الوحيد الذي فهم لغة سفراء سلطان مراكش عند زيارتهم إلى إنجلترا في العام 1600[11]. والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: كيف تسنى لهذا الرجل الظفر بمعرفة هذه اللغة التي كان يتحدث بها أولئك السفراء؟ وهل كان بدول نفسه من بين أولئك الذين لم يفقهوا لغة هذه البعثة؟

وقد شهد آخرون غير بدول[12] على قدرة لانسلوت أندروز على التحدث باللغات الشرقية، فقد قيل إنه عرفها من طريق ريتشارد مولكاستر في مدرسة مرشانت تايلور، وكانت من مدارس النحو الإنجليزي القليلة التي كانت تُدَرِّس العبرية في ذلك الوقت. وتشهد على مهارته في العبرية ما تركه من صلوات كان يصلى بها في تلك اللغة[13]، وإشرافه - في العام 1604 - على جماعة ويستمنستر الأولى التي كانت مسؤولة عن ترجمات العهد القديم في طبعته المعتمدة. وربما تنتمي دراساته العربية إلى الفترة التي قضاها في كيمبردج، حيث أصبح زميلا في كلية بمبروك هول في العام 1576، ثم رئيسا لها في العام 1589. وقد رصدنا أنه في أثناء تلك الفترة في العام 1585، راح - بانتظام - يستشير خبيرا في العبرية والكلدية والسريانية والعربية، يُدعى هوبكنسون Hopkinson كان يعيش في شارع الفقراء Grub Street في لندن، وهو شارع سوقة الأدباء هناك[14]. ووفق ما جاء في سيرة بدول، بدأ أندروز في جمع القاموس العربي، ولكنه تخلى عن هذا الجهد بسبب صعوبات واجهته، منها الواجبات التي اعتبرها أهم[15]. ويمكن أن نستنبط من تاريخ كتابة الكتاب في العام 1604 أن هذه الأمور الأهم لا بد أنها كانت تتصل بترقيته في الكنيسة في ظل الملك جيمس الأول الذي أوكل إليه الإشراف على أبرشيات تشتشستر وإيلاي وونسشتر على التوالي. لم يتبق من إنجازات أندروز العربية شيء؛ ولكن ليس من شك في أن دراساتهِ في اللغة لم تكن أهم من نشاطه في تربية ناشئة الأساتذة والمعلمين. ويعدد إسحاقسن Isaacson

العلماء الأوروبيين الذين كان يهتم بهم، منهم إسحق كاسوبون وكلوفرنس وفوشيوس وغروشيوس وبيير دو مولين، ونخص بالذكر منهم إربنيوس الذي مكنه من منصب مهم في إنجلترا [16]. وفي رسالة كتبها إلى سلدن في العام 1621 يذكر العلامة الهولندي فرانشسكس جونيوس Franciscus Junius والعلامة دوبليه، وكانا يقيمان معه في ذلك الوقت، متمنيا لو كان إربنيوس Erpenius معهم هناك[17]. وقد شهدت على علاقة أندروز بـإربنيوس (بالإضافة إلى قدرته على تحدث العربية) رسالة مكتوبة باللغة العربية، باسم أرملة إربنيوس وأولاده، ومرسلة إلى رئيس الدير[18]. وهناك عالم آخر بالعربية كان إربنيوس يرحب به في إنجلترا وهو يوسف أبو دقن[19]. والأهم من ذلك كلـه أن تبنيه للعلامة بدول بالتشجيع والدعم المالي هو الذي جعل أندروز يحرز تقدما في علوم العربية في إنجلترا.

(2) بِدول

كان وليام بدول William Bedwell أول إنجليزي بعد العصور الوسطى يأخذ على عاتقه دراسة العربية بطريقة جادة ورصينة. ومن حسن الحظ أن لدينا كتابا كاملا يتناول حياته وأعماله، خصوصا إنجازه في مجال اللغة العربية (كتاب هاملتون المعنون بـ «وليام بدول المستعرب»). ويعود الفضل فيما أكتبه الآن إلى هذا الكتاب، فقد أخذت عنه ولم أضف إلا القليل جدا. وأنا أنصح القارئ بقراءة هذا الكتاب للظفر بمعلومات مفصلة عن بدول وأعماله التي تجاوزت خدمة اللغة العربية، خصوصا في مجال علوم الرياضيات.

بعد تخرج بدول في جامعة كيمبردج وحصوله على الماجستير في العام 1588، حيث تعلم العبرية والكلدية في كلية ترنتي (الثالوث)، وبدأ يتعلم العربية نزولا على نصيحة أندروز، فإن ما نعرفه عن حياته خارج هذه الأطر قليل جدا، حتى حصل على الإذن بالإقامة في كنيسة القديسة إثيلبورغا Ethelburgha في بشوبسغيت Bishopsgate في العام 1601. بيد أنه كان مشغولا بعمق في دراسة العربية في أثناء العقد الأخير من القرن السادس عشر؛ لأن العينة الأولى الموجودة من عمله، وهي قاموسه العربي، الذي أنفق فيه جزءا كبيرا من حياته الأكاديمية، تعود في التاريخ إلى العام 1596[20]. وعلى الرغم من أنه لم ينشر شيئا بعد هذا القاموس، فإن

شهرته كمستعرب قد طبقت الآفاق خارج إنجلترا، تشهد على ذلك التوقيعات التي ظهرت بداية من العام 1597 المحفوظة اليوم فيما يُسمى بـ: «ألبوم الأصدقاء» أو «دفتر الزوار»، كانت أغلب هذه التوقيعات لعلماء أوروبيين كانوا يزورون إنجلترا، وعرجوا على منزل بدول للإشادة بعلمه الغزير[21]. وفي العام 1607 منح أندروز (وكان أسقف تشتشستر) بدول حق الإقامة في كنيسة كل القديسين في توتنهام، وكانت في ذلك الوقت تقع على مسافة ستة أميال شمالي لندن، والتي أصبحت محل إقامته طوال حياته.

وبعد أن غادر كيمبردج آثر بدول العزلة عن الناس، يضطلع بدراساته وحده، فيما عدا رحلته القصيرة إلى هولندا في العام 1612. التف حوله عدد قليل من التلاميذ لفترات قصيرة، وانعقدت الصلات بينه وبين عدد من العلماء الذين كانوا يزورونه في بيته الكنسي، أو في أي مكان آخر (على سبيل المثال في الدورات التي كان يدَرّس فيها في وستمنستر لمترجمي الكتاب المقدس). نستطيع أن نقول إن هذه الزيارات شملت، في أواخر حياته، أعلاما من العلماء من مثل جون سلدن Selden والمطران أشر Ussher والمطران لود Laud. أضف إلى ذلك أنه عمل مترجما لرسائل الحكومة مع قادة يتحدثون العربية[22]، كما أنه لم يتوقف عن إرسال الرسائل إلى العلماء الأوروبيين، بعضهم من البارزين مثل كاسوبون الذي بدأ يبادله الرسائل في العام 1603[23]. وعلى الرغم من ذلك فإن جهود بدول Bedwell في مجال اللغة العربية قد عرقلها النقص الشديد في النصوص، والصعوبة الشديدة التي كان يلاقيها في الوصول إلى النصوص الموجودة بالفعل. اطلع بدول بالفعل على مخطوطات عربية في مكتبة البودليان بعد العام 1611[24]، لكن عددها كان قليلا جدا في ذلك الوقت وكانت عديمة الأهمية. وقد عرفنا أنه كان بين الحين والحين يتبادل الكتب والمخطوطات مع عدد من العلماء الإنجليز الآخرين؛ فقد أخبر سلدن أشَر في العام 1622 أنه لم يتمكن من إعادة نسخة كتاب «جغرافية النوبة»؛ وذلك لأن بدول استعارها منه[25]، وفي مايو من العام 1632 أنبأ أشر لوي دو ديو Louis de Dieu بأنه يشعر بأن الأمل ضعيف في استعادة المزامير المترجمة إلى اللغة العربية التي يحتفظ بها والتي كانت لاتزال في حوزة بدول عند وفاته[26]. غير أن بدول اعتمد إجمالا على تلك الكتب المطبوعة التي اشتراها[27]، وعلى المخطوطات التي استطاع

أن يظفر بها. والحق أنه استطاع أن يجمع عددا من المخطوطات العربية في أثناء حياته المهنية. نظرا إلى تبعثر هذه المخطوطات بعد وفاته، فلم نصل إلى قائمة كاملة بما تركه، ولكن أغلبها اشتراه لـود[28](*) ، وبعضها اشتراه سلدن، وكل هذه المخطوطات تقبع الآن في مكتبة البودليان. وهناك مخطوطات كان يمتلكها بدول انتهى أمرها الآن إلى البودليان بطريقة أو أخرى، على سبيل المثال: المخطوطة الرقم 298، (نيكول- بوسي الرقم 24، ص 484 - 487)، والرسائل العربية التي أرسلها أو نسخها بدول؛ أو المخطوطة الرقم 575 (نيكول - بوسي الرقم 407، ص 397 - 402)، والرسائل العربية، بما فيها نسخة بدول وترجمة لإذن المرور الصادر من مولاي زيدان في العام 1615، والرقم 372 (نيكول- بوسي الرقم 240، ص 195)، ونسخة العام 1596 لقاموس بدول العربي. ونحن لا نعرف مصدر مخطوطات بدول، ولكننا نعتقد أن كثيرا منها وصل إليه من خلال التجار الذين كانوا يتعاملون مع شركة الشرق.

تعلم بدول - مثل تلميذه إربنيوس - من تجاربه الذاتية، أن دارسي العربية في حاجة ماسة إلى شيئين: كتاب جيد في النحو مصحوب بقاموس جيد، ومدد من النصوص المطبوعة في اللغة العربية مصحوبة بترجمات إلى اللاتينية. ولذلك اضطلع بدول بتصنيف قاموسه ليفي بالغرض الأول؛ ثم راح يجمع المطبوعات والمخطوطات والنصوص المترجمة إلى العربية. كانت كلها ترجمات عربية للكتاب المقدس. وباستثناء كتاب واحد «أباطيل محمد»، كان أغلب هذه الترجمات من رسائل العهد الجديد[29]، وإذا سأل سائل ما الذي كان يحكم هذه الاختيارات، فإن الإجابة التي ترد فورا إلى الذهن، أنه كان يريد النهوض بدراسات الكتاب المقدس، ربما لا تكون الإجابة الصحيحة. صحيح أن التصدير الذي كتبه لكتاب «رسائل إلى تيتُس وفلمون»[30] Epistles to Titus and Philemon، كان يلتمس فيه التبريرات لدراسة العربية، ويزعم أن الغرض منها النهوض بدراسات الكتاب المقدس[31]، ولكن المؤرخين يتحدثون عن سبب آخر جعله يتحمس لدراسة العربية، وهو أنه كان يثـق بتلك النصوص العربية كل الثقة، وكان يرى أنها الأحـرى بأن يقدمـها لطلابـه،

(*) وليم لود (1573 - 1645) هو قس وسياسي إنجليزي، كبير أساقفة كانتربري (1633 - 1645م) والمستشار الديني للملك تشارلز الأول. أنشأ كرسيا للعربية في جامعة أكسفورد سنة 1636، وعين إدوارد بوكوك أول أستاذ لها. قاوم أنصار التطهيرية، فكان هذا من أسباب نشوب الحرب الأهلية الإنجليزية. حوكم بتهمة الخيانة العظمى وأعدم. [المترجم عن موسوعة وكيبيديا الحرة].

فقد كانت الأصول اليونانية لهذه النصوص متاحة، وكان يستطيع هو وطلابه المقارنة بين الأصل والترجمة بشيء كثير من اليسر، ويطلعون بذلك على معنى النص وتأويله. وعلى الرغم من أنه كان يفخر بأنه يمتلك واحدة من أهم مخطوطاته، وهي مخطوطة «المنهاج» (وهي عبارة عن جملة من الجداول والقوانين الفلكية) من تأليف ابن البناء، فإنه لم يسعَ إلى تحقيقها أو ترجمتها. فإن التحقيقات، التي أتمها في النهاية إنجاز جدير بالاحترام.

وبعد أن أنجز هذه التحقيقات التي أشرنا إليها، ظهرت أمامه مشكلة النشر؛ فلم تكن طباعة الكتب العربية سهلة يسيرة في إنجلترا، ولم يكن أمامه إلا أن يرسلها لتُطبع خارج إنجلترا، أو ينشئ هو بنفسه مطبعة في إنجلترا تطبع الكتب العربية خاصة. والأمران كلاهما لا يقوم بغير المال والإنفاق، مما كان يعني انتظار مساعدة الرعاة. فليس من الغريب - إذن - أن نجد بدول يهدي كتبه وتحقيقاته لنفر من ذوي التأثير والسُّلطات، فنحن نقرأ أن «رسالة إلى آل كولوسيان» مهداة إلى ريتشارد بانكروفت، أسقف لندن، والذي أصبح فيما بعد رئيس أساقفة كانتربري؛ وأن رسائل تيتوس وفلمول مهداة إلى الأسقف أندروز، وأن رسائل «جون» مهداة إلى رجل في مقام الملك جيمس الأول[32]. وهو يتوسل في الإصدار الأخير مساعدة الأسرة المالكة لتشجيع العلم، ويلتمس منهم الدعم حتى يتمكن من نشر قاموسه العربي. كان الأسقف أندروز هو الوحيد الذي أعان بدول بالمال، وبفضله نجح بدول في نشر النص العربي الوحيد الذي نُشر في حياته، وهو نص «رسائل إلى جون»، الذي طُبع مع ترجمة بدول إلى اللاتينية، وذلك في مطبعة رافلنغيوس في لايدن العام 1612[33].

وقد كان بدول يفكر في الاستعانة بمطبعة ميدتشي في طبع أعماله في التحقيق والترجمة[34]، بيد أن ذلك كان لجهله بظروفها. وقد عرضت مطبعة رافلينغيوس الاستفادة من التواصل الجيد بين إنجلترا وهولندا، وحضور صديق بدول وتلميذ إربنيوس السابق إلى لايدن أخيرا في صيف العام 1612. حضر بدول إلى لايدن في أغسطس العام (1612). متسلحا بتوصيات كاسوبون (الذي كان قد انتقل إلى إنجلترا في العام 1610)، ومُعَانا بأموال الأسقف أندروز، لم يكن هدفه مقتصرا على إهداء كتابه إلى الإخوان رافلنغيوس، بل ليطلع على المخطوطات العربية التي أوصى بها

اسكاليجيه لتكون هدية للجامعة. وقد منحه أمين المكتبة، دانيال هنزيوس، الإذن المجاني بالاطلاع على هذه المخطوطات، وراح ينسخ منها بعض المخطوطات، ومنها المخطوطة نفسها التي كان يسعى إلى نشرها في ذلك الوقت[35]. وليس من شك في أن اهتمامه بصناعة المعاجم قد انتهى به إلى الاطلاع على معجم اسكاليجيه الذي صنفه في اللغة العربية. وفي أثناء إقامته في لايدن اكتشف أن الإخوان رافلنغيوس مشغولون بطباعة القاموس العربي الذي تركه الأب، ما أحبط آماله في أن يكون هو أول من صنف قاموسا باللغة العربية على الإطلاق. أما الذي أقلقه حقا فهو عندما اكتشف أن الإخوان رافلنغيوس يشرعون في نشر طبعة للنص العربي لكتاب «رسالة إلى تيتوس» والذي أعده المحاضر في اللغة العربية في جامعة لايدن في ذلك الوقت، وهو جان ثيونيز Jan Theunisz. فقد كان بدول قد فرغ من تحقيق هذا الكتاب قبل ذلك بزمن طويل، ولن يجد له الآن ناشرا يقبله، ومما زاد الطين بلة، أن النص العربي كان قد وصل إلى ثيونيز Theunisz عن طريق أبي دقن Abudacnus، الذي كان بدول قد استضافه في منزله[36].

أسفرت زيارة بدول إلى لايدن عن نتيجة واحدة لا بد أنها كانت سببا في رضاه التام: فقد أقنع الإخوان رافلنغيوس ببيع المطبعة العربية المملوكة لهم (والتي كان الأسقف أندروز قد وافق على دفع المال لشرائها). وبهذه المطبعة كان بدول يأمل في طباعة القاموس العربي في إنجلترا، التي عاد إليها في أكتوبر من العام 1612. وعلى الرغم من أن إربنيوس أخذ منه موافقة بالسماح للإخوان رافلنغيوس بالاحتفاظ بالمطبعة فترة قصيرة حتى يتسنى لهم الانتهاء من طباعة بعض الكتب التي كانت تحت الطبع، بما في ذلك القاموس الذي صنفه فرانشيسكوس رافلنغيوس Franciscus Raphelengius، وكتاب النحو الذي ألفه إربنيوس، فقد أُرسلت المطبعة إلى بدول في العام 1614. لكنه عندما تسلمها وجدها في حالة يُرثى لها، وهذا ما تحدث عنه جون غريفز John Greaves (وكان يعرف بدول معرفة عابرة قبل وفاته)، في رسالة إلى بيتر تيرنر Peter Turner في العاشر من فبراير من العام 1637:

> *كان العيب الأهم هو غياب المثاقب [في الحروف العربية التي اشترتها أكسفورد أخيرا]، أو غياب بعض مصفوفات الحروف التي تعينها تلك المثاقب، ولن نجدهما لا هنا ولا في البلاد المنخفضة.*

فقد وجد السيد بدول في المطبعة العربية التي اشتراها من الإخوان رافلنغيوس أن بعض الحروف كانت معطوبة، فأراد إصلاحها، وجعلها تتسق مع جميع الحروف، ولكن الإصلاح لم ينفع[37].

كان غريفز Greaves على حق في انشغاله بعدم صلاحية حروف الطباعة؛ فيبدو أن المطبعة التي أرسلها الإخوان رافلنغيوس إلى بدول لم تكن تصلح لتصفيف الحروف المستحدثة، بل أرسلوا إليه جملة من الحروف القديمة المستهلكة[38]. وفعلا لم يستخدم بدول هذه الحروف في طباعة قاموسه، أو طباعة أي شيء آخر؛ وفي نهاية المطاف أرسل بها إلى جامعة كيمبردج لعله يدلل على أنه كان يرغب في طباعة قاموسه.

كان العمل الآخر الوحيد الذي قام به في مجال العربية، ونُشر في حياته، هو كتاب «أباطيل محمد»؛ ويزعم فيه أنه اكتشف جملة من مواطن الخداع والتزوير والكذب والهرطقة والتجديف (وما إلى ذلك من هذه الأشياء) فيما جاء به محمد[39]. وكان ذلك في الأساس ترجمة إنجليزية لنص مكتوب بالعربية، ومطبوع في إيطاليا في وقت ما بعد العام 1566[40]، ويُقال إنها كانت وثيقة تعود إلى قرون خلت لحوار دار بين اثنين من المسلمين، أحدهما يشكك في القرآن وشخصية محمد نفسها. والحق أنها قصة ملفقة تنطوي على سوء أدب، لفقها أحد النصارى في القرن السادس عشر، وربما لم يكن من الناطقين الأصليين بالعربية، ولكن بدول أوردها من دون تمحيص أو تعديل. وواضح أيضا أن العنوان يشي بالغرض السيئ الذي تنطوي عليه هذه الوثيقة، وعلى الرغم من ذلك وجدت من يستقبلها استقبالا حسنا من قبل نفر من المسيحيين المتعصبين للمسيحية في إنجلترا، فقد وجدت من يعيد طباعتها في العام 1624. كما ألحقها بدول برسالتين من رسائله ضمن كتاب لـه بعنوان: «الترجمان العربي»، ويضم قائمة بأسماء وظائف وألقاب كانت شائعة بين المسلمين، ومصطلحات أخرى قد يجدها القارئ لكتاب «أيام الشرق» غريبة، وبعيدة عن المألوف؛ وكذلك فهرس بسور القرآن وآياته بالترقيم والترتيب أنفسهما اللذين يستخدمهما المسلمون. وكان ذلك يعين أولئك الذين كانوا يرغبون في مقارنة القرآن الأصلي بالترجمة المعتمدة التي كانت موجودة في عصر بدول، وهي طبعة بيبلياندر لنسخة روبرت التي تعود إلى لاتينية العصور الوسطى، وفيها نظام جديد ومختلف في الترقيم وأسماء السور.

ليس من شك في أن بدول كان يرى أن أهم إنجاز قدمه في مجال الدراسات

العربية هو القاموس الذي بدأ العمل فيه نحو العام 1592[41]، واستمر في هذا العمل حتى وفاته بعد ذلك بأربعين عاما. وتوجد من القاموس نسخ مختلفة مخطوطة تعود إلى حقب مختلفة، أولاها تعود إلى العام 1596 [42]، ولكن حتى آخر نسخة من هذا القاموس، وهي النسخة التي ورثتها جامعة كيمبردج في النهاية، كانت عبارة عن أوراق امتدت إليها يد التعديل والكتابة أكثر من مرة خلال السنوات الكثيرة التي تلت، مع إضافات وتصويبات لا حصر لها في الهوامش، وفي قصاصات من الورق أُلصقت في ثناياها[43]. لم يكن لدى بدول الكثير من النصوص العربية يستعين بها عندما بدأ العمل في هذا القاموس، وكانت معرفته بالعربية محدودة، ولكن مع الوقت أصبح يمتلك الكثير من النصوص العربية، وتحسنت معرفته بهذه اللغة، وراح يزيد قاموسه، ويعمّق قراءاته. على أن بدول ظل حتى أواخر العام 1612 يشير إلى ابن رشد [44] باسم «ابن روي» Abin-Rhoi، وربما كان ذلك يشير إلى نقصان معرفته بالمصادر الفلسفية العربية، أو بالمصادر التي يمكن أن يستقي منها سير الأعلام. وقد أقر إربنيوس في بداية حياته المهنية كمستشرق بأن ما كان يعيب قاموس بدول هو عدم الإلمام التام بقواعد النحو العربي[45]. وبعد أربع سنوات حمل مرة أخرى على القاموس؛ قائلا إن بدول لم يكن قادرا على الاستقرار على المعنى الصحيح، أو على النطق الصحيح؛ وذلك لأنه لم يكن يعود إلى المعاجم والقواميس التي صنفها العرب أنفسهم[46]. والحق أن إحالاته في النسخة الأخيرة إلى القاموس للفيروزآبادي، وإلى قاموس تاج اللغة وصحاح العربية للإمام الجوهري، يُظهر أن بدول رجع إلى هذه المراجع في الفترة الأخيرة من حياته[47]، ولكن بخلاف يوليوس الذي اعتمد عليها اعتمادا كليا، كان بدول يعود إلى هذه القواميس على نحو متفرق. أضف إلى تلك العيوب في المضمون العيوب الأخرى التي اعترته على مستوى الشكل. فقد اختار بدول أن يرتب قاموسه وفق ترتيب الحروف العبرية بدلا من الحروف العربية، متأثرا في ذلك - كما تأثر كثيرٌ من معاصريه وتلاميذه - بفرضية مضللة مفادها أن العلاقة بين العربية والعبرية علاقة وثيقة تشبه العلاقة بين الابنة وأمها. ثم إنه أضاف الكثير من الملاحظات الإيتومولوجية التي لا تكتفي بربط المفردات العربية باللغتين العبرية والسريانية، بل تربطها بالمفردات اليونانية والإنجليزية ولغات

أخرى. وهذا يدلل قبل كل شيء على ثقافة المؤلف، ومعرفته الواسعة، من دون أن يفيد مستخدم القاموس كثيرا. والحق أن القاموس لا يمكن الاستفادة منه في الشكل الذي تركه بدول، ويحتاج إلى أعوام من الجهد من قبل مستعرب مخلص ليخلصه من العيوب، وليستخرج منه نسخة تصلح للنشر. في الوقت نفسه نجد أن الأعمال المطبوعة باللغة العربية، والتي خرجت من جامعة لايدن، ومن أمكنة أخرى، فضلا عن المخطوطات العربية الكثيرة التي باتت متاحة في إنجلترا، بما في ذلك الأعمال المعجمية، زادت من عزلة قاموس بدول مع كر السنين. وليس من الغريب أن نجد أن جامعة كيمبردج التي ورثت القاموس، كما ورثت حروفه الطباعية، لم تفعل شيئا به غير أنها أعارته لإدموند كاستل Edmund Castell لتعينه على تصنيف معجمه ذي اللغات السبع، ولكن ملاحظات كاستل على القاموس تدل على أنه كان عائقا أكثر منه عونا:

> *كان يحتاج إلى ثلاثة أشهر على الأقل لجعله يفي بحاجتنا إليه؛ كانت به نحو 2300 صفحة غير مرتبة، وكثيرٌ من التعبيرات الغامضة، يبدو أنها كانت تشير إلى فقرة كتبها، ويرجع كثيرا إلى ابن سينا، لا ندري إلى أي كتاب... أما المفردات التي أظهر فيها بدول العظيم جهلا مطبقا فهي لا تكاد تُحصى*[48].

كانت معرفة بدول بالعربية متواضعة، بيد أن إسهاماته في تقدم دراسة اللغة العربية وآدابها، خصوصا في إنجلترا، كانت مفيدة. وقد نال شهرة في إنجلترا وخارجها بوصفه واحدا من المستعربين الأوروبيين المقتدرين في عصره. كان منزل بدول في «توتنهام» قبلة المهتمين بدراسة اللغة العربية قبل أن تحتل دراسة اللغة العربية مكانها المرموق في الجامعات الأوروبية. كان يستقبل في بيته التواقين إلى العلم، والراغبين في الاطلاع على المخطوطات، ومن بينهم أسماء تواتر ذكرها في هذا الكتاب، مثل: يوسف أبو دقن، وسلدن، وجون بنبردج، وجون غريفز. يكفيه من الفضل أن تتلمذ على يديه اثنان من كبار المستعربين وأبعدهم أثرا في الدراسات العربية في القرن السابع عشر، وهما: توماس إربنيوس، وإدوارد بوكوك؛ وعلى الرغم من أن الاثنين تفوقا على أستاذهما تفوقا كبيرا في معرفتهما باللغة العربية، فإنهما احتذيا به في إخلاصه للعلم، ودأبه على طلب المعرفة.

(3) سِلدِن

سوف يرد ذكر جون سلدن John Selden كثيرا في ثنايا هذه الصفحات، وفي سياقات كثيرة، بوصفه راعيا لدراسات العربية، ورجل دولة، وعالما أيضا. وهنا أجد نفسي عاجزا - نظرا إلى الحدود الضيقة التي يتحرك فيها بحثي - أن أوفي رجلا يرى المؤرخون أنه من بين أعظم العلماء الإنجليز في القرن السابع عشر(49). ولن أعدد هنا إنجازات الرجل، وإلا احتجت إلى آلاف الصفحات لكي ألخص فقط الجهود العلمية والأكاديمية لواحد من أكثر الناس علما في عصره في كثير من المجالات، بما في ذلك العبرية والعالم القديم وتاريخ القانون والدستور. والحق أن دراساته العربية تستحق اهتمامنا، على الرغم من أنها تشكل جانبا يسيرا من جوانب نشاطه الفكري. ظل سلدن يدرس اللغة العربية طوال حياته الأدبية، وحتى ظهور كتاب السانهدرين الثالث De Synedriis Liber Tertius (وقد نُشر بعد وفاته في العام 1655)، ولما كانت دراساته قد بدأت مع كتابه «ألقاب الشرف» 1614، فمن المناسب أن نعالجها هنا(*).

تكشف الدراسات الباكرة التي أنجزها سلدن اهتماما يتجاوز الاهتمام باللغة العربية لذاتها. ففي الطبعة الأولى من كتابه المعنون بـ «ألقاب الشرف» 1614، وفي معرض حديثه عن الألقاب الشرفية، يطلعنا على ألقاب ومسميات مثل: الشيخ والسلطان مكتوبة بالحروف العربية الخشبية لقلة وجود الحروف العربية العادية(50). كان أول عمل لسلدن كتاب بعنوان(51) «أيام في سورية» De Dis Syris 1629، وقد طلبت منه عائلة ألزفيرElzevir(**) في جامعة لايدن أن يعد طبعة منقحة لهذا الكتاب (وهي منشورة في الأساس في لندن في العام 1617). تحين سلدن الفرصة، بعد أن وجد أن الناشرين الذين اشتروا مطبعة إربنيوس يستطيعون طباعة الكتب بالحروف العربية، ليدخل مقتطفات طويلة باللغة العربية. ولعله من الشائق أن نعرف الأعمال العربية التي قرأها سلدن باللغة العربية في ذلك الوقت. فقد اقتبس من القرآن في النص الأصلي، ليستفيد من هذه المقتبسات لا في إثبات

(*) «ولمزيد من الاطلاع على الدراسات العربية التي كتبها سلدن، انظر كتاب ج. ت. تومر المعنون بـ «جون سلدن: حياة في البحث العلمي» (أكسفورد، 2009)، الفصل السادس عشر». [من ملاحظات تومر].

(**) اسم عائلة كبيرة من العائلات الهولندية التي كانت تعمل في طباعة الكتب ونشرها في القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر. [المترجم، عن موسوعة وكيبيديا الحرة في هذا الموقع].
http://en.wikipedia.org/wiki/House_of_Elzevir

الرجوع الصحيح إلى السور بدلا من الرجوع إلى السور التي أوردها ببلياندر، بل أيضا من أجل تصحيح الترجمة التي ظهرت في العصور الوسطى إلى اللاتينية[52]. ويمكن أن نَطّلع على رأيه العام فيما يتعلق بنسخة روبرت الكيتوني Robert of Ketton في الصفحة 134. وفي معرض تفسيره لآي القرآن كان يستخدم التفسيرات العربية التي قرأها في مخطوطة تعود إلى السير روبرت الكيتوني[53]. كان سلدن يعرف أسفار موسى الخمسة بالعربية، لا في النص الذي تركه إربنيوس بالعربية فقط، بل كان يعرفها من خلال نسخة كان يقرأها في مخطوطة وجدها في مكتبة عمدة آرندل Earl of Arundel. وفي أثناء عشرينيات القرن السابع عشر كانت مكتبة توماس هوارد Thomas Howard العظيمة، وهو ثاني[54] عمدة لآرندل Arundel، وإيرل مارشال Marshal منذ العام 1621، من المكتبات القليلة جدا في إنجلترا التي تضم أعدادا كبيرة من المخطوطات العربية والكتب المطبوعة. ونستطيع أن نأخذ فكرة عن محتويات هذه المكتبة نجمعها من مجموعة كتب أرندل في المكتبة البريطانية، وتدل على أن ما احتوته من المطبوعات العربية كانت تتصل في الأساس بالدين المسيحي وكتب النحو. ولكن أسفار موسى الخمسة التي استفاد منها سلدن ليست من بين هذه المجموعات التي كانت تضمها تلك المكتبة، ومن المرجح جدا أنها فُقدت بسبب سرقة أو إهمال، خصوصا بعد وفاة العمدة في العام 1646. وفيها أيضا نجد سلدن يشرح كلمة في القرآن وردت في كتاب «جغرافية النوبة» (طبعة مدتشي للإدريسي)، ويقتبس من مخطوطة عربية مجهولة المصدر كان يمتلكها تتصل بموضوع الطلاسم[55]. ولكنه كان يهتم اهتماما خاصا برسالة مكتوبة بالعربية قرأها في مخطوطة وجدها في مكتبة كوتون Cotton، وتدور حول التاريخ الكنسي لـ أوتيخيوس Eutychius(*)، بطريرك الإسكندرية من العام 933م إلى العام 938م. وقد شغله هذا العمل شغلا ملك عليه ما بقي من حياته بعد ذلك. وقد أمعن في الاقتطاف منه في كتابه المعنون بـ «في القانون الطبيعي والإنساني» De jure naturali & gentium المنشور في العام 1640[56]. وفي العام 1642 نشر سلدن

(*) أو أوتوشيوس، كما ورد اسمه في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، هو سعيد بن البطريق: طبيب ومؤرخ من مواليد الفسطاط (عاصمة مصر التي شيدها عمرو بن العاص). من أشهر مؤلفاته «تاريخ ابن البطريق (أو نظم الجوهر)»، إضافة إلى كتب أخرى في الطب والتاريخ. [المحررة].

مقتطفا طويلا من مذكرات البطريرك أوتيخيوس Eutychius، يتصل بأصل بطريركية الإسكندرية، مع ترجمته وتفسيره، إسهاما منه في الموضوع الخلافي المتصل بأوضاع القساوسة والأساقفة في النصرانية؛ وقد كان تفسير سلدن سببا في إغاظة أولئك الذين كانوا يسرفون في الحديث عن سيادة القساوسة[57]. وهذا الكتاب مشهور بأنه أول نص عربي مطبوع في إنجلترا (بصرف النظر عن المقتطفات المتناثرة هنا وهناك). وقبيل وفاته أخرج سلدن العمل كله والترجمة (وكانت ترجمة بوكوك)، ويبدو أنه تخلى بذلك عن ترجمته بنفسه[58].

إن سلدن ينبئنا بوضوح بأن الذي جعله يوجه جل اهتمامه لـ أوتيخيوس هو هنري يعقوب الذي يذكره بين الحين والآخر[59]. يقول وود Wood «تولى يعقوب تعليم سلدن العبرية[60]، ولكني لا أظن أن العلاقة بين سلدن ويعقوب أساسها تعليم العبرية؛ فقد كان اهتمام سلدن بالعبرية يعود إلى تاريخ أسبق من معرفته بيعقوب بكثير؛ ولكن من المرجح جدا أن يعقوب ساعد سلدن في العبرية مساعدة عابرة، ومن المرجح جدا أيضا أن اقتراب سلدن من العربية منذ نُشر هذا الكتاب وبعد ذلك (فالتصدير يعود إلى العام 1628) يعود - في جزء كبير منه - إلى ذلك الرجل[61]. كان يعقوب، الذي وصل أخيرا قادما من هولندا[62] - حيث كان يعيش أبوه الذي كان عضوا بارزا في الطائفة البروتستانتية، وقضى سنوات كثيرة منفيًا هناك - قد تلقى هو نفسه تعليمه هناك، وقد درس العربية مع إربنيوس. كانت شهرته في الدراسات الشرقية واسعة، كما نستنبط مما قاله وود، ولكن بالنظر إلى أعماله المنشورة، يتبين أنه أصاب بعض العلم بالعربية[63]. غير أن إحدى مخطوطات سلدن على الأقل تضم نصوصا عربية مصحوبة بترجمة يعقوب، وتشي تذييلاته وتعليقاته في نسخته لكتاب بنبردج Bainbridge المعنون بـ «عالم الفئران والقوارض» 1648 [64] بأنه يعرف بعض العبرية والعربية، وأنه طُلبت منه فهرسة المخطوطات العبرية الحاخامية في مكتبة البودليان في العام 1629[65]. كانت ملاحظاته فيما يتصل بكتاب «آلهة السوريين» في حوزة ديفيد ولكنز، محقق مجلد «الأعمال الكاملة» لـ سلدن في العام 1726[66]، ولكن يبدو أنها اختفت. لقد عُيّن يعقوب، بمساعدة سلدن وبيتر تيرنر، في وظيفة زميل كلية في مجال فقه اللغة في «كلية مرتون»[67]، بيد أنه ابتُلي بعداء الوصي على الكلية السير ناثانيال برنت Sir Nathaniel Brent، وطُرد من زمالة الكلية مشيّعا بعداء

الأساتذة الزائرين الذين كان برنت يرأسهم في العام 1648[68]. ويرى وود أن كتاب «علماء اللغة في دلفي Delphi Phoenicizantes» الذي ألفه إدموند ديكنسون مسروق من مخطوطة تركها يعقوب بعد أن غادر كلية مرتون[69]، والباحث في هذا الكتاب يكشف وجه الشبه الكبير مع كتاب «مكتشف فقه اللغة Philologiae» سواء في الأسلوب اللُغوي أو أسلوب تناول الموضوع. أضف إلى ذلك أن المراجع العربية التي أدرجها هي نفسها التي أدرجها يعقوب في مواضع متفرقة: نسخ من الكتاب المقدس، وحوليات أوتيخيوس. مهما يكن من أمر فقد راجع دكنسون الكتاب وحققه، وأشار في المراجع إلى طبعة بوكوك الأخيرة، وأدرج أيضا هوامش تشير إلى كتابه المعنون بـ «لُمَع من تاريخ العرب»، وواضح أنه رجع إليه هو شخصيًا، ولم ينشره إلا بعد أن توفي بطريقة غامضة في كانتربري في العام 1652.

لم تكن معرفة سِلدن بالعربية معرفة عميقة بأي حال من الأحوال، ففي إشارته إلى ما كتبه أوتيخيوس[70] نجد أنه كتب العنوان بطريقة خطأ: «تطم الحوهر»، وهو عنوان لا يعني شيئا، أو أنه نقلٌ مضطربٌ للعنوان الصحيح وهو «نظم الجوهر»، بيد أن ترجمة سلدن للعنوان توحي بأنه قرأ الكلمة الأولى كما كانت مطبوعة؛ فربما كانت «طم»، أو ربما «طوي»، وعندما هم بنشر جزء من كتابه: «أوتيخيوس» بدأ يكتب العنوان بطريقة صحيحة، غير أن ترجمته للنص تنطوي على الكثير من الأخطاء[71]. كما تضم المقتطفات العربية التي تنتشر في ثنايا أعماله الأخرى أخطاء أيضا. وعلى الرغم من ذلك كله فقد كانت لديه معرفة يسيرة بالعربية، وقد تحسنت مع الوقت، وفي السنوات الأخيرة من حياته اتسعت قراءاته بهذه اللغة، وازدادت عمقا، وهذا واضح جدا في كتابه المعنونبـ «كتاب السانهدرين الثالث» De Synedriis Liber Tertius[72] وهو يشير إلى عدد من الكتب المطبوعة بالعربية والفارسية. وإضافة إلى ما نُشر في الكتاب المقدس، مثل طبعة إربنيوس لأسفار موسى الخمسة (التوراة)، وطبعات أخرى من المزامير التي نشرها جوستينياني وفرانسوا سافاري دو بريف Savary de Brèves، فهو يقتبس من جميع النصوص العلمانية، خصوصا من كتب ابن سينا، وكتاب «الجغرافيا» للإدريسي، وطبعة إربنيوس لكتاب «تاريخ المكين»، وأبو الفرج في كتاب «لُمَع من تاريخ العرب»، وطبعات جون غريفز لما كتبه أولوغ بيك ونصير الدين الطوسي، وكذلك ما كتبه دو ديو في كتابه: تاريخ

المسيحية في بلاد فارس من كتابات[73] جيروم خافيير Historia Christi Persice ab Hieronymo Xaverio conscripta. أيضا نجده يقتبس من مخطوطات متعددة كان يمتلكها أو كان يمتلكها آخرون: اقتبس من القرآن، واقتبس من تفسيرين على الأقل من التفاسير العربية، أحدهما تفسير العلامة جلال الدين المحلي، وتفسير آخر وصفه بأنه تفسير جامع للقرآن وقع في يده[74] لابن ميمون بعنوان «دلالة الحائرين»، وقد أخذه من مخطوطة كانت في حوزة بوكوك[75]؛ وكتاب «الجغرافية» لأبي الفداء، من مخطوطة كيمبردج (وهي المخطوطة التي تَعَرَّف من خلالها على عالم الجغرافيا النوبي الإدريسي)[76]؛ ومحاضر المجالس الكنسية باللغة العربية الموجودة في مخطوطة السير توماس رو Roe في مكتبة البودليان؛ ومقتطف طويل يتصل بالأعياد المسيحية من مخطوطة تعود إلى القلقشندي كان يمتلكها[77]، واقتطف من كتاب الفلك الذي ألفه ابن الشاطر في المخطوطة التي كان يمتلكها في السابق جون غريفز John Greaves جدولا في الصفحات من (414 إلى 417). إنه الآن لا يشير إلى «أوتيخيوس Eutychius من جهة مخطوطاته وكفى، بل يشير إلى أرقام صفحات النسخة التي كانت تحت الطبع. أما أدواته المعجمية فلم تشمل فقط المعجم العربي الذي كان غوليوس Golius قد فرغ من طبعه، والمعجم الأقدم منه الذي صنفه رافلنغيوس Raphelengius، بل كانت تشمل مخطوط «صحاح الجوهري» قد وجده في مكتبة أرندل.

وفي رسالة إلى فرانسيس تايلور Francis Tayler في 25 يونيو العام 1646 يكتب سلدن تقييما شائقا لفوائد الدراسات الشرقية لفهم التاريخ الباكر للمسيحية، ويقارن بينه وبين فوائد التلسكوب في علم الفلك[78]. وكان من صفات سلدن أنه عندما يهتم بموضوع من الموضوعات كان يبدأ في جمع الكتب المتصلة بهذا الموضوع، ويضيفها إلى مكتبته الضخمة. وفيما يتصل باللغة العربية، كانت أغلب الكتب مخطوطات[79]. وعندما أعد الطبعة الثانية لكتابه «آلهة السوريين» De Dis Syris كان بالفعل يمتلك على الأقل كتابين عربيين مخطوطين[80] (القرآن وكتاب في الطلاسم)، ولكنه ربما بدأ يجمع المخطوطات العربية بجدية في تلك الفترة تقريبا. وعندما صدر كتابه «آلهة السوريين» كانت المخطوطة الوحيدة من كتاب «أوتيخيوس» التي كان يعرفها سلدن هي المخطوطة المتاحة في المكتبة الكوتونية(*). وبعد ثلاث عشرة سنة كان

(*) نسبة إلى السيد روبرت كوتون عضو البرلمان (1571 - 1631). [المترجم].

هو نفسه يمتلك مخطوطتين من العمل نفسه كما أنبأنا بوكوك فيما بعد، وكلتاهما كانتا نسختين معاصرتين أنتجهما ميخائيل ثلجة، وكان نسّاخا محترفا عرفه بوكوك في حلب[81]. وقد حصل سلدن على نسخة منهما عن طريق صديقه جورج غيج George Gage، والثانية من تاجر من تجار الكتب المشهورين في حلب يقال لـه وليام كوردروي[82] William Corderoy. وكان استخدام سلدن للتسهيلات التي وفرتها شركة الشرق Levant Company لإتاحة المخطوطات العربية مشروحا في رسالة وصلته في 26 نوفمبر من العام 1632.

من صديقه جون واندسفورد John Wandesford، القنصل العام في حلب من العام 1630 إلى العام 1638[83]، وهناك فقرة في الرسالة تشرح عملية البحث عن المخطوطات، وتلقي الضوء على شخصية إدوارد بوكوك الشاب، يقول فيها:

> *أرسلت إليّ برجل شريف مقتدر، هو السيد بوكوك، الذي ألم بمعرفة كبيرة بالعربية التي نسيها الكثيرون، وأهملوا تعليمها وتَعَلُّمها. تحدثت معه، وأحببت حديثه، واستمتعت بروحه الحلوة، وشخصيته الجذابة، وإني لأشكرك على أن أوصيتني به خيرا، وأن أفي بمراده في طلب العلم، وأن أسلمه بعض الكتب ليهديها إليك. لقد جعل بوكوك العربية معشوقته الوحيدة، وأبدى رغبته في الاستحواذ على جميع الكتب التي تتصل بها، وأنا بدوري مستعد لإهداء هذه الكتب إليه وإليك، وأرجو أن تقبل هديتي[84] وكان السيد «كول» يطلبها أيضا، ولكني أهديها إليك حسبما اتفقنا، فقد وعدتك بخدمة العلم في هذا الجانب، وألتمس العذر منك إن وجدت من هذه المخطوطات ما لا ينفعك، وأرجو أن أتلقى توجيهاتك إلى الكتب التي لا تتوافر في مكتبات بيع الكتب، والتي يمكن جلبها من المكتبات الخاصة التي تُعرض للبيع بعد وفاة أصحابها، أو نظرا إلى الحاجة[85].*

كانت المخطوطات العربية التي جمعها سِلدِن (وهي الآن في مكتبة البودليان) متنوعة للغاية، وكانت تشمل نصوصا إسلامية ومسيحية أيضا، وتضم أعمالا علمانية (غير دينية) في موضوعات تاريخية وعلمية. كانت المخطوطات العلمانية تضم فيما

تضم مخطوطات نادرة جدا وشائقة للغاية، كانت منها - على سبيل المثال - الترجمة العربية لكتاب أبولونيوس المعنون بـ «قطع الخطوط على النسب[86]» Cutting off of a Ratio، ونسخة نادرة من كتاب الهاشمي «علل الزيجات» (الأدلة العقلية في الجداول الفلكية)[87]، غير أن الفضل في معرفة قيمة هذه الوثائق وإحضارها إلى إنجلترا يجب أن يعود إلى جون غريفز John Greaves، حيث أخذها سِلدن من أخيه توماس غريفز بعد وفاة جون في العام 1652[88]، وقد رأينا كيف اشترى سِلدن بعض مخطوطات بِدوِل العربية بعد وفاته.

تجاوزت خدمات سِلدن في النهوض بالدراسات العربية مجرد الأستاذية، فقد جمع الكتب، ورعى علماء آخرين كانوا يسيرون في هذا الدرب (ومنهم بوكوك على وجه الخصوص). كان أيضا مسؤولا عن إدخال الطباعة العربية في الجزر البريطانية. ونحن نعرف أن الظروف التي أحاطت ببدء الطباعة العربية في إنجلترا غامضة أشد الغموض، ولكن الذي نعرفه أن أول كتاب منشور في إنجلترا، ويضم مفردات عربية مطبوعة بحروف متحركة، هو كتاب سِلدن «البحر المغلق» Mare Clausum (لندن، طبعه وليام ستانسبي William Stansby، 1635). كانت الحروف المستخدمة تشبه الحروف التي كان يستخدمها إربنيوس في طباعة العربية، ولكن ليس لها مثيل في هولندا أو أي مكان آخر خارج إنجلترا، ومن ثم يصبح من المرجح جدا أنها (على النقيض من حروف بِدوِل أو العربية التي عرفتها جامعة أكسفورد خلال العامين 1636 و1637 لم تُستورد من هولندا، ومن المرجح جدا أيضا أنها كانت مصنوعة في إنجلترا، برغم عدم وجود دليل على وجود متخصص في سبك الحروف العربية typefounder، ويرجح بعضهم أن يكون هذا المتخصص هو السيد آرثر نِكولز Arthur Nicholls؛ فقد كان ابنه وخليفته نِكولاس نِكولز Nicholas Nicholls، هو الذي قدم خدمات مشابهة فيما بعد لجامعة أكسفورد. وبرغم عدم وجود دليل أيضا على ما نقول، فقد أُنفقَت - على ما يبدو - أموال كثيرة في سبيل سك الحروف العربية، وسبك المصفوفات، ووضع الحروف في موضع الطباعة، لا من قِبل أصحاب المطابع أو الناشرين فقط، ولكن ربما من قِبل سِلدن نفسه، الذي كان يُعد في العام 1635 من الأثرياء. وربما كان إقدام سِلدن على طباعة كتاب «البحر المغلق» الذي كان القصد منه دعم جهود ملك إنجلترا في سبيل فرض سيطرته على القنال

الإنجليزي، وأجزاء أخرى من أعالي البحار، سببا في حصوله على الدعم المادي الذي كان يرجوه، سواء من لـود أو من أحد وزراء الملك، وربما استثمر هذه الهبة لدعم جهوده الأكاديمية بعد ذلك. وفي النهاية لا نستطيع - كالعادة - الجزم في مثل هذه الأمور، فقد استخدم سِلدِن الحروف، بعد ذلك، لطباعة كتبه التي تلت هذا الكتاب، مثل كتاب «ميراث الميت» De successionibus in bona defuncti (1936) ، وكتاب «التاريخ الطبيعي والبشري» De jure naturali & gentium (1640)، وكتاب أوتيخيوس (1642) [89]. وبعد هذا التاريخ، وفيما عدا بعض الحروف التي ظهرت في كتاب «وصف أهرامات مصر» لـجون غريفز في العام 1646، اختفت الحروف العربية عن الأنظار[90] حتى حلول العام 1683، عندما ظهرت من جديد في كتاب لجون سبنسر معنون بـ «قوانين العبرانيين»، ثم ظهرت بعد ذلك في متفرقات من مطبوعات كيمبردج في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر[91].

(4) بِنْبرِدج

يظهر جون بِنبردج John Bainbridge [92] بوصفه وجها آخر من وجوه الاهتمام بالعربيةفي القرن السابع عشر. كان بِنبردج طبيبا بحكم الدراسة والتدريب، ولكنه كان يهتم بعلم الفلك اهتماما خاصا، فقد عُيِّن أستاذا لكرسي سافيل Savile لعلوم الفلك في جامعة أكسفورد في العام 1619. كان بِنبردج - مثل راعيه السير هنري سافيل Sir Henry Savile - مقتنعا جدا بأهمية علوم الفلك القديمة، كما قدمها بطليموس الحكيم في كتابه «المجسطي» Almagest، وأنبأنا بأنه سيترجم الكتاب ويطبعه طبعة جديدة. غير أنه عرف من النتائج التي توصل إليها العالمان براهيه وكبلر Brahe and Kepler أن كتاب بطليموس الحكيم يحتاج إلى تصحيح ومراجعة في كثير من الجوانب. ولتحقيق هذا الغرض عرض برنامجا للتحقيق في الظواهر الواردة في الكتاب (مثلا: ظاهرة نوبات الخسوف القمرية في أماكن يبتعد كل منها عن الآخر بعدا شديدا، في سبيل تحديد خطوط الطول). وكان يهدف أيضا إلى إعادة تحديد، وهذه المرة بطرق جديدة ودقيقة، خطوط عرض مناطق مثل رودس والإسكندرية، وهي من المناطق التي ظهرت فيها ملاحظات فلكية على يد هيبارخوس Hipparchus وبطليموس الحكيم. كان أيضا يتطلع إلى الحصول على

مواد أخرى تعينه على الملاحظة، تركها السلف من عصور دَرَسَتْ؛ وكان مفعما بالأمل في العثور على أعمال هيبارخوس فيما يتصل بطول السنة، وكان يظن أن هذه الأعمال موجودة في مكتبتي الفاتيكان والإسكوريال[93]. لقد باءت أغلب هذه الجهود بالفشل، رغم أن جهود جون غريفز في الشرق - من العام 1637 وحتى العام 1639 - كانت تصب في هذا المضمار. ومهما يكن من أمر فقد أدرك بِنبردج - في أثناء عشرينيات القرن السابع عشر - أن للعرب إنجازات فلكية في العصور الوسطى، وأن هذه الإنجازات الفلكية لا سبيل إلى معرفتها إلا من خلال معرفة العربية، فقرر تَعَلُّمْ اللغة العربية حتى يتمكن من الظفر بما يريد من هذه الكتب. وتكشف رسالته التي أرسلها إلى أشر Ussher في الثالث من أكتوبر من العام 1626 عن نواياه، يقول فيها:

> *في أثناء وجودي في لندن حصلت على كتاب في الفلك مكتوب باللغة العربية، وقد فهمت الجداول التي يضمها الكتاب فهما تاما، غير أن القوانين التي تحكم هذه الجداول تستعصي على الفهم، ولي رغبة شديدة في معرفة هذه القوانين، وأجد من العسير عليّ فهم هذه الأمور من دون معرفة العربية، وهو الأمر الذي قررت المضي فيه، وآمل (وفق شعار العمل والمثابرة labore & Constantia) أن أستطيع - في نهاية المطاف - ترجمة أي كتاب في الرياضيات مكتوب باللغة العربية. أعرف أنها مهمة صعبة، ولكن تحدوني آمال كبيرة في أن أجد في هذه الصحراء العربية أحجارا أغلى من الذهب، تضيف إلى علوم الرياضيات التي عندي، وآمل أيضا أن أتغلب على جميع الصعاب فأمتلئ بالرضا حين أرى بعيني هاتين حقيقة هذا العلم، وألا أكون عرضة لخداع آخرين يظنون أنفسهم قد علموا أسرار اللسان العربي، ولكنهم لا يستطيعون ترجمة حرف واحد من العربية من دون الإحاطة بهذه العلوم الخاصة؛ أضف إلى ذلك أن كل شخص لـه غرضه الخاص من دراسة اللغة، وهو في هذه الحالة لا ينسجم مع أغراض الآخرين، إنما أروي هذا لفخامتكم للتأكيد على فضلكم في هذا المجال، فإذا تفضّلتم عليّ بجميل كرمك أن تجمع لي - في أثناء إقامتك من أجل البحث في حلب، وجميع*

الأمصار الشرقية - عن الكتب السريانية والعربية، وجميع الكتب العربية المتصلة بالرياضيات والجداول التي تثبت تواريخ الأحداث وفق ترتيبها الزمني، وأكون شاكرا جدا لو جلبت لي معك نسخة من القرآن باللغة العربية، وهو الكتاب الوحيد الذي منه تستطيع أن تظفر بالعربية الصحيحة. فإذا كان معك نسخة في الوقت الراهن، سأكون شاكرا لو أنك أعرتها لي بعض الوقت، لأن النسخ التي معنا محبوسة في المكتبة، ومعها كثير من الكتب العربية التي لا نعرف مكانها في الواقع، أرجو أن تجلب معك كثيرا من الكتب العربية، التي لا نعرف مؤلفيها، ولا كيف الظفر بها إذا أنعمت عليّ بالحق في الطمع في عونك ورعايتك[94].

وسوف نعود إلى موضوع الكتب العربية في مكتبة البودليان في ذلك الوقت، وهنا ألاحظ أن «الكتاب العربي في الفلك» لم يكن إلا المخطوطة التي كان يحتفظ بها بِدوِل لكتاب «المنهاج» لابن البنا، وكما يتضح من رسالة بِنبردج إلى سِلدِن في 27 أغسطس 1627:

إن الجداول العربية (التي تريد أن تَطّلع عليها) أعدتها إلى صاحبها وهو صديقي السيد بِدوِل، وأغلبها جمعه من جداول طليطلة التي ألفها الزرقالي Arzachel، وانتهى بها الأمر إلى خطوط طول مراكش التي ألفها البنا نحو العام 1234، على الرغم من أنه يزعم أنه يسير على خطى إسحق المغربي؛ فالجدول الجغرافي يمتلئ بالأخطاء في خطوط الطول، والجدول الزمني يسير على طريقة الزرقالي، ويدحض مزاعم اسكاليجيه. إنها كنز لا يُقدر بثمن من جهة الموضوع ومن جهة اللغة أيضا. وقد توسلت إلى السيد بِدوِل أن يترجم القوانين الملحقة بها، وألتمس منك مزيدا من السعي لديه[95].

تظهر الملاحظات التي أوردها عن مضمون الجداول فطنة بِنبردج؛ فهي مشتقة حقا من الزرقالي من خلال ابن إسحق[96]. وتظهر دراسته المتخصصة لمخطوطة بِدوِل أيضا من كثرة المقتطفات التي استخرجها منها، وهي الآن في كلية ترِنتي، دبلن TCD بالرقم 383، وخصوصا في الملف 45v، حيث نجد أن وصفه الدقيق للعنوان والمقدمة يسير على طريقة اليد الأفريقية الشمالية التي نسخت النسخة الأصلية[97].

سعى بِنبردج، قبل العكوف على دراسة العربية، إلى الحصول على المعلومات

التي يحتاج إليها من خبير متضلع من هذه الدراسات، وهو إربنيوس Erpenius. وفي العام 1622 أرسل بِنبردج مع جورجيوس راتولر دوبليه Georgius Rataller Doublet، وهو شاب هولندي كان يدرس في أكسفورد، عند عودته إلى لايدن رسائل ليسلمها إلى كل من[98] إربنيوس وسنيليوس Snellius. يشرح بِنبردج في رسالته إلى سنيليوس كيف أنه يأمل في أن يزوده إربنيوس بتجارب الأولين في مجال الخسوف القمري، وخطوط العرض الشمسية أو النجمية التي تمت في الإسكندرية، وذلك من المصادر العربية (فقد يئست من اليونانية). ولكن إربنيوس لم يرد على رسالة بِنبردج، وبعد عامين كتب بِنبردج مرة أخرى رسالة إلى إربنيوس يحثه فيها على إتمام طبعات «كتاب الجغرافيا» لأبي الفداء، وكتاب «تاريخ المسلمين» لابن المكين، وفق ما وعده. ثم إنه طلب من إربنيوس أن يرسل إليه الإحداثيات الجغرافية للإسكندرية وبابل ولندن، وفق ما جاء في كتاب أبي الفداء[99]. وأغلب الظن أن بِنبردج لم يتلق ردا على هذه الرسالة أيضا؛ فقد مات إربنيوس بعد ذلك بفترة قصيرة. بيد أن ذلك لم يثبط همته، فأرسل إلى تلميذ إربنيوس وخليفته يوليوس Golius. ففي رسالة بتاريخ 17/ 27 ديسمبر 1632، يخبره بأن حماسه لدراسة العربية قد تجدد بعد أن سمع أن بين يديه قائمتين من المخطوطات الشرقية، الأولى عبارة عن فهرس للمخطوطات التي كانت ملكا لإغناطيوس نعمة الله Ignatius Ni'matallah، بطريرك أنطاكية[100]. والثانية كانت القائمة المطبوعة للمخطوطات التي عاد بها يوليوس إلى لايدن (باريس، 1630). ومنها وضع بِنبردج يده على المراجع التي تشير إلى أعمال نصير الدين الطوسي Nasir Eddyn، وعلي الشريف Ali Escherif، وابن يونس [101] المصري Aben Ionis Aegyptii، ويطلب معلومات معينة عن المعايير الفلكية عندهم. ومن المفارقات أن بِنبردج لم يلحظ عبارة[102]:

"Coeli descriptio , Claudio Ptolomaeo autore, nunquam nobis visa, ex Graeco Arabica facta".

وترجمتها: «كتاب وصف السماء لكلاديوس بطليموس، وهو كتاب لم نقرأ أصله اليوناني، بل جاءنا من ترجمته العربية». وكانت هذه ترجمة عربية لفرضيات بطليموس الكونية. لقد نشر بِنبردج نفسه في العام 1620 الطبعة الرئيسية للنص اليوناني، غير أن الجزء الثاني كله من هذه النسخة، والجزء الأخير المهم جدا من الجزء

الأول مفقودان. وقد أحضر يوليوس معه إحدى المخطوطتين اللتين كانتا بالعربية، ولكنه لم يدرسها، هو أو أي باحث آخر، حتى أواخر القرن التاسع عشر، ولم تُنشر بكاملها حتى العام 1967[103]. فلو قُدِّر لـبنبردج أن يعثر عليها، لظهرت المعلومات المدهشة التي تحتويها فيما يتصل بنظرية علم الفلك القديمة قبل أن تظهر بثلاثة قرون. على أن يوليوس لم يكن ليسمح لـه بالاطلاع عليها، ونحن نرجح أنه لم يرد على طلب بِنبردج المتواضع في الحصول على بعض المعلومات[104].

لم يحقق بِنبردج نفسه الكثير من خلال سعيه إلى دراسة العربية، غير أن الأهداف التي كان يريد معرفة العربية من أجلها استقرت في ذهن تلميذه وصديقه وزميله في كلية مِرتون، وهو السيد جون غريفز، الذي حقق نجاحا أكبر في سعيه وراء هذه الأهداف (فقد خلفه كأستاذ كرسي سافيل للفلك في الكلية نفسها). وليس من شك في أن تأثير بِنبردج كان كبيرا في غريفز، فقد أثر فيه في مرحلة التكوين، ونستطيع أن نزعم أنه كان مؤثرا أيضا في زميل آخر كان في كلية مِرتون، قبل أن يصبح أستاذا لكرسي سافيل في الهندسة، وهو السيد بيتر تيرنر Peter Turner.

(5) جون فِكَرز

كان جون فِكرز John Viccars من بين أولئك الذين تركوا بصماتهم واضحة في مجال الدراسات العربية في النصف الأول من القرن السابع عشر[105]. ونحن لا نعرف إلا القليل عن حياته، وأكثر ما نعرف تلك الحكاية التي أحاطت بمحاكمته وإدانته. نعرف أنه تلقى تعليمه في جامعة كِيمبردج (وتقدم للدراسة في كلية المسيح في العام 1618، وحصل على الليسانس دفعة 1621/ 1622)، وتلقى بعض التعليم أيضا في أكسفورد (فقد كان طالبا منتسبا في كلية لِنكُن في العام 1624، وحصل على الماجستير في العام 1625)[106]، ثم أصبح أسقفا عاما بكنيسة القديسة ماري في ستامفورد من أعمال لنكنشير. تعرض لحملة من أعضاء أبرشيته في العام 1628 لما أظهره - كما زعموا - من ميول بيوريتانية، وفي العام 1631 دانته المحكمة الكنسية العليا في إنجلترا بتهمة «حيازة مطبوعات فيها آراء بِدعية انشقاقية مدمرة ومضللة، ونشرها»[107]. وحكمت المحكمة عليه بالحرمان الكنسي، والعزل من المنصب، وغرامة مائة جنيه إسترليني. كان من ضمن قضاته السير ناثانيال برنت Nathaniel Brent ووليام

لود William Laud (وكان مطران لندن في ذلك الوقت). أُلغيت تلك العقوبات أو خُفِّفت في النهاية[108]، ولكن فِكرز مُنع من ممارسة مهماته الكنسية في ستامفورد، وهو نفسه قال إنه أمضى سبع سنوات في السجن[109]. لم يَسْعَ إلى البحث عن عمل آخر، ولكنه قرر السفر إلى الخارج (تقريبا في أوائل العام 1636)، في مهمة علمية مطولة في فرنسا وإيطاليا.

نُشرت نتائج أبحاث فِكرز بعد عودته إلى إنجلترا في العام 1638، وكان ذلك في كتاب له بعنوان «المزامير بلغات متعددة» Decapla in Psalmos (لندن، 1639)، وهو ملف يضم أكثر من أربعمائة صحيفة، يفسر فيه مائة وخمسين مزمورا، ويقارن بين روايات ونسخ متعددة في العبرية والعربية والسريانية والكلدية والعبرية الحاخامية واليونانية واللاتينية والإيطالية والإسبانية والفرنسية. وكانت النسخ الشرقية التي أَعدَّها سببا في أن يفحص مخطوطات كثيرة في عدد كبير من المكتبات. ينبئنا بذلك في الكتاب نفسه، وينبئنا أيضا بأنه، إلى جانب المخطوطات التي كانت متاحة أمامه في جامعتي أكسفورد وكيمبردج، وجد بعض المخطوطات في باريس، وظفر بكثير منها في إيطاليا؛ ففي أثناء زيارته روما أُتيح لـه أن يدخل مكتبة الفاتيكان وكلية الموارنة، ثم عرج - وهو في فلورنسا - على المكتبة الفلورنسية، والمكتبات الملحقة بسان ماركو وسانتا ماريا نوفيلا. كما وجد مخطوطات في بولونيا وليفورنو والبندقية (وغالبا لم تكن المخطوطات موجودة في ليفورنو والبندقية إلا في أيدي اليهود). وقد زعم أن كلية الموارنة في روما وباريس لم تكن تضم إلا أربعمائة أو ثلاثمائة مخطوطة من المخطوطات العربية، وقد اطّلَعَ على رأي كثيرين من علماء الكلية المارونية في روما وباريس مع الطبعات اللاتينية التي أصدرها الصهيوني[110]. وهنا نجد أن النسخة العربية هي الوحيدة المتاحة. ويدلنا هذا على أكثر ملامح الكتاب وضوحا، إذ يقول فِكرز بشيء من الزهو، على الصفحة الأولى على الأقل: إن لديه حروفا طباعية سريانية وعربية جهزها خصيصا لهذا الكتاب، وبتكلفة كبيرة، ليستخدمها بنفسه، أو ليستخدمها أخوه الراحل صاموئيل. وقد عرض عينات من هذه الحروف[111]. وقد كانت الحروف العربية أشبه بالحروف التي كان يحتفظ بها إربِنيوس[112]، وتم استخدامها فيما بعد - على مبلغ علمي - لطباعة بعض الكلمات القليلة من كتاب غريفز «القدم الروماني»، وكتب جون

غريغوري التي نُشرت بعد وفاته[113]؛ فلم تكن الطبعة الثانية لعمل فِكرز في العام 1655 إلا تكرارا لصفحات الطبعة الأولى، مع تكرار الأخطاء نفسها التي وردت في الطبعة الأولى، ولم يتغير شيء إلا في صفحة العنوان لتشمل اسم الناشر الجديد. ولما كانت النصوص العربية الوحيدة التي يتضمنها الكتاب مقتطفات مختصرة من نسخ مختلفة من المزامير، فإنها تدلنا على القليل عن معرفة فِكرز بالعربية. ومن المؤكد أن استخدام الحروف العربية لا يُظهِر لنا القائم بالطباعة، ولا يُظهِر لنا المؤلف، ولا يُظهِر من ساعده، ومن أشرف على الطباعة. وهناك أخطاء مطبعية كثيرة، سببها الخطأ في استخدام الحروف، فيحل الحرف الأخير مكان الأوسط مثلا.

ويضم التصدير لطبعة العام 1639 إهداء مسرفا في المديح إلى لـود، وهو ينعت الكتاب بأنه يشي بدقة الملاحظة، وبكرم هذا العالِم وسعة اطلاعه وإخلاصه في الدرس، وبأنه يتألق بالإبداع بعد أعوام من الحظر. وكان لذلك تأثيره المباشر المرجو؛ ففي مايو من العام 1640 ظفر فِكرز بعمل يرتزق منه، فقد أصبح نائبا لأسقف جنوب فامبردج في إسكس، ولكن أدركه سوء الحظ مرة أخرى عندما سقط لـود، وانهارت مدرسته بسرعة كبيرة، واتُهِم أمام لجنة محافظة إسكس - في العام 1644، من بين تهم كثيرة - بأنه من قساوسة الكاثوليك الرومان (فقد كان يزور روما)، وجرى عزله [114]. وفي العام 1652 كان من بين أولئك الذين كُتِبت أسماؤهم في النسخة الأصلية للإنجيل متعدد اللغات بوصفهم من المحررين أو المشرفين[115]، غير أن الدور الذي قام به غامض، وبدا أنه لم يؤدِ دورا يُذكر في إظهار المادة العربية في هذا العمل. وعند إعادة إصدار كتاب «المزامير بلغات متعددة» في العام 1655، حُذِفَ الإهداء الذي حمل اسم لود؛ فلم يكن من الحصافة، على أي حال، أن يُذكر اسم المطران السابق في عمل صدر في أثناء جمهورية كرومِول، وربما كان فِكرز سعيدا بحذف عبارات النفاق فيما يتصل برجل كان سببا في محنته. وبعد ذلك لم نسمع عنه شيئا، وأغلب الظن أنه مات قبل عودة الملك تشارلز الثاني[116].

(6) أشر

كان جيمس أشر James Ussher، وهو [117] من ثمار هيمنة البروتستانت في إيرلندا، واحدا من أهم علماء عصره، تلقى تعليمه في كلية ترِنتي في دبلن، وأصبح

فيما بعد زميلا لها ثم أستاذا لكرسي اللاهوت فيها، ثم عُيِّن أسقفا لميث Meath في العام 1621 ورئيس أساقفة أرماه Armagh في العام 1625. واحتفظ بهذه الوظيفة، مع لقب «كبير أساقفة عموم إيرلندا»، منذ العام 1634، حتى وفاته في العام 1656، غير أنه بعد الثورة الإيرلندية، في العام 1641، كان يعيش في أماكن متعددة لاجئا في إنجلترا[118]، وحتى بعد أن فرض كرومِول Cromwell النظام الجمهوري على إيرلندا، لم يعد أشر Ussher قط؛ فقد أُلغيت الأسقفية بأمر من البرلمان، مما حرمه من وظائفه الكنسية وضِياعه. وحتى قبل العام 1640 كان قد قضى زمنا طويلا في إنجلترا يواصل دراساته الأكاديمية واهتماماته البحثية. لقد كان أشر من العلماء المهمين في الدراسات العربية، على الرغم من أن الباحثين لا يعُدونه من المستعربين. ليس من شك في أنه كان يعرف العربية حق المعرفة؛ فقد كانت المفردات العربية تنتشر بطريقة عشوائية في مراسلاته[119]، وكانت لديه القدرة على قراءة النصوص العربية في علم النحو، والتي كانت موجودة على هيئة مخطوطات في مكتبة[120] إيرل أوف آرندل Earl of Arundel. وهناك مصدر يحيط به الشك[121] يزعم أن أشر ادعى بأن سِلدِن Selden تعلم مبادئ اللغات الشرقية منه، وأنه ما لبث أن تفوق على معلمه. ومهما يكن من أمر فلم تكن العربية تشكل أهمية كبيرة بالنسبة إلى اهتمامات أشر؛ فقد كانت اهتماماته منصبة على دراسة الآثار البريطانية والإيرلندية، وعلى تسلسل أحداث التاريخ (خصوصا في الكتاب المقدس)، وعلى نص الإنجيل نفسه. وحتى في هذا المجال أيضا كان يعتمد على مساعدة آخرين. على سبيل المثال، زوده جون غريفز John Greaves بالمعلومات المتصلة بعدد أيام السنة في كتب الفلك العربية والفارسية[122]، وهي المعلومات التي أوردها أشر في كتابه المعنون بـ «طول السنة الشمسية عند المقدونيين [123] والآسيويين». De Macedonum et Asianorum anno solari Dissertatio (1648) غير أن الأكثر صلة بموضوع هذا الكتاب هو جهود أشر في جمع المخطوطات، وجهوده في رعاية البحث العلمي وتطويره.

ومن العام 1624 إلى العام 1628 وجد أشر من يعمل وكيلا لحسابه، وهو السيد توماس دافيز التاجر الإنجليزي[124] المقيم في حلب، حيث ساعد أشر في الحصول على المخطوطات من سورية وبلاد الرافدين. ورحلة البحث عن هذه المخطوطات نجدها

بالتفصيل في «رسائل دافيز إلى أشر»، والتي تركز على وصف الظروف التي تمت من خلالها مناقشة هذه القضايا في ذلك الوقت. وأورد هنا مقتبسين، الأول من رسالة بتاريخ 16 يناير 1626[125]:

أشعر بأن خطابي بتاريخ 29 سبتمبر من العام 1624، إلى جانب أسفار موسى الخمسة المكتوبة باللغة السامرية(*) قد وصلت إليكم بأمان، وسررت حين علمت أنها نالت رضى سيادتكم، على أني أجد أن واحدا من اليهود لا يحترم ذكائي حين يزعم أنه على علم باللغة السامرية، ويؤكد لي جازما أنها لغة العهد القديم كلـه. كيف قرأ هذا اليهودي تلك الكتب التي طلبتها منه (وأنا أعرف أنه لا يعرف السامرية ولا غيرها)، وأعرف أيضا أنه لا يعرف حتى الحروف الهجائية الخاصة بتلك اللغة، فقد سمعته يقرأ السطرين الأولين من سفر التكوين، الأمر الذي لم أستطعه؛ فلم تكن معي هذه الكتب بلغة أخرى. إنهم ينطقون اسم الرب «يهوه» بطريقة مختلفة؛ إنهم ينطقونه «يهويه»، وسمعتهم ينطقون الحروف الخامس والثامن والسادس عشر من حروفهم: «هي»، «تشي»، «إيي»، وسمعت «تشي» الحرف الثامن يخرج من حلوقهم «تشييه».

ويمضي في القول:

أرسلت إلى دمشق ألتمس الحصول على كتب في النحو والتاريخ والتقويم، وهي الكتب التي ترغبون سيادتكم في قراءتها، ولكني لم أوفق في الحصول عليها؛ فلم يبق لي في دمشق إلا رجل من عامة اليهود، لم يستطع الوفاء بما طلبت، وعجز عن الظفر بما تريدون؛ كل ما قاله لي إنه يعرف كتبا معينة في لغتهم مرهونة عند واحد من فرسانهم في تلك المدينة، في الوقت نفسه لا يعرف المسكين ما تنطوي عليه هذه الكتب من علم. والحق أن ذلك الفارس لم يكن

(*) اللغة السامرية هي العبرية القديمة، السريانية لغة سامية مشتقة من اللغة الآرامية، كانت في القرن السادس قبل الميلاد لغة أهل الهلال الخصيب (الشام والعراق)، يتحدث بها البعض في لبنان وسورية والعراق، وتُعتَبر من اللغات التي يستخدمها الأرثوذوكس في صلواتهم. [المترجم]

ليفرط في هذه الكتب بأقل من مائتي دولار، وهي ما تعادل مائة وستين جنيها إسترلينيّا: ولذا لم أجرؤ على الإقدام على شراء هذه الكتب، خصوصا أني لا أعرف ما تحويه من معرفة، وهل يستحق ذلك المحتوى تلك التكلفة، غير أني لن أهدأ حتى أنتهز فرصة للظفر بما تريدون من كتب اللغة السامرية، وكلي أمل في أن أعثر على بعضها، إلا إذا حالت الاضطرابات في القدس وحولها دون مرور القوافل هذا الربيع.

لم أتسلم الخطاب الأسبق الذي يبدو أن سيادتكم كتبتموه وأرسلتموه مع مارسيلس. ولكن بالنسبة إلى العهد القديم المكتوب باللغة الكلدية، لم يسعفني ذكائي في الحصول عليه، ولهذا الغرض أرسلت مرات متعددة إلى طرابلس وجبل لبنان في طلبه ولم أوفق. وقد رأيت هنا الكتابين الأولين من أسفار موسى، ولكن عند إمعان النظر فيهما - وفق توجيهكم - وجدت أن لغتهما ليست اليونانية؛ فأرسلت إلى بلاد الرافدين، حيث كثرة أبناء الطائفة اليعقوبية هناك، وبعد وقت طويل أرسل إليّ أحدهم (منذ ثمانية أيام خلت) أسفار موسى الخمسة، في مخطوطة قديمة، ووعدني بعض اليهود بأن يرسلوا إليّ ما تبقى من العهد القديم، فقد كان بطريرك اليعقوبيين هو الذي أرسل إليه بتلك الأجزاء، وكتب إليّ أيضا بأن أحصل على تاريخ يوسابيوس Eusebius القيصري مع أعمال أفرام Works of Ephraem، والتي لو قدر لي الحصول عليها سأرسلها لسيادتكم في أقرب فرصة. وقد حصلت على أجزاء من العهد الجديد، وأعني بذلك «تاريخ المرأة الزانية»، ورسالة القديس بطرس الثانية، ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة يهوذا، مع كتاب سفر رؤيا يوحنا، وأرسلتها مع أسفار موسى الخمسة، ومعها رسالة صغيرة لأفرام، عبر السفينة البريطانية التي يسمونها «صبر لندن» Patience of London، وقد بحثت عن كتب العهد الجديد في اللغة السامرية، وهي تختلف عن اليونانية، وفيها نجوم وعلامات

معينة[126]، ولكني لم أظفر بها، وإني لأنتظر أخبارا سارة من بلاد الرافدين فأفضي بها إلى سيادتكم على الفور، مع قائمة بهذه الكتب بمجرد الحصول عليها. وعندما يصلك كتابي هذا أرجو من سيادتكم أن تعطوا سكرتيركم أمرا بأن يرسل إليّ بما ترغبونه من المخطوطات والكتب، ولن أتوانى في إرسال هذه الكتب النادرة إلى سيادتكم، فهي كتب نادرة لا تقدر بمال، وتقاس عندهم بالذهب والجوهر، رغم عدم معرفتهم بقيمتها الحقيقية، وهم لا يستفيدون منها، ولا يتخلون عنها إلا بشق الأنفس، خصوصا للغرباء الذي يفقدون معهم الأمل في استعادتها، إلا إذا كانوا من أصحاب المبادئ: الحق أن الكتب القديمة تحظى بقداسة غريبة في هذه البلاد.

وأما الخطاب الثاني فقد أُرسل بتاريخ 13 مارس 1627[127]؛ يقول فيه:

السيد المبجل، هل تسمحون لي بأن أُذَكِّرَكم بأن آخر رسالة مني إليكم كانت بتاريخ العشرين من أكتوبر مع باخرة الرينبو (قوس قزح)، أرسلت معها تلك الكتب باللغة السريانية، والتي أتمنى أن تصلكم وأنتم في أتم الصحة، وأفضل الشعور بالرضى. والحق أني لم أتوقف عن السعي إلى الحصول على الكتب الأخرى التي طلبتموها سيادتكم، والحق أيضا أني لم أنتهِ من الحصول على العهد القديم باللغة السريانية، وفي بحر أربعين يوما أتمنى أن أظفر به، مع الكتب السامرية التي كانت مهداة لسلاح الفرسان في الجيش التركي في دمشق، ويوجد شخص من البندقية يعيش هناك وعدني بأنه سيوفر هذه الكتب لي، وبتكاليف زهيدة. وأما كتاب «المزامير» المكتوب بالسريانية واليونانية فلم أجده، ويبدو أن هذه المدينة، وما يجاورها من القرى، تفتقر إلى الكتب القديمة، والسبب في نظري هو ضعف وضع النصارى هناك، ورقة حالهم. وأما في بلاد الرافدين، حيث يكثر النصارى وتزداد عزتهم، تجد كثيرا من الكتب القديمة والمتنوعة، ولكن تظل الصعوبة في الحصول على هذه الكتب، فالمكان بعيد، والفرنجة لا يجرؤون على الذهاب إلى هناك، وقد كتبت كثيرا من

الخطابات إلى البطاركة والأساقفة الذين يعيشون هناك، ولكني لم أظفر برد واحد حتى استقر في نفسي أنها لم تصل أصلا، وعلى الرغم من ذلك فلن أفقد الأمل، وسأواصل إرسال الرسائل؛ آمل أن أحصل على العهد الجديد في اللسان الحبشي في أقرب وقت، فالسعادة ستغمرني تماما عندما أجد هذه الكتب كلها أو عددا منها؛ مما سيخدم كنيسة المسيح وسيادتكم. مكافأتي التي أطمح في الحصول عليها هي دعواتكم الصادقة بالتوفيق، وقد عرفت من رسالة سيادتكم في الحادي والثلاثين من يوليو من أكسفورد، بأن الكتب قادمة الآن إليكم عبر الباخرة «صبر»، وعبر الباخرة «باربري كونستانس» في لندن، والتي قد تغادر الإسكندرونة في خلال أربعة أيام أو خمسة، وقد أرسلت إليكم بعض الأوراق المتناثرة ونسخا من بعض الأعمال العبرية، وكتابا آخر غامرت بشرائه، وكتابا في النحو السريالي لم يكلفني كثيرا، وستثبت الأيام جدواه، ولن أتمكن في قادم الأيام من دفع كثير من الأموال، لهذا ألتمس عذركم حين أخبركم بهذه التكلفة، وسوف أرسل إلى سيادتكم عبر السفينة «رينبو» تلك الكتب التي أتوقع وصولها من دمشق وجبل لبنان... أرجو أن تغفروا لي خشونة الأسلوب، فهذا يعود في المقام الأول إلى جهلي، وأرجو أن تتذكروا أنني لست أكثر من تاجر بسيط.

تكشف هذه الرسائل وأمثالها عن أن من بين المخطوطات التي حصل عليها ديفيز لحساب رئيس الأساقفة كانت أسفار موسى الخمسة (في مخطوطة سامرية على الرغم من أنها مكتوبة باللغة العبرية)، والعهد الجديد باللغة السريانية، والعهد القديم باللغة السريانية (مترجم عن العبرية)، وأعمال القديس أفرام بالسريانية. وكان أشر نفسه حريصا على أن يُعَرِّف جميع العلماء بما يقع في يديه من كتب ومخطوطات؛ ففي رسالة أرسلها إلى سِلدِن في الثلاثين من نوفمبر من العام 1627[128]، ومعها ترجمة أشر لمقال من توراة موسى المكتوب بالسامرية لحساب كتاب سِلدِن المعنون بـ «مخطوطات أرندلية» Marmora Arundelliana، هو يقول: إنه إلى جانب توراة موسى المكتوبة بالسريانية والعربية (النسخة العربية

المترجمة من النسخة اليونانية للأسفار السبعة الأولى)، فقد ظفرت أخيرا بكتاب آخر جاءني من الشرق بعنوان Otzar Raza وهو كنز من الأسرار فيه التفسير الموجز باللغة السريانية للعهد القديم كله. وقد يجد القارئ قائمة أطول من تلك في «رسالة إلى لوي دو ديو» letter to Louis de Dieu في جامعة لايدن بتاريخ السادس من يونيو من العام 1632[129]. وإضافة إلى الأعمال التي ذكرناها الآن، يقول أشر: إن بين يديه العهد الجديد كاملا باللغة السريانية (وقد رآه يوليوس عندما كان هذا الكتاب يباع في سورية)، إلى جانب رسائل القديس أفرام. وباللغة العربية كان بين يديه جزء من توراة موسى مترجم من اللغة السامرية، إلى جانب المزامير وسفر التكوين مترجم من اليونانية، وتفسيرات وتعليقات على تاريخ الكتاب المقدس، ومواعظ يوحنا خريسوستوموس، ومواد قانونية من محاضر مجالس الكنيسة القديمة[130].

كان أشر كريما غاية الكرم، حتى بمعايير عصره، في توفير ما يقتنيه من المخطوطات لغيره من الباحثين وعلماء عصره. وقد نستنبط من الرسالة التي ذكرناها منذ حين أنه قد أرسل نسخة من نسخ أسفار موسى الخمسة المكتوبة بالسامرية، وكذلك المكتوبة بالسريانية، إلى جامعة لايدن ليستفيد منها دو ديو de Dieu ولومبرير L'Empereur (وهو خليفة إربنيوس كأستاذ في اللغة العبرية)، ولتعمل الجامعة على نشرها إن أمكنها ذلك. لقد أرسل جميع ما لديه من مطبوعات سامرية إلى سلدن ليعينه على كتابة الملاحظات التي يحتاج إليها لتحقيق كتاب مخطوطات آرندل[131]، وفي تصديره للكتاب المقدس متعدد اللغات يذكر والتون، على وجه الخصوص، بعض المخطوطات والكتب التي استعارها من أشر، كما أعارها لغيره من المحققين[132]. كان لا يجد حرجا في التنازل للآخرين عن النصوص التي يحتفظ منها بأكثر من نسخة، فبالإضافة إلى تنازله عن المزامير المكتوبة باللغة العربية، والتي وهبها لـ لود ليتبرع بها لمكتبة البودليان، نجده يتبرع بأقدم وأفضل نسخة من النسخ الخمس التي يحتفظ بها من التوراة باللغة السامرية للسير روبرت كوتون، وذلك عرفانا منه بجميل كوتون عليه حين سمح له بدخول مكتبته[133] والاستفادة منها. باختصار: كان أشر حريصا غاية الحرص على إثراء المكتبات الإنجليزية والإيرلندية على السواء. وتشهد مراسلاته على حرصه على الحصول على كتب إربنيوس المطبوعة باللغة العبرية، وكذلك حروف الطباعة الشرقية، ليهديها إلى مكتبة كيمبردج[134].

وحين نبهه أحد تجار الكتب ويُدعى هنري فثرستون Henry Fetherston أنه اشترى مجموعة المخطوطات اليونانية النادرة، وأنه أحضرها إلى إنجلترا، وهي مخطوطات كان قد جمعها في مدينة البندقية السيد جياكومو باروتشي[135]، راح يهيب بأحد النبلاء إلى العمل على إغراء الملك بشرائها، وليشتري معها أيضا مخطوطات إربِنيوس التي كانت في ذلك الوقت في ملكية أرملة دوق بكنغهام، لحساب المكتبة الملكية[136]. ولقد انتهت هذه المحاولة أيضا بالإخفاق؛ فقد اشترى عمدة بمبروك، بعد ذلك بأشهر قليلة، بإلحاح من لود[137]، مخطوطاتِ باروتشي لحساب جامعة أكسفورد، وانتهى الأمر بمخطوطات إربِنيوس نفسه إلى مكتبة جامعة كيمبردج.

كان أشر يمارس دورا مزدوجا - جامع مخطوطات وراعيا للدراسات الشرقية - في معاملاته مع كرستيانوس رافيوس. لم يكن لـه عميل في الشرق لسنوات متعددة بعد أن توقف ديفز عن أداء هذه المهمة. والحق أن بِنبردج كان قد اقترح على أشر أن يكلف سامسون جونسون الذي كان متضلعا من اللغات الشرقية، وكان يعمل كاهنا في حلب، «بأن يعمل ما في وسعه لتقديم أقصى ما يستطيع من خدمات لسيادته»[138]، ولكن لأمر ما لم تنجح هذه الجهود، وحدث أن الرجل الذي كان يعمل كاهنا في حلب، وهو إدوارد بوكوك، كان يشتري المخطوطات لا لشيء إلا ليحتفظ بها في مكتبته، أو يمنحها للود. وفي العام 1639 تلقى أشر رسالة من رافيوس، وهو شاب ألماني كان يرغب في السفر إلى الشرق. ولما كان رافيوس سيظهر في صفحات هذا الكتاب أكثر من مرة، فإني أوجز الآن سيرة حياته حتى ذلك الحين[139]. فقد وُلِد في برلين في العام 1613، ودرس اللاهوت واللغات الشرقية في جامعات ألمانية مختلفة، خصوصا جامعة «وتنبرغ»، حيث حصل منها على درجة الماجستير في العام 1636. وبعد أن أنفق وقتا طويلا في البلاد الإسكندنافية، ذهب (على الأرجح في العام 1637) إلى هولندا، حيث التمس الزلفى لدى ج. ج. فوشيوس في أمستردام؛ ودرس العربية على يوليوس في لايدن، بينما كان يسكن في بيت إليكمان Elichmann. وفي صيف العام 1638، بدأ يستعد لرحلة إلى الشرق، ولكنه بدأ بزيارة إنجلترا. كتب إلى أشر (وكان في إيرلندا في ذلك الوقت) من لندن، رسالة تضم بعض التوصيات التي نقلها عن دو ديو وإليكمان وفوشيوس، ويوجز فيها خططه التي أعدها للقيام برحلات، ويطلب من أشر أن يدعمه ليس في رحلاته فقط، ولكنه يطلب منه الدعم - كذلك

- في ترشحه لمنصب أستاذ اللغة العبرية في كلية ترِنتي (الثالوث) في دبلن. وتلقى ردا من أشر في رسالة بتاريخ 5 يناير 1939[140]، يشرح فيها أن المنصب لا وجود له من الأصل، ولكنه يعِد بأن يسهم في الدعم المالي لرحلة رافيوس إلى الشرق. وأخيرا ضمن له مبلغا قدره أربعة وعشرون جنيها إسترلينيًا في العام يُحوَّل إليه ما دام ظل في رحلته الشرقية، وتُرسَل الحوالة عن طريق صامويل هارتلب Samuel Hartlib في لندن[141]. وفي 21 نوفمبر 1639 - وكان رافيوس في القسطنطينية - أرسل لـه أشر قائمة من الكتب التي كان قد طلب الحصول عليها:

> *العهد القديم المكتوب بالسريانية ليس عن العبرية (فلدينا النص العبري)، ولكن منقول عن نسخة يونانية، وبه علامات لتمييز بعض الأجزاء: نجوم وخناجر. رسائل بولِكاربوس وإغناطيوس المكتوبة بالسريانية، تاريخ اليونان ليوسابيوس (غير التاريخ الكنسي المنشور في كل مكان)، أشعار مكتوبة بالسريانية. بعض ترجمات سيماخوس، تاريخ يوليوس الأفريقي لأكويلاي ثيودوتيونس، وكتاب تاريخ الكنيسة لإغيسيبوس، والمكتبة الكبرى لكلمنت السكندري، وكتاب الشرق للأنطالي. وكتاب أنياني وباندوري حول الشرق. وتاريخ اليونان لجورجيوس سنكولوس، وتاريخ اليونان لأبولودوروس. وتاريخ الأولمبياد لفليجون، وديودورس الصقلي، وديونيسوس الهالكارنسي، وكتب ديونيس كوكيانوس. وعلم الفلك اليوناني لهيباركوس[142].*

اختفت أغلب هذه الكتب تماما، ولكن قائمة أشر تُعَد شاهدا على الآمال التي كانت تحدوه في العثور على كنوز مفقودة من الكتب الممعنة في القدم، والتي كانت لاتزال موجودة في القرن السابع عشر. ولم تكن أمام رافيوس فرصة لتحقيق مثل هذه الأمنيات الغالية، ونحن لا نعرف هل ظفر بشيء منها ليرسله إلى أشر لقاء ما قدمه من دعم في أثناء العامين اللذين قضاهما في الشرق[143]. على كل حال، ظل رافيوس يذكره بشيء كثير من الاحترام بوصفه الراعي الذي رعاه سنين متعددة بعد ذلك[144].

وقد زار جون إيفيلين John Evelyn أشر في منزل الليدي بيتربَره Lady Peterborough في رايغيت Reigate 21 أغسطس 1655، وكتب عن الحوار الذي دار بينه وبين رجل شيخ في العام الأخير من حياته[145]. وعبر أشر عن يأسه من

دراسات العربية، وخيبة أمله في التأسيس لها: «أخبرني بأن دراسة اللغات الشرقية تنطوي على مضيعة كبيرة للوقت والجهد، وأن ثمار الجهود التي يظفر بها الدارس من دراسة اللغات الشرقية قليلة الشأن، وهي لا تعظم إلا إذا عكف على تعليم العبرية، وأن العربية لا تظفر منها بشيء مفيد اللهم إلا بعض الكتب في الحساب». ونستطيع أن نستنبط من العدد الكبير من المخطوطات الشرقية الذي كان أشر يمتلكه أن نظرته إلى أهمية لغات مثل العربية والسريانية، وجميع اللغات الشرقية، نظرة ضيقة الأفق؛ فهو لا يقر بأهميتها إلا فيما يتصل بدراسات الكتاب المقدس، وفيما يتصل باللاهوت المسيحي، وفيما يتصل أيضا بنص الإنجيل بنوع خاص. وعلى الرغم من الجهود التي بذلها علماء كثيرون، ومنهم أشر نفسه، لإخراج الطبعة اللندنية للكتاب المقدس متعدد اللغات، في نسخته التي تضم اللغات الشرقية (والتي خرجت من المطابع في الوقت نفسه لإجراء الحوار)، كان أشر على حق في رأيه بأن هذه الجهود لا تعود بالكثير في شرح النص الأصلي وتفسيره. ولكن أشر يجانبه الصواب حين يرى أن دراسة العربية لا تفيدنا إلا في الوصول إلى قدر أكبر من فهم الكتاب المقدس، وشيء يسير من علوم الحساب، فهو يدلل بذلك على أنه لم يستطع استيعاب المنهج الجديد الذي كان يستخدمه علماء مثل يوليوس وبوكوك لفهم اللغة العربية ودراسة آدابها، وتاريخ العرب وفلسفتهم. وهذا لا يعني بالضرورة أن أشر كان ينتسب إلى جيل أقدم.

(7) تأسيس الدراسات العربية في كيمبردج

كانت كيمبردج من أكثر الأمكنة زخما بالدراسات العربية في إنجلترا كلها في خلال القرن السادس عشر، حيث تخرج أندروز Andrewes ولانسلوت براون Lancelot Browne وبِدوِل Bedwell. ومما أعاننا على إلقاء بعض الضوء على وضع العربية والدراسات المتعلقة بها في بدايات القرن السابع عشر خطاب أرسله وليام آيرز William Eyres الأستاذ في كلية عمانويل إلى أشر، وكان آيرز يرغب في دراسة العربية لتساعده في دراساته في الكتاب المقدس[146]. يعبر آيرز عن امتنانه لأشر لأنه أرسل إليه كتاب بوستل Postel في النحو العربي، وكذلك عن امتنانه لأخ أشر الأصغر (وكان أيضا يعمل في كلية ترِنتي في دبلن)؛ لأنه نسخ بعض الفقرات لـه من القرآن[147]. ويبدو أن النص العربي الوحيد الذي كان يمتلكه هو المزامير التي كانت

موجودة ضمن مزامير جوستينياني Giustiniani متعددة اللغات. ومن المرجح جدا أنه استعان في السابق بمعلم يهودي مجهول الاسم يعلمه العربية[148]، وربما كان وجود هذا اليهودي العالِم بالعربية يشجعه على تحقيق أمله في أن يجعل للعربية مكانا في كيمبردج. كان يعتقد أن معرفة العربية واجب من الواجبات التي تستوجبها العقيدة الأكاديمية. وعندما غادر هذا اليهودي كِيمبردج فقد أيرز Eyres الأمل في تحقيق تقدم في مجال اللغة العربية. كان يحتاج إلى معلم مثل كرستمان أو بِدوِل أو أمبروز أشر يعلمه العربية. كان يعلم أن حاجات مستعربي المستقبل في كيمبردج إلى الكتب والمعلمين ستكون مُلِحّة. وعلى الرغم من ذلك كان في كيمبردج كثير من الطلاب الذين توافروا على دراسة العربية في أثناء عشرينيات القرن السابع عشر. ومن أمثلة هؤلاء كان برايان والتون Brian Walton وإدموند كاستل Edmund Castell اللذان سنأتي على ذكرهما حين نناقش الكتاب المقدس متعدد اللغات. ونذكر منهم أيضا جون لايتفوت John Lightfoot الحاصل على ليسانس الآداب من كلية المسيح (دفعة 1620/ 1621)، والذي يعترف بفضل بِدوِل عليه بشيء من الأريحية، فيقول: «يعود الفضل فيما تعلمته من هذه اللغة (العربية) إلى المعلم وليام بِدوِل لعلمه الثري في علوم هذا اللسان»[149]. أضف إلى أولئك روبرت شرنغم Robert Sheringham الحاصل على ليسانس الآداب من كلية كايوس Caius College (دفعة 1622/ 1623)، والذي فُصِل من زمالة الكلية في العام 1643، وبعد ذلك بفترة قليلة – [150] وفق ما ينبئنا وود Wood - رحل إلى هولندا، حيث راح يعمل في تدريس العبرية والعربية للشباب في روتردام. ليس لدي علم أكثر من ذلك فيما يتصل بمقدرته في اللغة العربية، ولكن شاهدنا على مهارته في العبرية ترجمته وتفسيره لكتاب المشناه المطبوع في لندن في العام 1648. ومهما يكن، فإن الرجل المسؤول عن ظهور كيمبردج بوصفها أول مؤسسة علمية تضم بين أروقتها أستاذا لعلوم العربية، ومجموعة معتبرة من المخطوطات العربية، هو أبراهام وِيلُك Abraham Wheelock أول أستاذ للغة العربية في كيمبردج[151].

تحدر وِيلُكْ من أصول متواضعة في شروبشاير Shropshire، وحصل على الليسانس والماجستير في الآداب من كلية ترِنتي، ولكن بدءا من العام 1619 وبعده أصبح زميلا لكلية كلير هول للدراسات العليا، ثم إنه عمل كاهنا في كنيسة القديس

سبَلكر St Sepulchre في كيمبردج في العام 1622، وعُيّن أمينا لمكتبة الجامعة في العام 1629. لا نعرف شيئا عن سبب اهتمامه بالعربية وكيف تعلمها، غير أننا وجدناه على علم بها في العام 1624، ففي ذلك العام كتب جون فورثي Foorthe (أو فورد)، وكان شمّاسا في مدينة ويتشرتش Whitchurch ، وهي مسقط رأس ويلُك، يهنئه على تقدمه في مجال اللغات الشرقية، ويمتدح بصفة خاصة استخدامه اللغة العربية في شرح سفر أيوب[152]. ومن المرجح أن ويلُك قضى بعض الوقت يدرس على بدوِل؛ فقد أكدت زوجة بدوِل لتوماس آدمز في مارس من العام 1632 أن ويلُك (وكان آدمز يقر بأستاذيته للغة العربية) كان يعرف العربية شأنه في ذلك شأن كثيرين في المملكة[153].

نستنبط من الرسائل الباقية لتوماس آدمز[154] أن مبادرة إنشاء كرسي اللغة العربية في كيمبردج كانت مبادرة ويلُك نفسه. لقد بدأ ويلُك بالتزلف لآدمز الذي كان تاجرا عريض الثراء واسع النفوذ في مدينة لندن، أضف إلى ذلك أن الرجلين من مدينة واحدة هي شروبشاير[155]. لا يسجل لنا المؤرخون مسوّدة المبادرة الأولى التي قدمها ويلُك، ولكن من المرجح أنه بدأ بالإلحاح على آدمز، وكان معروفا بالتقى والورع، يبين له أهمية اللغة العربية لنشر دين المسيح، والدفاع عن كلمة الكتاب المقدس[156]. اقترح ويلُك في البداية أن يدعم المشروع مجلس مدينة لندن نفسها، أو يأتي الدعم المطلوب من إحدى الشركات التجارية الكبرى في لندن، وكان رد آدمز أن هذا الاقتراح غير عملي، واقترح أن يكون الدعم من عدد من الأفراد. وما لبث أن تقدم هو نفسه بالتبرع بمبلغ قدره أربعون جنيها إسترلينيا مرتبا شهري لمدة ثلاث سنوات، على ألا يدفع شيئا إلا بعد أن يتأكد من أن الجامعة هي التي تدعم المشروع، وفق قرار نائب رئيس الجامعة ومجلس العمداء، وإلا إذا دعم المشروع السيد ريتشارد هولدزورث Richard Holdsworth. كان ريتشارد هولدزورث هذا - وكان في ذلك الوقت أستاذ اللاهوت في كلية غرِشم Gresham ، وكاهن كنيسة القديس بطرس المسكين في لندن - زميلا في كلية القديس جون في كيمبردج، وفيما بعد أصبح مدير كلية عمانويل، ونائب رئيس الجامعة، ومن كبار المتبرعين لمكتبة الجامعة [157]. وكانت النتيجة أنه في الثالث والعشرين من مارس من العام 1632 تبوأ ويلُك منصب أستاذ اللغة العربية في كيمبردج، وتسلم جدوله: محاضرتين في الأسبوع بنظام الفصل الدراسي. ظفر ويلُك بالمنصب بسبب جهوده الملحة، وأبدى

آدمز استعداده لدعم محاضرات العربية إلى ما شاء الله دعما ماديّا[158]. والحق أن آدمز لم يفعل ذلك حتى العام 1666، بعد وفاة ويلُك بثلاث عشرة سنة، لكنه استمر يدعم محاضرات العربية من خلال المرتب السنوي ما تبقى من حياة ويلُكْ.

كان ويلُك يقرأ محاضراته بشيء كثير من الصبر والتؤدة، على طلاب تختلف مشاربهم[159]، بيد أن إسهامه في تطور العربية كان قليلا حقا. أما المؤرخون فيعزون ذلك إلى أنه كان يعيل أسرة كبيرة العدد، ففي العام 1632 تزوج ويلُك من أرملة كانت تعول طفلا، على النقيض من نصيحة آدمز[160]، وأصبح أبا لخمسة أبناء آخرين. ومن ضمن مسؤولياته الأخرى أنه كان أمينا لمكتبة الجامعة، وهو عمل كان يهتم به غاية الاهتمام. وفي العام 1638 تحمل مسؤولية أخرى وهي إلقاء محاضرات في اللغات الأنجلوساكسونية كان السير هنري سبلمان Sir Henry Spelman قد طلبها منه، فقد كان يريد إنشاء قسم للدراسات الأنجلوساكسونية في الجامعة. هذا القسم لم ينشأ رسميا، لكنه كان - مثل قسم اللغة العربية قبله - يتكئ على جهد رجل واحد[161]. أجرى سبلمان لويلُك مرتبا ثابتا، وتوسط له ليتبوأ منصب أسقف مدلتون في نورفوك لقاء تدريس اللغات الأنجلوساكسونية، ومساعدته في أبحاثه التي كان يقوم بها. واستمرت هذه الرعاية على يد هنري سبلمان بعد وفاة الأب، وأيضا على يد الحفيد روجر سبلمان. كانت إسهامات ويلُك في مجال الدراسات الأنجلوساكسونية مهمة، خصوصا طبعته لكتاب «تاريخ الكنيسة»[162] لمؤلفه بيد Bede's Historia Ecclesiastica. وقضى ويلُك أيضا كثيرا من الوقت والجهد يطّلع على المخطوطات في كيمبردج، ويصنفها ويدير عملية إعارة الكتب لعلماء ودارسين آخرين[163]. وحتى قبل أن يصبح أمينا لمكتبة كيمبردج، كان مشغولا في كلية عمانويل يبحث عن نسخة من كتاب التلمود الذي طلبه منه أشر[164]. وقد أسدى إلى سِلدِن خدمات مماثلة، لكن أكثر خدماته بذلا للجهد والوقت كانت هي التي أسداها للسير هنري سبلمان Spelman Henry Sir والسير سيموندز ديوس D'Ewes اللذين طلبا مساعدته في مجال الأبحاث الأنجلوساكسونية. وكان ويلُك يبدي استعداده على الدوام، من دون إذعان أو تزلف، ولكن من دون أن يخلو استعداده هذا من هدف مادي يرومه، أو غاية دنيوية يتغياها من وراء الاستجابة لهذه الطلبات. كان سبلمان راعيه، وربما كان احتماله لإلحاح ديوس المزعج مرده

إلى انتظار مكافأة مادية منه أيضا. وعندما أرسل إلى ديوس نسخة من طبعته لكتاب «بيد» ذكر أن ديوس حصل على رتبة كنسية مكافأة لـه، مع نهاية مدة شاغلها، وراح سبلمان يطلبها بمختلف عبارات التزلف والتقرب، مثل: «أنا خادمكم الفقير»، و«سأكون طوع أمركم».. mei, viri pauperrimi, et famuli vestri obsequentissimi، وكان يؤكد لـه أن الاستجابة لمطالبه ستفيد في نشر معجم ديوس D'Ewes للغة الأنجلوساكسونية[165].

كانت أكثر محاولات ويلُك جدية في مجال العربية ترجمته للقرآن، ترجمة مصحوبة بهجوم على كتاب المسلمين، وقد ذكر ذلك في رسائل منشورة كتبها إلى أشر ورافيوس[166]، ونجد لها وصفا أكثر إسهابا في مقتطفات غير منشورة من رسائل كتبها إلى صامويل هارتلب محفوظة الآن فيما يُسمى أوراق هارتلب. ونستطيع أن نستنبط منها أنها مجرد ترجمة لأجزاء من القرآن إلى اللاتينية واليونانية، مصحوبة بتفسير يتضمن هجوما حادا على الإسلام ورسوله. وقد نأخذ فكرة عن منهج ويلُك في الترجمة والتفسير من المقتطف التالي:

> *لن أبرح القرآن حتى أكشف حقيقته للكنيسة اللاتينية، وهي تعلم قدرا كبيرا من هذه الحقيقة، ولن أضعه في اللسان اليوناني لمجرد الفخر بما أعلمه من أسرار هذه اللغة وهو قليل، ولكني أستعين بتُجارنا الذين يختلفون إلى بلاد الإسلام، في الحملة على كتاب الإسلام، والكشف عما ينطوي عليه من زيف، فأنا على صلة ببعض المسيحيين الذين يختلفون إلى حلب وفارس وبلاد أخرى، يذهبون إليها يحملون رسالة المسيح ويستظلون بعنايته. ولننس ما تقترفه كنيسة روما من الأفعال الفظة، ولنذهب إلى كل مكان ننشر كلمة المسيح في جميع الأمم، ite et prædicate Evangelium cuique nationi. ولننس قساوستها المهيمنين على أقدارها، فإني أرى أن العبء الأكبر على كاهل الكنيسة الرومانية هو قرآن محمد، وأنا هنا أريد أن أشغل نفسي بهذه القضية حتى يقبض الله روحي. أريد أن أدرس القرآن بلغة القرآن، وأوفر الجهد لتفسيره والحملة عليه بلغته، وهذه اللغة هي العربية[167].*

وكما ترون، لم أقنع بعد بما لدي من علم في هذه اللغة، وآمل أن يعينني الرب القدير على أداء المهمة، فلعله لا يغيب على الدارس المدقق أن القرآن على رغم ما فيه من تجديف ونقد لدين المسيح، فإن براعته اللغوية تفوق الوصف، فكأنه يدس لنا السم في العسل، فلنكشف عن هذا الوجه فيه. ولقد ترجمت جزءا كبيرا منه إلى اللاتينية واليونانية على مبلغ ما أعلم من هذين اللسانين؛ لأذيعه في الجامعات المسيحية، وكنت أتوقع أن يعيننا على الإيمان بالله، فإذا بي أكتشف فيه زيفا، ودعوات للشقاق، وعداء للرب ابن الله الذي يزعم أنه ينصره، وتجديف مغلف في بلاغة باهرة، فهل يريد المسلمون نصرة ديننا ونحن نرى سيوف الترك مُصلتة على رقابنا؟! قد بينت كيف يستعين باللغة في نشر شروره حين يبدأ بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، وهي كلمات طيبة لو لم يكن هدفها الطعن على الثالوث، وعلى اسم الأب والابن والروح القدس[168]. إني لأضع مخاوفي كلها من دين محمد في هذه الرسالة[169].

أرسل ويلُك عينة من ترجمته إلى هارتلب؛ فقد كان يأمل أن يستخدم هارتلب نفوذه في البرلمان للظفر بالتمويل اللازم لنشر هذا العمل الخيري الجليل. ثم إنه طلب منه أن يعرض الترجمة على مُحَكّمين معروفين، وذكر له رافيوس وبوكوك وغريفز وبونكل[170]، ويبدو أن هارتلب نسيها فترة من الزمن؛ ففي شهري سبتمبر وأكتوبر من العام 1648 كان ويلُك يلح على توماس سمِث، الأستاذ في كلية المسيح، في السؤال عن مصير ترجمته. هذا السؤال دفع هارتلب إلى الرد أخيرا[171]، فنراه في الشهر التالي يعيد أوراق ويلُك مصحوبة برسالة تفيد الرفض. فضّل ويلُك ألا يبحث عن الذي أصدر هذا الحكم من بين الثلاثة، لكنه كان يعتقد أن صديقه رافيوس هو الذي رفض رسالته، وكان رافيوس - في ذلك الوقت - يشغل منصب أستاذ اللغات الشرقية، ويعيش في لندن[172]، قريبا من ابن بلدته هارتلب. ومن المرجح أن رافيوس لم يكن يعترض على هجوم ويلُك على القرآن مثلما كان زميلاه بوكوك وغريفز يعترضان، ولكن رافيوس نفسه كان قد نشر قبل ويلُك جزءا يسيرا من ترجمته للقرآن[173]، وكان يعد أن يُتْبِعه بأجزاء أخرى. ومن خلال معرفتنا بشخصية الرجل

نرجح أنه هو الذي أجهض جهود ويلُك المنافسة في هذا المجال، بينما يقر بالإخلاص لـه كصديق. مهما يكن من أمر، فقد كان ذلك الرفض محبطا جدا لويلُك، وكانت النتيجة أن توقف عن المضي في الترجمة، على رغم أن توماس سمِث[174] ينبئنا بأن تصويتا جرى بالفعل في 11 أكتوبر 1647، يقضي بطبع ترجمة ويلُك على حساب الجامعة، مما يشير إلى أن جامعة كيمبردج أقرت الترجمة، ووافقت على جهود ويلُك. ويبدو أن هذه الترجمة فُقِدت، أو اختفت إلى الأبد، وكنا نتمنى أن نرى ملاحظات ويلُك على القرآن بلغة القرآن كما كان يقول.

لم يكن ويلُك سعيدا كل السعادة بتدريس العربية في كيمبردج في أواخر أربعينيات القرن السابع عشر، شَاهِدُنا على ذلك حكاية كان يرويها إدموند[175] كالامي Edmund Calamy. عندما اقترب الشاب إسحق بارو Isaac Barrow ، وطالب آخر في كلية الثالوث من ويلُك، يسألانه عن اللغة العربية التي كانا يريدان تعلمها، فإذا بويلُك يثبط همتهما، ويخبرهما بأن «العقبات كثيرة، والصعاب جمة، وأن الكتب في هذه اللغة قليلة جدا، والفائدة المرجوة مخيبة للآمال». وعلى رغم ذلك كله، كان ويلُك بين الذين وقّعُوا على أول طلب للجامعة لإصدار معجم لندن متعدد اللغات، وينبئنا تود بأن ويلُك وكاستل كانا يقومان بتحرير المعجم من الأخطاء في اللغتين السريانية والعربية[176]. ولكن ويلك قضى نحبه في لندن في 25 سبتمبر 1653، قبل أن يُتم عمله في المعجم، وكان مكبا على إعداد ترجمته للأناجيل الأربعة إلى اللغة الفارسية. ونُشِرت هذه الأناجيل بعد ذلك في العام 1657، بتمويل من توماس آدمز[177].

وفي أثناء الفترة التي عمل فيها ويلُك أمينا لمكتبة كيمبردج، كانت الأرفف تزدحم بأعداد كبيرة من الكتب والمخطوطات العربية، وعلى رغم أن هذا لم يكن بفضل جهود ويلُك وحدها، فإن جهوده في هذا المجال لا تُنكر أبدا[178]. في ذلك الوقت، كانت أهم مقتنيات المكتبة هي مخطوطات إربِنيوس، وكان عددها أربعا وثمانين مخطوطة، منها خمس وستون بالعربية أو الفارسية[179]. بعد وفاة إربِنيوس في العام 1624، اشترى مخطوطاته دوق بكنغهام، وقد تصادف أن كان الدوق في مهمة ديبلوماسية خاصة في البلاد المنخفضة، فأغرى أعضاء مجلس أمناء جامعة لايدن، كما يقال إنه أغرى «اليسوعيين في أنتورب»، بأنه سيدفع لهم مبلغا قدره 500 جنيه إسترليني ثمنا لهذه المخطوطات[180]. وفي العام 1626 انتخبت جامعة كيمبردج

دوق بكنغهام رئيسا لها، ومن ضمن الأسباب التي ذكرها أنصاره أن القائمين على أمر الجامعة في ذلك الوقت كانوا يتوقون إلى ضم مخطوطات إربِنيوس إلى أرفف المكتبة[181]. وعندما اغتِيل الدوق في أغسطس من العام 1628 تلاشت آمال الطامعين في إنعامه على مكتبة الجامعة في مجال المخطوطات والمجالات الأخرى. ولكن في العام 1632، بعد أن استقر مقعد أستاذية اللغة العربية في الجامعة، بدأت المفاوضات مع أرملة الدوق لإقناعها بتحقيق وصية الدوق (أو هذا ما زعموه) بالتبرع بالمخطوطات للجامعة. ويمكننا معرفة القصة من رسائل ويلُك[182] التي بين أيدينا، وجاء فيها أن كبير المفاوضين في هذا الأمر هو رتشارد هولدزورث Richard Holdsworth، الذي نقل الأخبار، من خلال آدمز، إلى ويلُك المهموم بشأن الجامعة. كتبت الجامعة إلى السيدة الغنية أرملة الدوق تنبئها بإنشاء أستاذية اللغة العربية، وبأن الجامعة ينقصها الآن الكتب والمخطوطات العربية، حتى تتمكن من تشجيع الراغبين في دراسة هذه اللغة. كانت المخاوف تساور القائمين على أمر الجامعة من أن تنتقل الكتب إلى جامعة أكسفورد في ظل اهتمام لود (وكان له تأثير كبير في الملك) باقتناء المخطوطات العربية، وأغلب الظن أنها كانت مخاوف مشروعة. ومهما يكن من أمر فقد تمكن هولدزورث في شهر يونيو من العام 1632 من تهنئة ويلُك والجامعة على نقل الكتب العربية إلى كيمبردج، حيث احتُفظ بمخطوطات إربنيوس في خزانة بُنيت داخل المكتبة خصيصا لذلك الهدف.

وقبل ذلك، كان ويلُك قد أدى دورا مهما في إقناع بِدوِل بالتبرع بمخطوطة القرآن للجامعة[183]. بعد وفاة بِدوِل، اتصل بجون كِلرك (صهر بِدوِل)، ولاحت الآمال في الحصول على كتب عربية كانت موجودة في مزرعة بِدوِل؛ فقد أخبره كلارك يقول: «أرجو ألا تخبر الجامعة بشيء يتصل بابن سينا، فقد نظرت في مذكرات أبي (بِدوِل) ووجدته يأتي على ذكر بوكوك لهذا الكتاب، وأخشى أن يأتي إلى منزلنا ويسأل أمي فلا تنكره، وتعطيه الكتاب قبل أن تظفر به الجامعة[184]». كان هذا الكتاب هو «القانون في الطب» لابن سينا، من إصدارات المطبعة الميدتشية، ومن المرجح أن نسخة بِدوِل قد آلت إلى بوكوك الذي كان في حلب؛ لأن نسخة مكتبة كيمبردج كانت قد بِيعت بين العامين 1635 و1636؛ ولاحظ أوتس أن ويلُك قد أعانها بكثير من الهوامش والتعليقات[185]. والحق أن ما تبقى من كتب بِدوِل ومخطوطاته

تفرق بعد موته، فيما عدا قاموسه الذي آل إلى مكتبة كيمبردج وفق ما قضت وصيته، وقد أوصى أيضا بالتبرع بحروف الطباعة العربية للمكتبة نفسها. وقد رأينا كيف أُهمِلت الوصية، وكيف عجزت جامعة كيمبردج عن استقبال الهبة، وسوف نرى فيما يلي من الصفحات كيف سعى ويلُك وآخرون إلى تحسين مصادر الطباعة العربية في كيمبردج[186].

تشهد الفهارس والحواشي التي أضافها ويلُك إلى مخطوطتين للقرآن كانتا من ضمن مخطوطات إربنيوس[187] على بعد همته في استخدام المصادر الجديدة في اللغة العربية، وهي المصادر التي جلبها هو شخصيا إلى جامعة كيمبردج. بيد أن طريقته في استخدام العربية (وهو استخدام ديني وجدلي) قد أصبحت قديمة؛ فيبدو أنه لم يكن يأبه بالمناهج الجديدة التي كانت تستخدمها جامعتا لايدن وأكسفورد. وفي أثناء الفترة التي تولى فيها ويلُك أمانة مكتبة كيمبردج جرى تحقيق مخطوطتين عربيتين كانتا من ضمن مخطوطات إربنيوس: كتاب «تاريخ الكنيسة» الذي ألفه البطريرك أوتيخيوس، ومخطوطة جغرافية أبي الفداء التي كانت في حوزة بوستل. تجدر الإشارة هنا إلى أن هاتين المخطوطتين العلمانيتين لم تُحَقَّقا من قبل ويلُك (وعلى مبلغ علمي لم يقبل على تحقيقهما أي من تلاميذه)، بل حققهما ثلاثة من علماء أكسفورد، وهم: جون غريغوري وبوكوك وجون غريفز، إلى جانب سِلدِن، ولكن أوجه القصور في مسيرة ويلُك كمستعرب لا تنال من مبادرته وإخلاصه في سبيل تطوير دراسة العربية، وتعزيز وسائل تَعَلُّمها في جامعة كيمبردج.

(8) العربية في أكسفورد قبل بوكوك

لم تكن أكسفورد في العام 1600 أكثر استعدادا من كيمبردج لدراسة العربية. لم يكن تدريس هذه اللغة موجودا بأي صورة من الصور، وليس هذا فقط، بل كانت مكتبة الجامعة عبارة عن حجرة لا تضم أي كتب في تعليم أي لغة من اللغات. ولكن في تلك السنة نفسها كان السير توماس بودلي Thomas Bodley مشغولا بالفعل في تجديد المبنى، وجمع الكتب والتبرعات للمكتبة التي كانت تحمل اسمه، حتى افتُتِحت بعد عامين من ذلك العام. والحق أن تاريخ الفكر في القرن السابع عشر في أكسفورد ارتبط ارتباطا وثيقا بتطوير مكتبة البودليان Bodleian Library

والاستفادة منها، ولم يكد القرن يشرف على نهايته حتي حملت هذه المكتبة على أرففها أهم مجموعات المخطوطات الشرقية في أوروبا كلها، وأكثرها عددا. لم يكن الحصول على الكتب العربية من الأهداف الرئيسة لمؤسس مكتبة البودليان ولا لأمينها الأول السيد توماس جيمس، خصوصا في السنوات الأولى من تأسيسها (على رغم أن اهتمام الرجلين بالكتب العبرية كان واضحا في المقتنيات الباكرة للمكتبة). ومهما يكن من أمر، فإن العربية لم تُهمل تماما. فعند افتتاح المكتبة في العام 1602 كان المخطوط العربي الوحيد الذي حرصت المكتبة على الحصول عليه هو نسخة من القرآن[188]. بيد أن الفهرس الأول المطبوع، المنشور في العام 1605، يكشف أن أرفف المكتبة تضم بالفعل توراة موسى بلغات متعددة لجوستينياني، ومطبوعات المكتبة الميدتشية لكتب ابن سينا وإقليدس. ثم إنها ضمت كتبا تعين القارئ على تعَلُّم الأبجدية العربية مثل كتاب بدرو دو ألكالا Pedro de Alcalá في المفردات العربية، وكتاب بوستل المسمى: «الحروف الأبجدية في اثنتي عشرة لغة»، والحروف العربية Alphabetum Arabicum التي أعدها رايموندي[189]. أضف إلى ذلك العدد الكبير من المخطوطات العربية التي تبرع بها المتبرعون للمكتبة في السنوات الأولى من إنشائها، ومنها ثلاث نسخ أخرى من القرآن[190]. وكان السيد بودلي نفسه يسعى إلى الحصول على مثل هذه المخطوطات من الشرق. ففي يوم 7 يونيو من العام 1603 كتب إلى جيمس يقول: «يصيبني الإحباط من صعوبة الحصول على الكتب التركية، ولذا فقد عقدت النية على إرسال واحد من العلماء يعرف اللسانين العبري والعربي حق المعرفة، تكون مهمته مقصورة على البحث عن كتب في هذين اللسانين؛ لضمها إلى المكتبة»[191]. ليست لدينا معلومات أكثر عن هذه الخطة، ولكن في العام 1608 كتب بودلي إلى بول بندار Paul Pindar، قنصل شركة الشرق في حلب، بعد أن شجعه على ذلك تبرع السير هنري للو Sir Henry Lello بمخطوطتين باللغة اليونانية، وكان عائدا من فوره من القسطنطينية حيث كان يشغل منصب السفير[192]. وكانت نتيجة هذا الإلحاح على الكتب الشرقية أن أُرسِلت إلى المكتبة هبة عبارة عن مجموعة من المخطوطات الشرقية لا يقل عددها عن عشرين، منها ثماني مخطوطات باللغة العربية، وذلك في العام 1611، عندما كان بندار يوشك أن يتسلم عمله سفيرا في القسطنطينية. وأعلن بودلي عن الهبة في رسالة إلى نائب رئيس الجامعة[193].

ولا نعرف بعد ذلك إلا قليلا من المعلومات عن الاهتمام بالعربية في أكسفورد قبل العام 1610، ولكنا نعرف أن كراسة مطبوعة في العام 1597، حملت عنوان: «أطروحات» لرتشارد برِت، كان يفترض أن تحتوي على نصوص عربية (على رغم أنها غالبا كُتِبت بخط اليد[194]، نظرا إلى عدم وجود الحروف العربية الطباعية في ذلك الوقت). تدلنا هذه الكراسة على أن بعض «الأكسفورديين» ربما كانوا يقرأون العربية أو يكتبونها، يشهد على ذلك تلك الحفاوة التي استُقبِل بها أول أستاذ للغة العربية في جامعة أكسفورد في القرن السابع عشر، وهو يوسف أبو دقن. كان يوسف أبو دقن هذا[195] معروفا في أوروبا باسم Abudacnus أو بارباتوس Barbatus، وكان من الأقباط المصريين الأرثوذوكس، وُلِد في منف، وربما وُلِد في يوم ما من سبعينيات القرن السادس عشر، وقد أرسله بطرك مصر إلى البابا كلمنت الثامن في روما في العام 1595. وهناك تحول إلى الكاثوليكية (وأغلب الظن أن ذلك التحول كان على مضض، وبقي عليه مدة إقامته في إنجلترا)، وهناك أيضا تعلم الإيطالية وبعض اللاتينية، وربما أصاب بعض العبرية والسريانية. كانت العربية هي لغته الأصلية، ولكن العلامة إربِنيوس يقول: «إن أبا دقن لم يكن يعرف إلا العامية المصرية، ولم يكن يتقن الفصحى في ذلك الوقت»[196]. وفي العام 1608 نجده في باريس يعمل مترجما لآرنولد دو لزلي أستاذ اللغة العربية في الكلية الملكية، ونجده أيضا صديقا لـ إتيان هيوبرت وإسحق كاسوبون وآخرين. وقد أشرنا إلى أن إربِنيوس تلقى بعض الدروس العربية على يد أبي دقن في العام 1609.

وفي العام 1610، سافر إلى إنجلترا محملا بنصائح إربِنيوس، وربما بنصائح آخرين من أصدقائه[197]، وفي إنجلترا استقبله بِدوِل وقدمه للانسلوت أندروز. وما لبث أبو دقن أن وجد نفسه يعيش في دوائر النخبة، فقد احتفى به أندروز وقدمه لـ مايلز سمِث أسقف غلوستر بعد ذلك[198]، ولكن رئيس أساقفة كانتربري في ذلك الوقت، رتشارد بانكروفت، بوصفه رئيسا لجامعة أكسفورد، أعطاه رسالة إلى نائب رئيس الجامعة، جون كنغ، يوصي فيها النائب أن يُعَيِّن أبا دقن محاضرا في اللغة العربية في أكسفورد. نعرف ذلك من رسالة أعطاه بودلي إياها ليسلمها لجيمس، يعزز فيها وصية بانكروفت بقوله: «سوف يسرني أن تستقبل هذا العالِم، وتزوده بما يجعله يتمسك بالبقاء في أكسفورد، وإلا استقطبته كيمبردج، فقد قلت قبل ذلك إنها تسعى

جاهدة للظفر به»[199]. وكان لهذه الرسالة تأثيرها، فتيسرت لأبي دقن الإقامة في قاعة القديسة ماري، يلقي محاضراته في اللغة العربية براتب جيد من الجامعة. ومكث في أكسفورد ثلاث سنوات، تتخللها زيارات عابرة إلى لندن لمقابلة بدِول، ولكن المؤرخين لا يعرفون الموضوعات التي كان يتناولها في محاضراته[200]. ويذكر التاريخ إسهامه في الكتاب الذي يضم قصائد شعرية منشورة في أكسفورد في العام 1612 لإحياء ذكرى الأمير هنري، أمير ويلز[201]، وتضم هذه المجموعة أربعة «دوبيتات» تدور كلها حول معنى واحد، باللغات الآرامية والسريانية والعربية والتركية. أما الآرامية فمكتوبة بحروف عبرية، وأما السريانية والعربية والتركية فمكتوبة بحروف لاتينية، نظرا إلى عدم وجود الحروف العربية، ما جعل النص ملغزا غاية الإلغاز.

غير أن أبا دقن أسهم إسهاما ملحوظا في مجال الدراسات العربية في أثناء إقامته في إنجلترا. ويبدو أن بدِول أطلعه على مخطوطة من رسائل العهد الجديد باللغة العربية كان مشغولا بتحقيقها، وأن أبا دقن نسخ منها رسالة إلى تيتوس. وربما عاد إلى أكسفورد، وأعطى هذه النسخة لماثيو سليد ناظر المدرسة اللاتينية في أمستردام، ويُعَدُّ من المستعربين أيضا، وكان في زيارة إلى إنجلترا[202]. أما سليد فقد أعطاها بدوره لجان ثونيز Jan Theunisz الذي نشرها في لايدن في العام 1612، مما أحزن بدِول الذي كان ينوي نشرها بنفسه أشد الحزن[203].

كان أبو دقن يحب أن يناديه الناس بأستاذ اللغة العربية في أكسفورد، على رغم أنه لم يتبوأ أي منصب رسمي لا في أكسفورد ولا في غيرها، وليس من شك في أنه كان يدرك أن مستقبله في هذا المجال غير قابل للتنبؤ خصوصا بعد وفاة راعييه اللذين كان يدين لهما بالمنصب، فقد تُوُفي بانكروفت في نوفمبر من العام 1610، وتُوُفي بودلي في أوائل العام 1613. ولما حانت له فرصة لقاء في لندن مع فرديناند دو بواشو Ferdinand de Boisschot، سفير الآرشيدوق آلبرت إلى هولندا الإسبانية، غادر إنجلترا إلى الأبد في خريف العام 1613. استرد عقيدته الكاثوليكية فرُحِّب به في أنتورب أيما ترحيب. أما أنشطته التي عمل بها بعد ذلك فلا تهمنا هنا، ولا يبقى إلا أن نذكر أنه كان يدرس اللغات الشرقية في لوفان (فقد نشر هناك كتابا في تعليم أساسيات اللغة العبرية، ربما انتحله من إلياس هتر)، وكان يظفر هذه المرة برعاية نجوم اجتماعية مثل هروارث فون هوهنبرغ Herwarth von Hohenburg، وكبلر،

وتنغناغل في أثناء مروره بمدن مثل آلدورف وميونخ وأوغسبورغ ولنز وفيينا، وانتهاء بالقسطنطينية، حيث خدم كمترجم فقير الحال في المدن الجامعية من العام 1623 إلى العام 1643. من المرجح جدا أن أبا دقن، الذي كان يحب أن يناديه الناس بوصفه أستاذا في اللغة العربية في جامعة أكسفورد، قد قابل إدوارد بوكوك الذي كان بالفعل أستاذ اللغة العربية في أكسفورد في أثناء إقامة بوكوك في القسطنطينية من العام 1637 إلى العام 1640. لم أجد في السجلات الإنجليزية ذكرا لأبي دقن في القسطنطينية، وعلى رغم ذلك نظن أن كتابه الذي ألفه عن «أقباط مصر»[204]، الذي نُشِر في أكسفورد بعد وفاته بفترة طويلة، ربما أهداه هو نفسه إلى بوكوك أو غيره في أثناء إقامته في تركيا.

توقف الدرس العربي في أكسفورد بعد رحيل أبي دقن، وظل متوقفا أكثر من ثلاث عشرة سنة، ولكن ذلك لم يمنع عددا من طلابها من تعلم العربية، نذكر منهم على سبيل المثال وليام بنكي William Pinke من كلية ماغدلين، وقد قيل إن اللورد جورج دغبي George Digby عينه قارئا من قرائه في كلية ماغدلين، وذلك لمهارته في اللغات العبرية واليونانية والعربية[205]. وقد استُؤنفت المحاضرات العربية في الجامعة بحلول العام 1626، على يد ماثيو باسور Pasor، الذي ترك لنا نُبذة عن حياته وعمله حتى وصوله إلى العام الخامس والخمسين، كما هو مطبوع في رسالة تتضمن خطابا جنائزيا يتحدث عنه في غرونغن Groningen في العام 1659[206]. تحدث الخطاب عن أنه ابن السيد جورج باسور (وكان من العلماء أيضا)، وأنه وُلِد في هربورن في العام 1599، وأصبح أستاذا للرياضيات في هايدلبرغ Heidelberg، حيث شارك في الدفاع عن المدينة في أثناء حرب الثلاثين عاما، وهو يصف لحظة نهبها على يد قوات تِللي في العام 1622. وعندما نُفِيَ إلى ألمانيا في أثناء الحرب، وصل إلى لايدن في العام 1624، حيث درس العربية لمدة شهر مع سكرتير العلامة إربنيوس، ثم رحل إلى إنجلترا. وصل باسور إلى أكسفورد في مايو من العام 1624، وسجل لنيل درجة الماجستير، لكنه وجد عملا لدى بيتر فون شبركلسن Peter von Spreckelsen، الذي كان مُؤدِّبا لاثنين من أبناء الأشراف في هامبورغ، وقد صحبهم إلى باريس في أكتوبر من ذلك العام. وقد تُوُفِّيَ شبركلسن فتحين باسور فرصة وجوده في باريس ليتعلم العربية والسريانية زمنا مع جبرائيل الصهيوني؛ ثم إنه

قابل غروشيوس وكلود هاردي أيضا. وعند عودته إلى إنجلترا في العام 1625، تلمس طريقه إلى أكسفورد من جديد، وهناك بدأ يُدَرّس العربية لجون بريدوه، (مدير كلية إكستر)، وتوماس كلايتون (أستاذ كرسي الطب)[207]. وفي صيف العام 1626 التقى أشر باسورَ في مكتبة البودليان، وحثه على العَودة معه إلى إيرلندا، ليخبر جكسُن (رئيس كلية القديس يوحنا ونائب رئيس الجامعة) بأنه إذا عجزت أكسفورد عن توظيف باسور، فإن أشر قادر على ذلك. كان باسور قد تقدم مسبقا بطلب لنائب رئيس الجامعة وعمداء الكليات للحصول على إذن بإلقاء محاضرات عامة في اللغة العربية[208]، وعندما حصل على الإذن، ألقى أول محاضرة له في الخامس والعشرين من أكتوبر من العام 1626. لقد نُشرت هذه المحاضرة[209]، وتفيدنا اليوم في الوقوف على مستوى باسور في اللغة العربية، وكيف أنه مهّد لدراستها في أكسفورد.

وفقا لسيرته الذاتية، فإن باسور لم يدرس العربية إلا في أثناء العام الدراسي 1627/1626. أما في العام الدراسي الذي يليه 1628/1627، واستجابة لمطلب البعض في توجيه الجهد إلى «دراسة أكثر نفعا للنص المعتمد الموثوق به» (ويعني الكتاب المقدس)، فقد اتجه إلى تدريس اللغة الكلدية في أثناء العام الدراسي 1629/1628 وعُيِّن زميلا للكلية الجديدة New College ضمن أعضاء هيئة تدريس اللغة العبرية، وكُلِّف بتدريس السريانية في الوقت نفسه. اقتصر موضوع محاضراته في العام الذي درس فيه العربية على النحو العربي، يعتمد فيه على الكتاب الذي أعده إربِنيوس في النحو العربي، وكتاب آخر أعده إربِنيوس بعد اسكاليجيه يضم طائفة من الأمثال العربية[210]. نستطيع أن نصف محاضرات باسور في أكسفورد بأنها أشبه بمحاضرات أعور يقود أعمى، فلم تتجاوز معرفة الرجل بالعربية ما ألم به من بعض أساسيات النحو في هيدلبرغ، ومن شهر قضاه مع أحد تلاميذ إربِنيوس في جامعة لايدن، وأشهر قليلة (على الأكثر) مع الصهيوني المشهور بالكسل في باريس. وتخبرنا سيرة حياة باسور بأنه كان مستعدا للتحول إلى تدريس أي شيء يمكن أن يُكَلَّف به، كان مستعدا لتدريس الحساب والجغرافيا واللاهوت والفلسفة والعبرية والسريانية والعربية. ونحن نعرف من خلال محاضراته الأولى التي نشرها أن علمه في العربية كان قليلا. أما النص العربي الوحيد الذي يزعم أنه يفهمه حق الفهم فكان يضم مجموعة من الأمثال العربية، وكان يستفيد منها في المطالعة وكفى. أغلب المحاضرة كان عبارة

عن موضوعات معروفة متصلة بفائدة الدراسات العربية؛ موضوعات عادية يجدها القارئ في رسائل النصح وكتب المطالعة[211]. في كتابه إلى مجلس الكنائس في فيينّا مبيّنا فوائد تدريس اللغة العربية في أكسفورد، يقول إن العربية بنْت العبرية. ويمضي باسور في إقامة الدليل على فائدة العربية، وأنها تستحق أن تُدَرَّس في أكسفورد، مؤكدا جمال الخط العربي وأناقته، وثراء المفردات العربية وتنوعها، وأن الناطقين بها ينتشرون على مساحة جغرافية واسعة جدا، وأنها مهمة لدراسة اللاهوت والنصوص المقدسة على الإجمال[212]. ثم يقول إن معرفة العربية مهمة في مجال التواصل مع الشعوب الآسيوية، لدحض أكاذيبهم وبيان أخطائهم (ويضرب هنا المثل ببطرس المبجل Peter the Venerable). يذكر إسهام العرب في الطب والفلسفة والفيزياء والرياضيات والتاريخ والشعر والجغرافيا والفلك.

ثم يشير إلى ليون الأفريقي Leo Africanus ليبرهن على أهمية المكتبات العربية والدراسات الأكاديمية التي أنجزها العرب، وهذا قبل أن يوجز تاريخ الدراسات العربية في البلاد الأوروبية، فيأتي على ذكر فريدرك الثاني، ومجلس كنائس فيينا (مرة أخرى)، ورامون لول، والبابا غريغوري الثالث عشر، والمطبعة الميدتشية، والبابا بول الخامس، وتأسيس بعض الكليات في روما، ثم يذكر بوستل وكلناردس وكرستمان واسكاليجيه ورافلنغيوس وإربِنيوس، ومعلمه الخاص جبرائيل الصهيوني، ثم ينتهي بتوجيه الشكر إلى بِدوِل وقاموسه، متمنيّا له ختاما موفقا. وهو لا يجد غضاضة في أن يمتدح معرفته بالعربية، والفوائد التي سيجنيها الطلاب على يديه، وأن محاضراته ستفي بما جاء في مرسوم مجلس الكنائس في فيينا، وأن طلابه، على النقيض مما حدث مع كلناردس، لن يضطروا إلى الرحيل إلى البلاد الآسيوية بحثا عن مدرسين للعربية؛ وسوف نعرف بعد ذلك أن واحدا على الأقل من الذين حضروا محاضرات باسور يرى خلاف ذلك.

ربما كان الجزء الكاشف في محاضرة باسور هو حين يذكر الكتب المتعددة التي تضمها مكتبة البودليان في مجال اللغة العربية. إلى جانب كتب النحو، يذكر باسور المعاجم اللغوية وتوراة موسى والمزامير والعهد الجديد التي جلبها من لايدن وروما. ويذكر «القانون في الطب» لابن سينا، و«جغرافية النوبة» و«عناصر» إقليدس الصادرة من المطبعة الميدتشية، ومخطوطة «التوراة» باللغة السريانية[213]، وأربع

نسخ من القرآن، وأعمال القديس أفرام، وكتاب «تفسير الأحلام» لأبي سعيد نصر الدينوري[214]. إن باسور يُظهِر – على النقيض مما يقصد – أن مكتبة البودليان لم تكن ثرية بالكتب العربية ثراء كبيرا يتيح لها إنشاء مقعد للدراسات العربية في أروقتها كما يقضي مرسوم مجلس الكنائس في فيينا. لم تكن المكتبة تضم كل مطبوعات إربِنيوس؛ إلا إذا كان باسور قد نسيَ إدراجها في قائمته كما نسيَ مخطوطات عربية أخرى مهمة كانت موجودة على أَرفف المكتبة في ذلك الوقت[215]. وحتى لو سلّمنا بمعرفة المُحَاضِر السطحية بمقتنيات المكتبة، فإن قائمته التي ذكرها إنما تدين حاجة مكتبة أكسفورد الشديدة إلى الكتب العربية، وتشي بعدم قدرتها في ذلك الوقت من العام 1626 على إدارة قسم للغة العربية، وتدحض زعمه بأن هذه القائمة القليلة من الكتب تكفيه في سبيل الوفاء بمتطلبات مرسوم مجلس كنائس فيينا.

وبعد أن اعتضد بذكرى العلامة روبرت ويكفيلد، ينهي باسور حديثه بالتقدم بطلب إنشاء كرسي دائم للغة العربية. ومن الواضح أن هذا الطلب لم يُؤبَه له؛ ففي العام 1629 قبِل باسور عرضا للعمل أستاذا للفلسفة في جامعة غرونغن، ومكث هناك إلى أن وافته المنية في العام 1658. كتب رافيوس من أمستردام رسالة إلى أشر في العام 1647 يخبره فيها أن باسور لم يفعل شيئا ذا بال لفائدة الدراسات الشرقية منذ رحيله إلى غرونغن[216]. كانت حجته الرئيسة لاستحقاق الشهرة أنه كان أول من دَرَّس العربية لإدوارد بوكوك في أكسفورد، وهو يسجل ذلك بكل الفخر في سيرته الذاتية. والحق أن بوكوك نفسه يعترف بفضل باسور عليه بعد وفاته، ولكننا نعتقد أن بوكوك قد استفاد من حماس باسور للعربية أكثر من استفادته من علمه بها، فقد راح بوكوك يبحث عن معلم آخر أفضل يعلمه العربية، وكان هذا المعلم هو بِدوِل.

كان لمحاضرات باسور جمهورها من التلاميذ ومحبي الاستطلاع وفق ما يخبرنا هنري برغز الذي كتب إلى صامويل وارد في العام 1627 يقول: «يحضر محاضرة باسور في اللغة العربية تلاميذ ومستمعون كُثُر تختلف مشاربهم»[217]. لكننا لا نذكر من هؤلاء الذين كانوا يختلفون إلى محاضرات باسور في اللغة العربية إلى جانب بوكوك، إلا توماس كروسفيلد الطالب في كلية الملكة، والذي يذكر في مذكراته أن باسور كان يعطي دروسا في مبادئ النحو العربي[218]. ونذكر هنا اثنين من معاصري بوكوك في أكسفورد، كانت لهما إسهاماتهما في الدراسات العربية، وهما جون غريفز

وجون غريغوري، بيد أن غريفز لم يهتم بالدراسات الشرقية إلا أخيرا على ما يبدو، ويبدو أن غريغوري كان أصغر سنا من أن يحضر محاضرات باسور (وأيضا أفقر من أن يدفع التكاليف المادية المطلوبة لحضور هذه المحاضرات). أضف إلى ذلك أنه قيل إنه علم نفسه بنفسه[219]، والحق أن أعماله المنشورة تشي بهذه المعرفة المضطربة التي يظفر بها الذين يعلمون أنفسهم بأنفسهم. ولكننا نرى السيد أنتوني وود[220] يسرف في مدحه، ويقول: «إنه كان معجزة عصره لعلمه الغزير وقدرته على التحليل النقدي»، ويذكر خصوصا: «مهارته في العبرية والسريانية والكلدية والعربية والحبشية، وغيرها من اللغات»، ولسنا نشك في أن معرفته بعيدة المدى لعبرية الكتاب المقدس، والعبرية الحاخامية، ملموسة في الكتابين اللذين سنذكرهما بعد حين[221]. ويذكر إدوارد غورغاني أن غريغوري شغل نفسه بالتعليم عن طريق المراسلة مع طائفة من مشاهير العلماء ف ي الخارج، منهم اليسوعيون ومنهم اليهود، ومنهم آخرون لا نعرفهم، وأنه هو نفسه يذكر رسالة تلقاها من منسة بن إسرائيل[222]. كان غريغوري أيضا معروفا لـ «لود». عندما كان لود رئيسا للجامعة، يسعى إلى إنشاء مطبعة خاصة في أكسفورد، كان غريغوري أحد شهود الاتفاق بين الجامعة وصاحب المطبعة وليام تيرنر، القاضي بنشر تاريخ جون الأنطاكي (مالالاس)، والذي كان غريغوري ينوي تحقيقه، حيث زودهم صاحب المطبعة «بما تحتاج إليه من الحروف العربية اللازمة في تحقيق هذا الكتاب»[223]. بيد أن ذلك كله لم يتحقق منه شيء.

وُلِد غريغوري في العام 1607 لأسرة متواضعة الحال، وجاء إلى كنيسة المسيح Christ Church خادما بها في العام 1627. وبعد حصوله على الماجستير في العام 1631 سِيم كاهنا وتولى رعايته برايان دوبّه Brian Duppa عميد كلية المسيح وأسقف تشتشستر Chichester وسالزبري فيما بعد. وفي مارس من العام 1642 نجد برايان توين يعهد إلى غريغوري بترجمة بعض القطع في مخطوطة البودليان، الخاصة بمجالس الكنيسة، إلى العربية كما طلب سِلدن[224]. بيد أنه فقد الراعي في أثناء الحرب الأهلية، وفقد مرتبه الشهري من عمله قسيسا لكنيسة المسيح، وتقاعد، وغاب في عتمة الأيام في حانة من حانات كدلنغتون Kidlington حتى وافته المنية في العام 1647. وقد وجدنا مقتبسات متعددة جدا باللغة العربية مع ترجمة لها

في كتابين من كتبه، تشهد على أنه قرأ في العربية، وتعمق في قراءتها من خلال ما توافر لـه من مصادرها في جامعة أكسفورد وهو على قيد الحياة. وقد نُشر كتابه المعنون بـ «ملاحظات ونظرات في بعض فقرات من الكتاب المقدس» في أكسفورد في العام 1646 في لندن، وأُعيد طبعه في العام 1650، ثم مرات متعددة فيما بعد. في هذه الطبعات كُتبت النصوص العربية بحروف عبرية، وبفضل جهود أصدقائه، نُشر عدد من نصوصه ورسائله القصيرة التي كتبها، ويدور أغلبها حول موضوعات من الكتاب المقدس، وقليل منها في الجغرافيا والتاريخ والفلك، في مجلد بعنوان: «أعمال غريغوري المنشورة بعد وفاته» (لندن، 1649، وأُعيد طبعها أيضا مرات متعددة). نجد في هذا الكتاب أن أغلب المقتطفات العربية مطبوعة بحروف فكرز العربية[225]، بيد أن القائم بالطباعة تسبب في تشويهها ربما عن غير قصد[226]. وإذا نظرنا في الموضوعات التي يتناولها غريغوري لا نفاجأ بأن المصادر العربية الرئيسة التي يشير إليها مأخوذة من الكتاب المقدس المسيحي، وتفاسيره والتعليقات عليه. ولكن ذلك لا ينفي أن غريغوري كان على علم بالقرآن، وعلى دراية بكبار مفسريه العرب[227]، وأنه استفاد استفادة كبيرة من المخطوطات العربية والمخطوطات التي جلبها لـود إلى مكتبة البودليان. نجده على سبيل المثال يشير إلى مخطوطة «المنهاج» لابن البناء، على رغم أنه يسميه - لا نعرف كيف - جداول القاس Tables of Alkas؛ فهكذا قرأ اسم «العباس» خطأ (وهو جزء من اسم أبو العباس المدون على صفحة الغلاف[228]. راح أيضا يبحث عن المخطوطات في مجموعات أخرى، فحصل من كيمبردج على «حوليات أوتيخيوس» و«كتاب الجغرافية» الذي ألّفه أبو الفداء[229]، ومن كلية بيليول Balliol College حصل على «كتاب البرهان» (الذي ينسبه إلى جيمس اليهودي، ويقول إنه كُتب في مجال البحث عن البراهين من أقوال الرسل أجمعين على أن مخلصنا هو يسوع المسيح)[230]، ونصوص عربية أخرى في كلية الملكة[231] وما يحتفظ به هنري كنغ، أسقف تشتشستر[232]. ونستطيع أن نستشف من أعماله دلائل كثيرة على أنه كان على صلة بسلدن، والأغلب أن كلا منهما أثر في الآخر. يقول غريغوري في صفحة 78 من كتابه «ملاحظات وتأملات»: «عندي ترجمة عربية لكتاب المزامير»[233] (يعود الفضل في وصولها إليّ إلى الأستاذ العلامة سِلدن صاحب الأيادي البيضاء عليّ وعلى العلم). لم يُشِر غريغوري إلى مقتطف

سِلدِن المطبوع من أوتيخيوس فقط، بل يعطينا مقتبسات متعددة من مخطوطات كيمبردج[234]. وقد رأينا كيف كان يرجع إلى مخطوطة «رو» Roe manuscript لمجالس اللغة العربية في مكتبة البودليان كأنها عن سِلدِن، لكنه كان يقتطف منها هو بنفسه[235]. أما رسائله الباقية مع سِلدِن فتظهر اهتمامهما المشترك بأمور متصلة بالتاريخ[236]. ثم إن غريغوري أيضا يذكر نصوصا عربية علمانية من كتب مطبوعة، لا من خلال الطبعات الميدتشية لكتاب إقليدس و«كتاب الجغرافية» الذي ألفه عالم الجغرافية النوبي، وطبعات إربنيوس لكتاب «المكين»، ومقتطفات أخرى وجدها في أعمال أخرى مثل: كتاب «في تعليم اللغة القبطية» Prodromus Coptus لمؤلفه العلامة أثناسيوس كيرتشر Kircher (روما 1636)، وكتاب «الأناجيل الأربعة» لمؤلفه كيرستن (بريسلاو، 1608)[237]، وكتاب شيكارد الذي أسماه «التاريخ» (طوبنجن، 1628)[238]. وتظهر المقتبسات الكثيرة التي ترجمها غريغوري إلى العربية أنه كان يفهم العربية فهما جيدا، على رغم أن هذه الترجمات لم تكن تخلو من الأخطاء. وكان مثل بِدوِل في جهله بالشكل الذي ينبغي أن يُكتب به اسم الفيلسوف العربي[239] ابن رشد Averroes. نستطيع أن نقول على الإجمال إن جهود غريغوري في مجال اللغة العربية كانت تتميز بالاتساع وليس بالعمق، وأن تأثيره في هذا المجال لم يكن مهما.

4

لود والعربية في أكسفورد

بدا موقف الدراسات العربية في أكسفورد بعد رحيل باسور غير واعد كما كانت عليه الحال قبل وصوله، فلم تنص اللائحة على تدريس اللغة العربية في الجامعة، ولم تكن الإمكانيات المتاحة تكفي للقيام بتلك المهمة؛ فلم يكن في مكتبة الجامعة ما يكفي من المخطوطات والكتب المطبوعة. لم يكن أحد يتخيل في العام 1629 أنه في خلال عشر سنوات ستكون أكسفورد في طريقها لتصبح من المراكز الرئيسة للدراسات العربية في أوروبا كلها. كان الفضل في هذا التحول الكبير يعود في المقام الأول إلى جهود رجل واحد هو وليام لود William Laud، ولكن من دون أن ننسى جهود علماء أكسفورد الذين عملوا معه وأثّروا فيه، ونذكر منهم بيتر تيرنر وجون غريفز وإدوارد بوكوك، وكذلك جهود رجل آخر كان لود يقول عنه: «لدينا في جامعتنا واحدٌ من طلاب اللغات الشرقية النابهين»، وهو جون سِلدن[1].

«إن حروف أكسفورد العربية كانت أفضل من مثيلاتها في جامعة كيمبردج، فقد انتفعت بها جامعة أكسفورد في إخراج كتب عربية كاملة، واستفادت منها في طباعة الأعمال الكاملة للرائدين إدوارد بوكوك وجون غريفز، وفي طباعة كل ما كان مكتوبا بالعربية في جامعة أكسفورد حتى العام 1768».

عندما أصبح لـود[2] رئيسا لجامعة أكسفورد في أبريل من العام 1630، كان يشغل منصب أسقف لندن، بيد أنه كان من أوسع الرجال نفوذا في المملكة كلها بسبب قربه من الملك. وقد تعزز منصبه كرئيس للجامعة عندما صعد إلى كرسي رئيس أساقفة كانتربري في العام 1633. كان أحد طموحاته أنْ يجعل من جامعة أكسفورد - التي التحق بها طالبا فعضوا في هيئة تدريسها حتى أصبح رئيسا لكلية القديس جون - جامعة تضاهي أي جامعة في أوروبا في المكانة والشهرة الأكاديمية. وعلى الرغم من أن إقالته وزوال سلطاته في العام 1641، واندلاع الحرب الأهلية بعد ذلك، حالت دون استكمال خططه لتطوير جامعة أكسفورد، فإن إنجازه في السنوات الاثنتي عشرة التي قضاها رئيسا لها ربما كان له أثر أكبر في الجامعة من إنجاز أي رئيس لها في تاريخها كله. لا نستطيع هنا أن نقيِّم نشاطه كلـه خلال رئاسته للجامعة، يكفي أن نذكر لـه تعديلاته الجوهرية في قوانين أكسفورد ولوائحها المتصلة بالتدريس والتأديب وإدارة الجامعة. أريد هنا أن أركز في المقام الأول على جهوده في تطوير نظام الدراسة والناحية الأكاديمية بصفة عامة، ودراسة اللغة العربية على وجه الخصوص.

لم يكن لـود غريبا على الجدل الأكاديمي، على الرغم من أنه (على النقيض من زميله أشر رئيس الأساقفة السابق) لم يكن أكاديميا بالمعنى الدقيق. كان يحترم الأكاديميين احتراما كبيرا، وكان يعتبر الدرس الأكاديمي عنصرا أساسيًا للجامعة. وقبل أن يصبح رئيسا للجامعة فهم أهمية أن تظفر الجامعة بمكتبة مجهزة ومطبعة متخصصة، وعقد العزم على تجهيز المكتبة وإنشاء المطبعة المتخصصة في جامعة أكسفورد. وقد رأينا كيف أنه عمل في يناير من العام 1629 على إقناع رئيس الجامعة السابق عمدة بمبروك بشراء مخطوطات باروتشي Barocci manuscripts لحساب مكتبة البودليان. في الرسالة التي بعث بها إلى نائب رئيس الجامعة، أنبأه بوصول هذه الهبة[3]، وبأنه يرسل معها ثماني عشرة مخطوطة تبرع بها السير توماس رو Sir Thomas Roe العائد أخيرا من تركيا حيث كان سفيرا في القسطنطينية. وليس من شك في أن لـود كان عاملا أساسيا في التشجيع على هذا التبرع أيضا، الذي ضم نسخة عربية من المجالس الكنسية الباكرة، وهي مخطوطة ذات أهمية قصوى[4]. وربما كانت أهم مجموعة مخطوطات كان هو السبب في الحصول عليها هي مجموعة السير كِنِلم دغبي Kenelm Digby في العام 1634، والتي تضم في أغلبها

نصوصا فريدة[5]. غير أن المخطوطات التي ظلت حتى يوم الناس هذا من أهم مقتنيات مكتبة البودليان من ناحية الكم والكيف، هي مجموعة المخطوطات التي تبرع بها لـود نفسه. لقد بدأ لـود يشتري المخطوطات على نطاق واسع بعد توليه رئاسة الجامعة مباشرة (إذ لم يكن قبل ذلك)، وأهدى كل ما اشتراه للمكتبة في سلسلة من التبرعات من العام 1635 وحتى العام 1640[6]. ومما يستحق الذكر أن هذه المخطوطات لم تكن تقتصر على اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية، ولكنها كانت تضم أعدادا مهمة من النصوص الشرقية، خصوصا العربية.

من غير المرجح أن لـود نفسه كان يعرف العربية، أو شيئا منها. فما السبب، إذن، الذي جعله يهتم بتنمية الدراسات المتصلة بهذه اللغة؟ لا مهرب من أن أخَمِّن الإجابة، لأني لم أطلع على أي نص كتبه يتصل بهذا الشأن. لقد كانت للـود علاقة تقوم على الصداقة والاحترام، مع أولئك المتحمسين لدراسة العربية وتدريسها، ومنهم بدوِل وسِلدِن على وجه الخصوص. ثم إنه كان يُكِّن احتراما كبيرا لـ ج. ج. فوشيوس، الذي - وإن لم يكن من المستعربين - كان من كبار المتحمسين للعربية كما سنرى بعد حين. ولكني أرى أن التأثير الأكبر في لـود فيما يتصل بالمخطوطات، وأمور أخرى، كان بيتر تيرنر Peter Turner الذي كان يشغل كرسي الهندسة والرياضيات وزميل كلية ميرتون. وينبئنا أنتوني وود أن تيرنر كان محبوبا جدا من قِبل رئيس الأساقفة لـود[7]. وهذا ما يمكن أن نستشفه من سطور المراسلات الموجودة بينهما. كان تيرنر معروفا لـ لـود منذ العام 1629، وكان عونا كبيرا له في مراجعة لائحة الجامعة الجديدة على الأقل بين العامين 1633 و1634. وقد ظهرت الثقة التي وضعها لـود في هذا الرجل من خلال فقرات من رسالته إلى نائب رئيس الجامعة في 26 مايو من العام 1637، وفيها لا يقبل اقتراح تيرنر بشأن المشروع المقترح بإنشاء مطبعة جامعية فقط، بل ينصح نائب رئيس الجامعة بالتعاون مع تيرنر في هذا الخصوص بوصفه مندوب لـود أو نائبه [8]. وفي أثناء زياراته التفتيشية لـكلية مِرتون في العام 1638 وبعد ذلك، كان يتحمس لجماعة تيرنر وغريفز ضد جماعة واردن والسير ناثانيال برنت[9]. وود يصف تيرنر بأنه: «متمكن من اللغتين العبرية والعربية»[10]. بيد أنه من المستحيل، لسوء الحظ، الوقوف على صحة هذا، فلم ينشر تيرنر شيئا ذا بال[11]. وربما لم يترك - مذ طرد مفتشي البرلمان من جامعة أكسفورد في العام 1648[12] - شيئا مكتوبا بخط

يده[13]. الشيء المؤكد أنه أسهم في تمكين رجلين من المهتمين بالعربية اهتماما كبيرا، وهما هنري يعقوب وجون غريفز[14].

(1) لـود يجمع المخطوطات الشرقية

لا نريد أن تشغلنا الحيرة أمام سر اهتمام لود بالعربية، المهم أنه كرّس الكثير من المال والجهد في سبيل جمع المخطوطات الشرقية. وقد رأينا منذ قليل أنه اشترى الكثير من مخطوطات بِدوِل العربية بعد وفاته، وكان يشجع كلا من بوكوك وغريفز - في أثناء إقامتهما في الشرق - على إرسال ما يقع في يديهما من مخطوطات. وقد فَكّر لـود في فكرة (وربما اقترحها عليه تيرنر) فحواها أن تُكَلّف السفن التابعة لشركة الشرق بتحصيل رسوم قليلة على المخطوطات، وقد وصل خطابٌ إلى الشركة موقع باسم الملك في الخامس عشر من فبراير من العام 1634[15]. يقول:

> *كل سفينة من سفن الشركة عليها أن تُحضِر في كل رحلة مجموعة من الكتب المخطوطة العربية أو الفارسية، لتوصيلها على الفور إلى رئيس إدارة شركتكم، ثم يتكفل بنقلها وتوصيلها إلى رئيس الأساقفة في كانْتْ. إن المتبرع بمثل هذه الحمولات يُعتَبر في رأينا من المحسنين.*

والحق أن المبررات التي تعضد هذه الفكرة موجودة في مقدمة الرسالة، وتستحق أن نوردها كلها:

> *يوجد في هذه المخطوطات كنز من العلوم، ومعرفتها فرض عين علينا، وهي مكتوبة باللغة العربية، كما أن جامعاتنا كلها تعاني النقص الشديد في مثل هذه المعارف التي تحملها العربية، والذين تنهض هممهم فيسترخصون الوقت والجهد في سبيل الحصول على هذه المعارف قليلون، سواء كانت هذه المعارف موجودة في اللغة العربية أو في أي لسان شرقي. ولهذا فنحن لا نلوم طلابنا لجهلهم بهذه الكتب، بل نلوم أنفسنا من جهة، لصبرنا على النقص الشديد في الكتب العربية والفارسية، والتي ينتظرها طلابنا بفارغ الصبر للاطلاع عليها وفهمها، ومن جهة أخرى لانعدام الفرصة والوسيلة التي تمكنهم من هذه الكتب.*

وعندما وصلت الرسالة إلى مدير الشركة ومجلس إدارتها قررت الشركة الرد عليها، فأرسلت رسالة إلى جميع السفراء والقناصل في شأنها[16]. ولكن ليس من المستغرب أن نعرف أن هذه الخطة، التي لم يكن وراءها شروط ولا قيود في اختيار المخطوطات[17] لم تنجح النجاح المتوقع. ففي العاشر من فبراير من العام 1637 يكتب جون غريفز إلى تيرنر بخطط أخرى يقترح بمقتضاها أن يسافر هو وبوكوك إلى الشرق، ويريد مساعدة لـود، فيقول في رسالته: «لو كنت في القسطنطينية لأصدرت الأوامر بأن تنصاع السفن القادمة من الشرق لتعليمات الملك فيما يتصل بالكتب العربية، انصياعا كاملا؛ فهي نصائح غالية ومفيدة، وتستحق الاهتمام بها، وسوف أقدم للتجار خدمات جليلة عندما أخبرهم بتوصيات جلالته»[18]. وكما سنرى، كان وصول غريفز وبوكوك إلى القسطنطينية مرتبطا بتدفق غير مسبوق للمخطوطات العربية ظهر في تبرعات لـود لجامعة أكسفورد، ولكن ليس هذا معناه أن التجار قد انصاعوا لأمر الملك. كان محضر اجتماع مجلس إدارة شركة الشام في 18 أبريل من العام 1640 يقول: «رسالة من قداسة رئيس أساقفة كانتربري وأخرى من السكرتير وندبانك Windebanke تشيران إلى سعادة قداسته بشأن الطلب من الشركة أن تكون أكثر حرصا فيما يتعلق بالمستقبل، وإعطاء الأمر لجلب الكتب العربية من بلاد الترك». لم تعد رسالة لـود موجودة، ولكن مسوّدة السكرتير وندبانك[19] تكشف عن أن كتبا قليلة قد وصلت إلى لـود وفق هذا الأمر، وأنه تلقى على الأكثر كتابين خلال العامين المنصرمين. في هذه الرسالة كانت المبررات المعروضة على الملك مكتوبة بطريقة تغري التجار، تقول الرسالة: «لدى جلالته رغبة كبيرة في تعزيز المعرفة باللغات الشرقية داخل حدود مملكته، ولديه رغبة كبيرة أيضا في أن يعرف الناس علوم هذه اللغات، وتعزيز التجارة في هذه المناطق». اختار البلاط قساوسة الشركة للنظر في الأمر، والتوجيه بـ «أن تصدر الأوامر للقساوسة المتمتعين بميزات الشركة، خصوصا القسيس الذاهب إلى حلب في الرحلة القادمة مباشرة»[20]. وجاء سقوط لـود وفصله من رئاسة جامعة أكسفورد في أثناء السنة نفسها ليضع حدا لما كان التجار يعتبرونه من مصادر المضايقات بالنسبة إليهم.

لقد ألقت أبحاث هَنْتْ Hunt بعض الضوء على المصادر التي حصل من خلالها لـود على مخطوطاته[21]. على الرغم من ذلك يوجد الكثير من المخطوطات التي

تنتظر من يكشف عنها، وهنا أريد أن ألخص ما يمكن أن نتعلمه من ذلك فيما يتصل بالمخطوطات العربية بصفة خاصة[22]. فلقد رأينا قبل قليل أن بعض المخطوطات وصلت إلينا من شركة الشام بصفة الهبة، وسوفِ نرى أن بوكوك، بينما كان في حلب (وفيما بعد بوكوك وغريفز في القسطنطينية)، قد مارس نوعا من الإشراف على اختيار تلك المخطوطات، ولكن نظرا إلى كسل التجار وتهاونهم في إنفاذ الأمر الملكي، فإن عدد المخطوطات التي وصلت إلينا لم يكن كبيرا. بيد أن لـود قد ظفر ببعض المخطوطات من أفراد التجار، مثل المخطوطة الأصلية التي تحمل الرقم «22». التي يسجل فيها أنه تلقاها في الخامس من مايو من العام 1634 «وأرسلها لي إدوارد تين من حلب في سورية»[23]. ومن الذين حصل منهم لـود على مخطوطات عربية العلامة أشر، والعلامة توماس كلايتون (أستاذ كرسي ريجيوس للطب في جامعة أكسفورد، والذي أصاب حين تبرع ببعض كتب الرازي بالعربية)، والبطريرك سايرل لوكاريس[24]. ويبدو أن لـود استخدم سامسون جونسون، قسيس السير روبرت آنستروثر، سفير المملكة في مدينة فرانكفورت، ووكيله في جمع المخطوطات في أوروبا[25]. كان جونسون مهتما باللغات الشرقية (وفي لحظة من اللحظات تقدم ليعمل كاهنا في حلب، وهو ما حصل عليه بوكوك في النهاية). ومن بين المخطوطات التي طلبها منه لـود اثنتان من المخطوطات العربية، وراح يراسل لـود بشأن بيع كتب إليكمان العربية بعد وفاة هذا العلامة في العام 1639. وقد ذكرت منذ قليل أنه بعد وفاة بِدوِل اشترى لـود الكثير من مخطوطاته، وأن كثيرا من المخطوطات جاءت فيما بعد عن طريق سِلدِن. أخفق هَنْت في أن يخرج بنتيجة واضحة من القائمة التي يخرجها في الصفحة 33 من أعداد المخطوطات الغربية والشرقية التي آلت إلى مجموعة لـود في أثناء الأعوام من 1634 إلى 1640، (فقبل العام 1634 كان قد ظفر بما مجموعه ست وخمسين مخطوطة شرقية). وصلت مجموعات المخطوطات الشرقية في العام 1635 إلى ثلاث وتسعين مخطوطة، وفي العام 1638 إلى خمس وخمسين مخطوطة، وهي أعداد تفوق ما حُصل عليه في أي سنة أخرى، وتشكل في مجموعها نصف مقتنيات لـود كلها من المخطوطات الشرقية[26]. ومن المؤكد أنها ليست مصادفة أن يكون بوكوك في العام 1635 في حلب، وفي العام 1638 يكون بوكوك وغريفز في القسطنطينية، من الناشطين نيابة عن رئيس الأساقفة. والصورة نفسها يمكن أن نستشفها من وصف

لـود لنفقات بيته: «12 جنيها و7 قروش و6 سنتات لكتب عربية» في 6 مايو 1636 و50 جنيها «أعطيتها لدانيال هارفي لقاء مخطوطات» في 26 أكتوبر 1638[27]. «وعلى الرغم من وجود دليل واضح على صلة مخطوطة من مخطوطات لـود بصديقه غريفز[28] وليس بوكوك، فليس من شك في أن الاثنين كانا مسؤولين عن إرسال لود أغلبية المخطوطات العربية التي تبرع بها لجامعة أكسفورد.

(2) لـود ينشئ قسم اللغة العربية

كانت خدمة لـود الأخرى للدراسات العربية في أكسفورد إنشاءه منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في الجامعة، وقيل إن لـود أراد أن يحذو حذو توماس آدمز في كيمبردج، الذي سبق لـود بأربعة أعوام في إنشاء قسم اللغة العربية هناك. ليس من الحكمة أن ننكر المنافسة الشديدة التي كانت محتدمة بين الجامعتين، وأن هذه المنافسة قد أدت دورا في التفكير في إنشاء هذا المنصب، بيد أن الباحث المدقق يكتشف أن الأمور كانت أبعد من ذلك. فقد كتب لـود إلى بوكوك في حلب في 30 أكتوبر من العام 1631، يحدثه عن قوة الصداقة التي تربط بينهما من جهة، وبينهما وبين بِدوِل من جهة أخرى، ويطلب منه، في الوقت نفسه، أن يشتري لـه بعض العملات المعدنية والمخطوطات لحسابه الشخصي[29]. إذن، قبل أن يُعَين ويلُك محاضرا للعربية في كيمبردج، كان لـود على صلة بالرجل الذي سيُعَيِّنه أستاذا للدراسات العربية في أكسفورد، وكان مهموما في الوقت نفسه بجمع المخطوطات العربية التي استقرت في نهاية المطاف في مكتبة الجامعة. من المستحيل أن نحدد بدقة متى بدأ لـود يفكر في تأسيس قسم اللغة العربية في أكسفورد، ولكنا نخمن أن ذلك كان قبل الحادي والعشرين من مايو من العام 1634، عندما كتب إلى بوكوك يقول: «آمل أن تستعد، قبل عودتك من حلب، لتدريس اللغة العربية». ومضى لـود يكتب قائمة في صفحة من صفحات يومياته: «من بين الأمور التي أزمع إنجازها، إن شاء الله تعالى، العمل على تأسيس قسم اللغة العربية في أكسفورد، يستمر ما دمت حيّا على الأقل، وسأتبرع بضيعتي كلها لخدمة هذا المشروع، ولا أظنها تكفي إلى ما لا نهاية، ولكنها أفضل بداية»[30]. وعلى الرغم من أن لـود كان قد بدأ قائمته في أثناء انتخابه رئيسا للجامعة في أبريل من العام 1630، فقد أضاف إليها هذا الموضوع

من بين ما أضاف من الموضوعات فيما بعد. من هنا أستطيع أن أقول إن نية لـود في إنشاء قسم اللغة العربية ربما ظهرت لديه بين العامين 1630 و1634. فلم تكن كيمبردج، إذن، هي مصدر الإلهام الرئيس فيما يتصل بهذا الموضوع، بل كان لـود يتطلع إلى أن تكون جامعة أكسفورد ندا قويًا لأي جامعة أوروبية، وأمامه، على وجه الخصوص، جامعة لايدن التي كان يُعجَب بها أشد الإعجاب، وبها مدرسة عريقة للغة العربية، ومجموعة مدهشة من المخطوطات الشرقية. كان لـود يضمر احتراما كبيرا لما ذهب إليه ج. ج. فوشيوس من آراء، (يظهر ذلك في مراسلاتهما) وعلى الرغم من أن فوشيوس لم يكن يعرف إلا قليلا من العربية، فقد كان مقتنعا بأهمية تَعَلُّم العربية وتعليمها لأهميتها في البحث الأكاديمي، فنراه يكتب إلى مرسيوس في أكتوبر من العام 1625، فيما يتصل بخطط يوليوس للسفر إلى الشرق لتحسين مستواه في اللغة العربية، ويتمنى لـه التوفيق في مسعاه [31]: «عند وصولك إلى هولندا بنية دراسة اللغة العربية، تستطيع أن تستخلص الكثير من سجلات العرب هناك». وفيما بعد أرسل ابنه ديونيزيوس، وكان شابا واعدا إلى أبعد الحدود، إلى الشرق، ليعيش هناك ويعكف على دراسة العربية مع يوليوس. كان لـود قد قابل فوشيوس في لندن في أثناء زيارة فوشيوس لإنجلترا لتعيينه كاهنا براتب في كانتربري في العام 1629، وكان لـود شفيعه في هذا الأمر[32]. وعندها دار حوار بينهما تناول ذلك الكنز من المخطوطات العربية الذي ظفرت به جامعة لايدن بفضل جهود يوليوس قبل أن يسافر فوشيوس إلى إنجلترا بشهر واحد.

أنشأ لـود كرسي اللغة العربية في أكسفورد في الثامن من أغسطس من العام 1636، بعد عودة بوكوك إلى أكسفورد قادما من حلب. وكما رأينا كيف نشأ قسم اللغة العربية في كيمبردج من خلال محاضرات ناطتها إدارة الجامعة لـ ويـلُك، نشأ قسم اللغة العربية في أكسفورد من خلال محاضرات ناطتها الجامعة لـ بوكوك لقاء مرتب كان يدفعه لـود لـه يصل إلى أربعين جنيها في الشهر، مادام بقي لـود حيًا. ولكن لـود أعلن منذ البداية نيته جعل هذا المرتب دائما بصرف النظر عن حياته أو موته. ونورد هنا جزءا من رسالة كتبها توماس غريفز إلى لـود في نوفمبر من العام 1639، وكان مفوضا عن لـود، وكان يعيش في القسطنطينية في ذلك الوقت، وهو مقتطف يُظهِر اهتمام لـود الشديد بتفاصيل الموضوع، وبالظروف التي تحيط به، وبنجاحه المأمول:

في مبتدأ إنشاء المحاضرة العربية كان مذهب قداستكم (الذي اتبعناه بدقة) أن تكون في أوقات الإجازة، وفي أثناء فترة الصوم الكبير (صوم الأربعين)، ومرة واحدة كل أسبوع، وتحديدا يوم الأربعاء، بين التاسعة والعاشرة مساء. أضف إلى ذلك أن المُحاضر يخصص ساعة من وقته يومي الإثنين والجمعة بعد الظهر يستقبل خلالها طلاب اللغة العربية الذين يرغبون في تصويب أخطائهم. وقد علم بعضهم برضاكم عن المحاضرات العربية، فانتظروا أوامركم. وأستطيع اليوم أن أزيدكم تأكيدا أن حضور المحاضرات جيد، وأغلب الحاضرين من طلاب الآداب، الذين يستعدون للحصول على الماجستير بنوع خاص. وقد حضر إليّ كثيرون ممن أشهد لهم بالموهبة، يستنصحونني، ومنهم (خادم في كنيسة) سلمني رسالة مكتوبة بالعربية من إنشائه يريد تصحيحها. فإذا أرادت مشيئتكم يمكن عرض الأمر على رؤساء مجالس الكليات، في أثناء اجتماعهم، للحديث معهم عن إمكانية تسجيل أسمائهم من أجل الالتحاق بهذه الدراسة المفيدة، وسوف أقدم لهم كل العون والتوجيه[33].

وفي الخامس والعشرين من يونيو من العام 1640، وكانت سحب الأزمة السياسية التي أطاحت بـ لـود نفسه قد تجمعت، وكان يرى بعين البصيرة أن الوقت المتاح لـه لعمل تغييرات في جامعة أكسفورد قليل، تبرع لقسم اللغة العربية الذي أنشأه بأرضه التي يمتلكها في براي[34]. ومن هنا ظفرت أكسفورد بكرسي دائم للغة العربية قبل حصول كيمبردج عليه بخمسة وعشرين عاما أو أكثر.

وفي اليوم الثاني من يوليو من العام نفسه، أصدر لـود اللائحة الدائمة التي تحدد قوانين البرنامج وواجبات أعضاء هيئة تدريس اللغة العربية وطلابها[35]. وقد أشار توماس غريفز إلى طرف منها في الرسالة التي ذكرناها. بيد أن هذه اللوائح تغيرت، فعلى الرغم من أن المحاضرة ظلت تُعقد مرة كل أسبوع في أثناء العطلات، وفي أثناء صوم الأربعين، فقد زادت ساعات الأستاذ المكتبية لتصبح ثلاث ساعات مسائية من ذلك اليوم نفسه. أضف إلى ذلك أن حضور المحاضرات لم يعد مرهونا بالاختيار، بل أصبح إلزاميا على كل طلاب ليسانس الآداب، حتى يتخرج منهم المستعدون

للمضي في دراسات الماجستير، وجميع طلاب بكالوريوس الطب، حتى حصولهم على البكالوريوس من الكلية نفسها. فيما عدا ذلك، كان القسم مفتوحا لمن يريد الحضور الاختياري. ومن ثم كانت اللائحة تتسق مع اقتناع لـود بأن دراسة العربية تلائم طلاب الدراسات العليا فقط، ممن يرغبون في مواصلة دراساتهم إلى ما لا نهاية، باستثناء طلاب المرحلة الجامعية الأولى الذين يرغبون في الاستمرار في الالتحاق بمهنة الطب، والذين يضطرون بحكم دراستهم (كما كان يُظن) إلى الاطلاع على كتب ابن سينا في الطب. ولكن هل نجحت هذه اللوائح كما كان يخطط لها لـود؟ لم أطّلِع على دليل واضح على ذلك. على النقيض، كان نقص الدليل على وجود حضور كثيف من طلاب الليسانس في محاضرات بوكوك يجعلني أميل إلى الظن بأن اللائحة كانت معطلة في القرن السابع عشر (كما حدث، يقينا، في القرن الثامن عشر) وإن كان بعض طلاب الطب يُدفعون إلى المحاضرات دفعا. وضع لـود في اللائحة أن من يغب عن المحاضرة يدفع غرامة ستة سنتات، وأن تلك السنتات تُخصص بعد ذلك لشراء الكتب لمكتبة البودليان. وقد بحثت عن دليل على أن مكتبة البودليان كانت تستفيد في ذلك الوقت من تلك الأموال فلم أجد. إذن لا ينبغي أن نخلص من ذلك إلى أن طلاب البكالوريوس جميعا كانوا يحضرون جميع المحاضرات؛ فالغرامات المفروضة[36] على الغائبين تعني حضور نائب رئيس الجامعة في أثناء المحاضرة أو من يمثله، ولنا أن نشك في أن أولئك المسؤولين كانوا يهتمون بالقيام بمسؤولياتهم على أكمل وجه. كل ما نعرفه يشي بأن أغلب طلاب الدراسات العليا في أكسفورد لم تكن لهم صلة بالعربية من قريب أو بعيد، وأن محاضرات بوكوك لم يكن يحضرها إلا المهتمون بِتَعَلُّم العربية حق الاهتمام.

(3) لـود ومطبعة الجامعة

لدينا سبب آخر من أسباب تأخر الدراسات العربية في أكسفورد وتخلفها مقارنة بتقدمها في جامعة لايدن، وهذا السبب هو إمكانات الطباعة بالحروف العربية. كانت الطباعة في أكسفورد متخلفة عنها حتى في كيمبردج، التي ورثت حروف الطباعة العربية التي تركها بِدوِل في العام 1632. وعلى الرغم من أن هذه الحروف لم تكن تُستخدم إلا فيما ندر، وعلى الرغم من أنها لم تكن تعين على طباعة الأعمال

الطوال، فإنها كانت، على الأقل، موجودة ضمن مقتنيات الجامعة. وكان على لـود أن يعالج هذا النقص، فقد كان هذا جزءا من خطته في إنشاء مطبعة جامعية في أكسفورد[37]. وفي أوائل العام 1634 وافق وليام تيرنر، المسؤول عن أعمال الطباعة في الجامعة، على توفير الحروف العربية لطباعة كتاب تاريخ من تأليف «يوحنا ملالا»[38]. وتحقيق جون غريغوري، ولكن هذه الحروف لم تظهر على الإطلاق. وقد سعى لـود أيضا إلى الاستعانة بخبراء في مجال اللغات الشرقية من جامعة لايدن، فلم يُوَفَّق إلى ذلك، وهذا مسجل في رسالة لـود إلى نائب رئيس الجامعة في الخامس من مايو من العام 1637[39]. بيد أن السيد صامويل براون، صاحب مكتبة لبيع الكتب، وناشر في لندن، وأخو أحد المراقبين على أعمال الامتحانات في جامعة أكسفورد في ذلك العام 1636، ذهب إلى لايدن واشترى، لحساب جامعة أكسفورد، عددا من خرامات الطباعة ومصفوفات الحروف العربية من مقتنيات آرنت كورنيليز فان هوغناكر Arent Cornelisz. van Hoogenacker، وهو فني سبك حروف طباعة كان قد تُوفي أخيرا[40]. وكانت هذه المقتنيات تضم أطقما من حروف الطباعة العبرية والعربية. وعلى الرغم من أن عملية الشراء تمت من خلال الجامعة، فليس من شك في أن لـود هو الذي أوجد الدافع والتمويل أيضا، وهذا واضح من الرسالة التي أرسلها جون غريفز إلى تيرنر في العاشر من فبراير من العام 1637، والتي تكشف، عرضا، عن أن غريفز قد شارك - في أثناء إقامته في جامعة لايدن في العام 1636 - في مفاوضات مبدئية نيابة عن لـود، فيقول:

لا أملك إلا أن أوافق على هذه المهمة التي أنجزها أخو عاملك هناك السيد براون. وأتذكر أن المبلغ لا يزيد كثيرا على المبلغ الذي كان معروضا عليّ في أثناء زيارتي لجامعة لايدن، وهو ما أحطت سيدي به علما فور عودتي من هناك... كلي أمل الآن - بعد أن آنست لدى سيدي الرغبة الحقيقية في أن يولي هذا الأمر عنايته الكريمة - أن يعمل سيدي على تزويد الجامعة بكل لون من ألوان الطباعة، وأن يأمر بجلب المخطوطات المتصلة باللغات الشرقية ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فنحن لن نجدها في أي مكان آخر إذا فاتتنا مخطوطات لايدن (إلا إذا استطعنا استخراجها من مكتبة

الإسكوريال في إسبانيا)، فسوف يسعى بعضهم إلى الاستشفاع بمقاصد سموه النبيلة، فينشرون على شرفه، وخدمة للعلم، بعضا من هذه المخطوطات النادرة التي تخص الشرق[41].

ويرى الخبراء المحدثون أن حروف الطباعة العربية التي اشتراها براون[42]. واحتفى بها غريفز لم تكن تستحق كل هذا الاهتمام؛ فقد كانت المصفوفة تقليدا ضعيفا لحروف إربنيوس، ولم تكن مناسبة للاستخدام[43]. وعلى الرغم من كل ذلك فإن حروف أكسفورد العربية كانت أفضل من مثيلاتها في جامعة كيمبردج، فقد انتفعت بها جامعة أكسفورد في إخراج كتب عربية كاملة، واستفادت منها في طباعة الأعمال الكاملة للرائدين إدوارد بوكوك وجون غريفز، وفي طباعة كل ما كان مكتوبا بالعربية في جامعة أكسفورد حتى العام 1768. لن أخوض في تلك الأسباب التي حالت دون استخدام هذه الحروف في السنوات التي أعقبت امتلاكها مباشرة، حتى مع المعرفة بصلاحيتها للقيام بالمهمة. على سبيل المثال، نجد أن جامعة أكسفورد تطبع المحاضرة الافتتاحية التي ألقاها توماس غريفز في العام 1639، وأن المقتطفات العربية التي أدرجها غريفز في محاضرته لم تظهر في المحاضرة المطبوعة إلا على هيئة مساحات بيضاء، مكتوبة بخط اليد في بعض الأحيان[44]. وأن الجامعة أيضا طبعت كتاب جون غريغوري المعنون بـ «ملاحظات ومتابعات لبعض فقرات الكتاب المقدس» في العام 1646، وفيه الكثير من المقتطفات العربية المكتوبة بالحروف العبرية[45].

5

البدايات الأولى لجهود بوكوك

وُلِد إدوارد بوكوك[1] في الثامن من نوفمبر في العام 1604 في أكسفورد، وهي المدينة التي قضى فيها الشطر الأكبر من حياته. سمّاه أبوه باسمه بوصفه الابن الأكبر، وكان أبوه هذا زميلا لكلية مجدلين، وما لبث أن أصبح كاهنا يمثل مدينة تشيفلي من أعمال بركشاير. كان اسم بوكوك[2] شائعا في بركشاير، بيد أن فرع العائلة الذي يهمنا هنا يبدو أن لـه صلات بمقاطعة هامبشير وليس بـ بركشاير[3]. تلقى بوكوك تعليمه الابتدائي في مدرسة النحو على نهر التايمز[4]، هناك تعلم اللاتينية وربما تعلم اليونانية، على يد ناظرها الشهير رتشارد بوشر أو «بوتشر» كما كانوا يسمونه، ثم سجل بعد ذلك في قاعة مجدلين في جامعة أكسفورد 1619، وعندما أتم السادسة عشرة من عمره دخل كلية كوربس كرستي طالبا، حيث توثقت وشائجه بهذه الكلية لأكثر من عشرين عاما. تعلم في كلية

«كانت حلب مركزا مهما للتعليم والتجارة، ومن ثم كانت تلك المرحلة من أفضل الفرص التي أتيحت لبوكوك لتعليم العربية من أفواه الناطقين بها، ومن خلال مصاحبة العلماء وأرباب الفكر العربي، أضف إلى ذلك أن حلب كانت من المدن التي كان الأوروبيون يفضلون الإقامة بها، نظرا إلى ما كان يتوافر بها من أمن وأمان».

كوربس كرستي اللغات الثلاث التي كانت ضمن المقررات التقليدية لهذه الكلية[5]، وهي العبرية واللاتينية واليونانية. ولم يكد يحصل على ليسانس الآداب ثم الماجستير في الآداب حتى انتُخِب زميلا تحت التمرين للكلية في الرابع والعشرين من يوليو من العام 1628. ولكن بوكوك كان عاكفا قبل هذا كله على تَعَلُّم اللغة التي قرر أن يكرس لها حياته كلها، فأكب على دراسة مبادئ العربية فيما كان يحضر المحاضرات التي كان يلقيها باسور بين العامين 1626 و1627، ثم تقدم بطلب إلى بِدوِل في توتنهام ليعطيه درسا خاصًا في النحو العربي. وربما كان أول لقاء بينه وبين سِلدِن في بيت بِدوِل[6]، الذي مارس دورا مهما في حياته بوصفه حاميه وراعيه في الوقت نفسه. ومن المرجح جدا أن يكون بوكوك قد حضر المحاضرات التي كان يلقيها باسور في اللغة السريانية؛ فنحن على يقين من أنه لم يأتِ العام 1628 إلا وكان بوكوك قد أتقن هذه اللغة بما يكفيه لإعداد طبعة لبعض الرسائل الرسولية التي حذفها من الطبعة السريانية للعهد الجديد التي نشرها يوهان ألبرشت فدمان شتيتر Johann Albrecht Widmannstetter. وكانت هذه الرسائل هي الرسالة الثانية لبطرس، والرسالتين الثانية والثالثة ليوحنا، ويهوذا، التي وجدها بوكوك في مخطوطات مكتبة البودليان. كانت احتمالات نشر هذه الرسائل في أكسفورد، أو حتى في إنجلترا في ذلك الوقت، احتمالات ضعيفة جدا. ولقد حدثت حادثة سعيدة لم تُفضِ فقط إلى النشر، وإنما إلى نقطة تحول أخرى في حياة بوكوك نفسه.

في أكتوبر من العام 1629 حل ج. ج. فوشيوس ضيفا على إنجلترا لتعيينه عضوا في قائمة القديسين في كانتربري[7]، فتحين الفرصة ليزور أكسفورد، حيث أُهدِيت إليه درجة فخرية في الجامعة. وبطبيعة الحال، كان وصوله بوصفه ضيفا استثنائيّا على الجامعة قد منحه الحق في جولة في مكتبة البودليان في صحبة أمين المكتبة السيد جون راوس. وحدث أن لفتت نظره المخطوطة التي تحتوي على الرسائل السريانية، فحدّثه راوس عن طبعة بوكوك، وحدث أيضا أن أصر فوشيوس على مقابلة بوكوك، وبعد أن تبادلا الحديث، ونظر فوشيوس في طبعته إلى الرسائل، وراح يحدثه عن إمكانية نشرها، ويعده أن يرتب لطبعها في جامعة لايدن. وافق بوكوك على ما اعتبره دعوة تكريمية نادرة إلى شاب باحث في الخامسة والعشرين من عمره، ولقد نُشر العمل في العام التالي تحت إشراف لوي دو ديو في جامعة لايدن[8]. في الوقت نفسه

تقلد بوكوك منصب القس في العشرين من ديسمبر من العام 1629. ولو جرت أمور الحياة كما يُرجى لها أن تجري لاستمر بوكوك زميلا في كليته حتى إحالته إلى المعاش.

ولكن أمور الحياة لم تجرِ على ذلك النحو، وتقدم بوكوك بطلب شغل وظيفة قسيس ملحق بشركة الشام في حلب، وكانت وظيفة شاغرة بعد عودة تشارلز روبسون إلى أكسفورد، حيث عُين زميلا لكلية الملكة [9] Queen's College. كان شغل هذه الوظيفة محطة مهمة في حياة بوكوك، فقد كانت السنوات الست التي قضاها في حلب فترة حاسمة في تكوينه الفكري والثقافي. كانت حلب مركزا مهما للتعليم والتجارة، ومن ثم كانت تلك الرحلة من أفضل الفرص التي أُتيحت لـبوكوك لتعلم العربية من أفواه الناطقين بها، ومن خلال مصاحبة العلماء وأرباب الفكر العربي؛ أضف إلى ذلك أن حلب كانت من المدن التي كان الأوروبيون يفضلون الإقامة بها، نظرا إلى ما كان يتوافر بها من أمن وأمان. وعلى الرغم من ذلك لم يكن إقدام بوكوك على هذه الخطوة مفهوما في وقته، فلم تكن الرحلة مغرية ولا مربحة لرجل في وضعه. كان مرتب القس خمسين جنيها إسترلينيًا في العام[10]، ولم يكن ليغري شابا من أسرة ميسورة الحال. وكان السفر معناه النفي بالنسبة إلى بوكوك، وهو ما كان يعني حرمانه من أصدقائه في أكسفورد، وحرمانه من مكتباتها التي كان يعشقها. كان بعض القساوسة يتوقون إلى مثل هذه الرحلات التي تتيح لهم استكشاف مناطق جديدة في العالم، ومنهم روبرت هنتنغتون، تلميذ بوكوك وقسيس حلب من العام 1671، والذي تجول في سورية والأرض المقدسة، وأمكنة أخرى، وكان منهم يوحنا لوقا، قسيس سميرنا لفترتين بين العامين 1664 و1683، والذي أصبح أستاذا للغة العربية في كيمبردج فيما بعد، كان من محبي التجوال في أنحاء آسيا الصغرى وبلاد الشام[11]. لم يكن بوكوك من هؤلاء، يقول تولز: «لم يكن بوكوك مغرما (شأن جميع الرحالة) باستكشاف الأمكنة الغريبة»، ويدعم تولِز هذا القول بمقتطف من رسالة كتبها بوكوك إلى توماس غريفز فور وصوله إلى حلب، يقول: «عزائي الأوحد ذكرى أصدقائي، وسعادتي الغابرة عندما كنت بينهم، فانعم أنت بالإقامة في الأمكنة التي أتمنى رؤيتها الآن وأنا أقيم بين هؤلاء الأعاجم. وقد وقر في نفسي الآن أن من يغادر إنجلترا، ويعود إليها مرة، لن يفكر في الرحيل عنها مدى الحياة»[12]. وفي وسعنا أن ندرج هذه العواطف في باب الحنين إلى الوطن الذي يعاني منه رجلٌ قريب العهد

بالرحيل لأول مرة في حياته. ولكن هناك دليلا آخر على كره بوكوك للسفر، وهو أنه لم يغادر حلب، ولم يتجاوز في تجواله الأحياء القريبة منها طوال إقامته في بلاد الشام؛ وحتى في رحلته الثانية إلى الشرق، حين سافر إلى القسطنطينية، فلم يغادر القسطنطينية إلى غيرها، على عكس ما كان يفعَل أقرانه هناك، مثل جون غريفز ورافيوس، اللذين كانا يعشقان السياحة في جميع الأمكنة. على العكس، أقام بوكوك في حلب ستة أعوام، على الرغم من الصعوبات، وصرح هو نفسه فيما بعد بأن «استمراره في حلب... كان عبئا عليه»[13]. ويمضي جون غريفز في خطابه إلى تيرنر: «لم يكنِ بوكوك يستطيع تحقيق كل ما كان يصبو إليه في أثناء إقامته في حلب، كانت كُليته تستدعيه بين الحين والحين، وكان ذلك يضايقه أشد الضيق، وكان التجار يطلبون منه ما لا يطيق من شروط الوعظ، إلى جانب قيامه ببعض المهمات الكنسية الأخرى»[14]. كان السبب الرئيس في استمراره في الإقامة في حلب هو أن بوكوك كان يرى أن «العربية هي معشوقته»، هذا ما قاله القنصل واندسفورد لـسِلدِن، وحتى هذه العبارة لا تدل دلالة دقيقة على عشق بوكوك للغة العربية.

هذا العشق نفسه هو الذي جعله يقبل وظيفة القِس في شركة الشام. والحق أن بوكوك لم يكن أول من فكر في قبول منصب القس المبعوث إلى حلب ليستفيد من المنصب في مشروعه الاستشراقي، خصوصا في تَعَلُّم اللغة العربية، فقد كتب بِنْبرِدج إلى أشر في العشرين من يوليو من العام 1629، يقول:

> *لما كان تُجارنا في شركة الشام، العاملون في حلب، يشتاقون اليوم إلى قِس يعظهم، فقد رشحوك لتختار لهم قِسا يعينهم على أمور دينهم، وقد يَسُرُّك أن تعلم أن السيد جونسون، زميل كلية مجدلين، الذي قضى بعض السنوات في تَعَلُّم اللغات الشرقية، لـه رغبة شديدة في تحسين مستواه في اللغات، ويسعده أن يُقدِم على السفر في هذه الرحلة، وهو مستعد للوعظ مرة واحدة في الأسبوع لا غير، فهو راغب الرغبة كلها في أن ينفق وقته في إتمام معرفته باللغات الشرقية، وفي تأمل الدنيا من حولـه، مما يعين على تقدم التعليم*[15].

ولأسباب مجهولة لم يتقدم سامسون جونسون في نهاية المطاف للقيام برحلة حلب، وبدلا من ذلك شد الرحال في العام 1631 إلى ألمانيا بوصفه كاهن السير روبرت

آنستروثر Robert Anstruther، سفير مجلس فرانكفورت، وأصبح فيما بعد كاهنا للملكة إليزابث ملكة بوهيميا في لاهاي(*)، حيث كان يتصرف - كما رأينا - بوصفه وكيلا عن لـود في شراء المخطوطات. ومن الجائز أن يكون بوكوك قد سمع عن عرض جونسون من صديقهما المشترك، جون غريفز[16]. ولكني أكاد أرجح أن الدافع وراء رغبة بوكوك للقيام بنفسه بهذه الرحلة هو ذلك الحوار الطويل الذي أجراه مع فوشيوس في أثناء الزيارة المصيرية التي قام بها الأخير إلى أكسفورد. فقد رأينا كيف كان فوشيوس يعرف أهمية الدراسات العربية معرفة تامة، وكان يقدر الجهود التي قام بها يوليوس الذي عاد من رحلة ظافرة من الشرق محملا بكنز لا يقدر بثمن من المخطوطات قبل زيارة فوشيوس لإنجلترا. فلا يُعقل ألا يتحدث فوشيوس إلى بوكوك عن رحلة يوليوس إلى الشرق، وخبرته في اللغة العربية، ومخطوطاته التي ظفر بها، بعد أن عرف اهتمام بوكوك باللغة العربية، وأن حلب هي المصدر الرئيس الذي ظفر منه بهذه المخطوطات، مستفيدا من علاقته بالتجار الهولنديين. فنحن على يقين من أن بوكوك لم يتقدم لشغل منصب القس في حلب إلا بعد أن اطلع على ذلك كلـه. وقد كتب إلى فوشيوس لدى عودته عن إنجازاته هناك، يخبره بأنه أصبح لـه الحق ليتوقع مثل هذا التقرير[17].

وكان بوكوك حاضرا في المجلس العام لشركة الشام الذي عُقِد في الخامس والعشرين من مارس من العام 1630، وهو المجلس الذي انتخبه للمنصب، وكما كان يجري العرف فيما يتصل بأولئك الطامحين لمنصب القس في الشركة، ألقى بوكوك موعظة أمام الحضور في كنيسة القديس أندروز أندرشافت في يوم الأربعاء التالي. وقد أُعلِن قبوله للمهمة من خلال هذا المجلس الذي عُقِد في ذلك اليوم نفسه[18]. لم يكن هناك مرشحون مع بوكوك، ومع ذلك كان يحتاج إلى من يوصي به ويزكيه. ومن سوء الحظ أن محضر الجلسة لا يذكر إلا «أن الحاضرين كانوا راضين عن أداء بوكوك، وقدراته العلمية، وسلامة معرفته بالفقه، وموقفه المتسق مع مؤسسات الكنيسة، واستقامة حياته الاجتماعية، وقدرته على الحوار»، من دون أن يذكر أسماء هؤلاء

(*) إليزابث ستيوارت (19 أغسطس 1596 - 13 فبراير 1662) هي الابنة الكبرى للملك جيمس الأول وزوجة فردريك الأول ملك بوهيميا لشتاء واحد، وأصبحت تُلَقب بعد ذلك بملكة الشتاء. أصبح ابنها جورج الأول ملكا على بريطانيا في العام 1714، وهو العام الذي انتهى فيه حكم آل ستيورات، وبدأ حكم آل هانوفر. [المترجم].

الحضور الذين أسهموا في تزكيته. ويُقال إن لـود هو من رشح بوكوك للمنصب. مهما يكن من أمر، فإن عدم ذكر هذا الراعي القوي في محضر الجلسة لم يكن يليق بالمجتمعين، ولكن تولز (الذي أخذته الحيرة أيضا) ينبئنا بشيء من التأكيد بأن رسالة لـود إلى بوكوك في حلب في العام 1631 «تكشف بوضوح عن أن المجتمعين في ذلك الوقت لم يكن بعضهم يعرف بعضا». وفي ظني أن بوكوك، إلى جانب الشهادات المعتادة من كليته، كان مدعوما من قِبل أعضاء آل فِتِبليس أصحاب عزبة «رمبين» في قرية تشلدري، من أعمال بركشاير. فلقد خفّ أولئك القوم لنجدة بوكوك في العام 1655 عندما اتُّهِم - وكان كاهنا لقرية تشلدري - بعدم القدرة على القيام بمهماته. بيد أن صلاته بأعضاء هذه العائلة سبقت وصوله إلى تشلدري وتوليه مهمات القس هناك. فعندما كان الرجل في القسطنطينية بداية من العام 1637، كان مرتبه كأستاذ في اللغة العربية يصلـه من خلال تشارلز فِتِبليس، الذي كان في ذلك الوقت من معاوني مجلس شركة الشام في لندن. أيضا كان هذا الرجل مسؤولا عن اختيار خليفة بوكوك كقس في حلب، بعد أن أرسل روبسون في مهمة إلى ألمانيا، على النقيض من رغبة عمدة لندن ومجلس إدارة الشركة الذي تأخر في دفع راتب روبسون أكثر من العام قبل التأكد من التعيين[19]. لقد سافر تشارلز فِتِبليس نفسه كسفير إلى حلب في العام 1626، وكان أمين خزنة هناك أغلب الوقت الذي كان فيه بوكوك قسا. ومن الجائز جدا أن تكون العلاقات بين عائلتي الرجلين بوكوك وفِتِبليس قديمة جدا لكونهما من مدينة واحدة. لقد وصل بوكوك إلى الإسكندرونة (ميناء حلب) في الرابع من أكتوبر من العام 1630، ووصل إلى حلب نفسها بعد ذلك بثلاثة أيام[20].

جرت العادة على أن يعيش القس في بيت القنصل، ويمكن أن نأخذ من وصف واندسفورد لعلاقته الوطيدة بـ بوكوك دليلا على أن الرجلين كانا يعيشان معا في بيت واحد. أضف إلى ذلك أن رواية تولز عن الأعوام التي قضاها بوكوك في حلب رواية واهية، فهو يزعم فيها أن الرسائل المحفوظة من تلك الفترة قليلة نسبيّا[21]. وفي وسعنا أن نتبنى ما يؤكده تـولز بأن بوكوك اضطّلع بمهماته الكنسية بضمير يشعر بثقل المسؤولية، وأن الوقت المتبقي لـه بعد هذه المهمات كان ينفقه في تحسين مستواه في اللغات الشرقية، وكانت تلك اللغات الشرقية هي السريانية والحبشية والعبرية. أما العبرية فقد تعلمها على يد الحاخام صومائيل، ويبدو أنه لم يرضَ

عن أداء الحاخام كل الرضى، ولم يكن يرضى عن أداء اليهود في تدريس العبرية بصفة عامة. ومن ثم كرّس أغلب جهوده لتعلم اللغة العربية. وكان عليه أن يُحَسِّن مستواه في الحديث بهذه اللغة، فاستأجر لذلك واحدا من الناطقين بها يُدعى حميد ليكون معلمه ومرافقه، ومن أجل أن يتعلم لغة الأدب العربي أبرم اتفاقا مع شيخ مسلم يُدعى فتح الله[22]، وما لبث أن أحب فتح الله هذا حبا جما. تعرف بوكوك أيضا على بعض المسيحيين الناطقين بالعربية من ذوي العلم، منهم مايكل ثلجه Michael Thaljah، الذي امتهن النسخ، وكان أخا الأسقف الأرثوذكسي اليوناني في حلب. ولقد استطاع بوكوك التعرف على ناسخ محترف آخر، ربما حين كان في حلب أو في أثناء إقامته في القسطنطينية، وهذا الناسخ هو نيقولا بتري الذي سوف نراه بعد ذلك في إنجلترا.

أمعن بوكوك في تَعَلُّم العربية، والتفقه في آدابها، كما راح يجمع المخطوطات العربية، ويرتبها ترتيبا معينا، حتى أصبحت مجموعته من المخطوطات من الجواهر الخالدة التي ضمتها مكتبة البودليان بعد وفاته. كان يجمع المخطوطات من خلال وكلاء لـه ينوبون عنه في عمليتي الشراء والبيع، ومن ثم ليس من اليسير أن نعرف متى ظفر بهذه المخطوطة أو تلك، بيد أن تلك المخطوطات التي قام الدرويش أحمد باستنساخها أو ابتياعها، تعود إلى المراحل الأولى من حياته العملية[23]. كان هذا الرجل المغامر والساحر يعيش في حلب، حيث تشهد الوثائق من العام 1626 إلى العام 1638 على أنشطته في النسخ والتجارة في المخطوطات، وذلك كان معروفا للجميع من خلال مراسلاته مع يوليوس[24]، التي تُظهِر أنه كان يعمل وكيلا عن السيد يوليوس في شراء المخطوطات بعد عودته إلى لايدن. وقد نسخ مخطوطات لـ يوليوس بين العامين 1627 و1629 عندما كان يوليوس في حلب، ومن أبرزها مخطوطة كتاب المخروطيات لـ أبولونيوس[25]. قد يكون يوليوس هو أول من دعا هذا الدرويش إلى زيارة حلب، ففي رسالة أخرى[26] كان الدرويش أحمد يشكو من أن يوليوس هو من أغراه بالرحيل عن وطنه، وأنه تلقى منه تعليمات، ثم إنه عاد من رحلته بخفي حنين. وقد لخص هولت Holt خمس رسائل وترجمها، أرسلها الدرويش إلى بوكوك، وهي محفوظة ضمن مخطوطات بوكوك بالرقم 432 [27]. تعود تلك الرسائل إلى الفترة التي أعقبت عودة بوكوك إلى أكسفورد، وفي أثناء زيارته إلى

القسطنطينية بعد ذلك (ربما بين العامين 1636 و1638 - 1640). وإذا قرأنا أن أحمد كان يخاطب بوكوك بعبارة «تلميذي العزيز»، نستطيع أن نخلص بسهولة إلى أنه كان يعلمه العربية أيضا. تمتلئ الرسائل بحديث مثير عن التجارة في الكتب في حلب، ونورد هنا مقتبسا ربما يشي بكل شيء:

اعلم أن أروع السلع هي الكلمات التي تزين صفحات الكتب كأنها قلادات من ذهب تزين أعناق الأوراق، وأجمل الإنجازات هي ما استخرجته فؤوس الأقلام من مناجم الأرواح. فالشكر والعرفان ينتشران بين طيات رسائلك كما ينتشر العنبر... إلخ. وها قد وصلت الرسالة المنتظرة، مكتوبة بأجمل عبارة وأطيب لغة، وها نحن نفرح بقراءتها وننتشي، ونرضى بعبق ثرائها وخصوبتها، بحيث حلت مكان الربيع من النفوس، ورائحة العطر من الأنوف... وقد عرفنا ما فيها، واطلعنا على المسائل التي تريدون الإجابة عنها. فبخصوص سؤالك عنا، فنحمد الله على كل شيء، نحن في أتم الصحة والعافية، ونسأل الله أن تكون أنت في أفضل حال. واعلم أنني منذ فراقنا والإحساس يتملكني بأني إنما فارقت أخا أو ابنا، أو كأن روحا فارقت جسدا، بيد أن السعادة غمرتنا عندما وصلتنا الأخبار بأنك في صحة جيدة، وأنك وصلت إلى وطنك بسلامة الله وعفوه. ولذا نحمد الله أن أعادك إلى أهلك وأنت سليم معافى، مصحوبا بمنه وكرمه. ونحيطكم علما أيضا بزواجنا من راعية إبل؛ لعلها تعيننا على شؤون الحياة[28]، وأننا ظفرنا بنسخة من كتاب «إخوان الصفا»، وهي النسخة المصورة التي رأيتها فيما سلف، اشتريناها بستين قرشا. ولم نكن لنظفر بها بهذا السعر إلا بعد أن أوصانا بها غويليلمو Guglielmo [29] *فالنسخة التي كنت رأيتها في ذلك اليوم الذي غادرت فيه حلب لم تكن متاحة، وهذا للعلم. أما عن كتاب «تاريخ الجنابي» الذي رأيت بعض صفحاته، وطلبت مني أن أذهب به إلى القنصل بعد أن أفرغ من نسخه، فسوف أذهب به إليه بعد أن أفرغ من نسخه إن شاء الله جلت قدرته. ولقد انتهيت من نسخ «شرح كتاب كلستان»،*

> *وقد أرسلته إليك. وإن شاء الله جلت قدرته سأعمل ما في وسعي لكي أرسل إليك كتاب «تاريخ ابن خلّكان» وكتاب «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص»، وسوف أبعث إليك كل كتاب تتصل أسبابه بتخصصك، أو أرى أنه يناسبك. وسوف تجيبنا عن هذه الرسالة، وترسل لنا معها آثارا من وطنك، ونسخة من كتاب الجغرافية المطبوع[30]. ابعث لي بكل ما تطلب، فسوف أجيبك بتوفيق من الله.*

الدرويش المسكين أحمد

يشرح أحمد بشيء من الابتهاج في رسالة متأخرة كيف نافس شقيق يوليوس الفلمنغي، في شراء كتاب كان كلٌ من يوليوس وبوكوك يرغبان في شرائه. كان اسم هذا الرجل بطرس يوليوس، وكان الأخ الأصغر ليعقوب، ورباه خاله جوهان هملاريوس في أنتورب، وأقنعه بالتحول إلى العقيدة الكاثوليكية في سن مبكرة. ثم إنه التحق بالطريقة الكرملية، ومنح نفسه لقب «سلستين القديسة ليدوينا» Celestinus de Sancta Liduina. وقد درس العربية مثل أخيه، بيد أنه كان يدرسها لأغراض التبشير، ولذلك ذهب إلى حلب قبل العام 1636، وكان بوكوك لايزال هناك، وأصبحا صديقين على الرغم من تنافسهما على اقتناء الكتب، واختلافاتهما بشأن العقيدة. وبعد ذلك بأربعين عاما ذهب إلى حلب قسٌ آخر يُدعى روبرت هنتنغتون، وكتب إلى بوكوك بأن الأب سلستينوس في طريقه لمباشرة عمله الدعوي في الهند، وزار السيد هنتنغتون وهو راغب في السؤال عن الدكتور «بشيء كثير من الحب والعاطفة»[31].

وقد أسلفنا أنه في العام 1631 طلب لـود من بوكوك أن يشتري لـه بعض المخطوطات ليضمها إلى مكتبة الجامعة، ولكن تولز لم يقل لنا إن المخطوطات الشرقية التي تبرع بها رئيس الأساقفة (لـود) فيما بعد لمكتبة البودليان وصلت إلى المكتبة بهذه الطريقة، ورفض هذا الطرح تماما. أيضا أخفقت الأبحاث الحديثة المتصلة بـ هَنْت وويكفيلد في الوصول إلى أدلة موثقة على ذلك. ولكن المرجح أن عددا لا بأس به من المخطوطات التي تضمها مجموعة لـود وعليها تواريخ 1633 و1635 إنما تعكس نشاط بوكوك في جمع المخطوطات وإرسالها إلى لـود، وشاهدُنا على ذلك النشاط الضخم في جمع المخطوطات الشرقية الذي ازداد في العام 1638

زيادة كبيرة، وكان يعود في المقام الأول إلى وجود بوكوك وغريفز في القسطنطينية[32]. أضف إلى ذلك أن بوكوك بعد العام 1634 أصبح يختار، بل ويشرف بنفسه على إرسال المخطوطات التي كانت تحملها كل سفينة من سفن شركة الشام - حسبما يقضي الأمر الملكي - إلى لـود في الجامعة. وهذا مبّيَن في رسالة أرسلها تيرنر إلى رئيس الأساقفة في الخامس والعشرين من يوليو من العام 1636[33]: ففيما كان تيرنر وبوكوك يفرغان محتويات آخر شحنة من المخطوطات التي أرسلها لـود إلى مكتبة البودليان، لاحظ بوكوك أن هناك كتابين مفقودين، وأن تيرنر يعطيه قصاصة فيها عنوانا الكتابين وقيمتهما العلمية. يقول تيرنر: «أساءني غاية الإساءة أن يمنوا فخامتكم بنوادر المخطوطات، ثم يحجبون عنكم أغلى ما فيها وأفخمه». فهل كانت شركة الشام تثني على جهود لـود؟ هذا ما أكده بوكوك فيما أضافه: «أما الثاني فقد أُهدِي إلى رئيس مجلس إدارة شركة الشام هذا الصيف، وأما الأول فقد ظفر به منذ عام». فقد أوضح خطاب الملك أن الكتب وصلت على متون سفن الشركة «لتُسَلَّم في الحال لمدير شركتكم» في لندن.

شُغِل بوكوك في أثناء إقامته في حلب بإعداد طبعات من النصوص العربية، وفي الثاني عشر من ديسمبر من العام 1635 فرغ من إعداد طبعة وترجمة لاتينية لما يزيد على ستة آلاف مثلٍ من الأمثال العربية جمعها مؤلف يُدعى الميداني[34]. ومن المرجح جدا أنه اختار هذا المؤلف بالذات ليكون أولى ثمار نشاطه؛ فقد كان النص مشهورا يعرفه الأوروبيون حق المعرفة من خلال ما نشره اسكاليجيه وإربنيوس ويوليوس. وفي التقرير الذي أعده عن زيارته إلى حلب، وأرسله إلى فوشيوس بعد عودته إلى أكسفورد، عبر عن آماله في النشر[35]، ولم يمضِ وقت طويل، ربما وهو يستعد للقيام برحلته الثانية إلى الشرق، حتى أدخل في مخطوطة طبعته إشارة إلى أنها ستنشر في المستقبل:

> *وأدعو الله أن أعود لأنجز ترجمة الأمثال، إلا إذا شاء الله غير ذلك،*
> *وحين أتم الترجمة أرجو أن تُوضع في أرشيف مكتبة كوربس كرِستي؛*
> *فلي في ذلك رجاء – على الرغم من معرفتي بأنه المكان غير المناسب*
> *- أن تقع عليها عيون دارسي العربية، وكلي أمل في أن يُكمل العمل*
> *السيد توماس غريفز أو دارس آخر، ويدفع به إلى المطبعة.*
>
> توقيع إدوارد بوكوك، العاشر من أبريل من العام 1637[36].

ولكن الأمثال لم تُنشر، على الرغم من الجهود التي بذلها زملاؤه وتلاميذه مع مرور سنوات القرن السابع عشر[37]. والسبب هو أنه وجد ما يشغله عن ذلك في الوقت الذي كان يقيم فيه في حلب. ففي الرسالة نفسها التي بعث بها إلى فوشيوس، نراه يصف بهذه العبارة التالية باللاتينية: «منذ بداية التاريخ الهجري العربي، أي منذ ما يقرب من ستمائة عام، كان أسلوب حياة العرب هو الأسلوب المفضل عند الأوروبيين لفترة طويلة وفق ظني، وكذلك كانت طريقة حكمهم على الأمور كما أظهر ذلك إربِنيوس». كان هذا هو كتاب «تاريخ الأُسَر» لمؤلفه غريغوريوس أبي الفرج، المعروف أيضا باسم بار هبرايوس، وهو مؤلف مسيحي عاش في وقت متأخر من القرن الثالث عشر، وتعود أهميته إلى أنه استخدم مصادر إسلامية قديمة، مثل: «الفهرست»، وهي مصادر لم تكن معروفة تماما في أوروبا في ذلك الوقت. باعتباره كتابا في التاريخ الإسلامي من الناحيتين السياسية والأدبية، فإنه يمتاز على الكتب التي كانت متاحة في أوروبا في ذلك الوقت، ومنها الكتاب السطحي الذي ألفه الشيخ المكين المنشور في العام 1625 من قِبل إربِنيوس (كما يشير بوكوك في رسالته إلى فوشيوس) أو الكتاب الذي لا يعوّل عليه، والذي شرع في تأليفه أوتيخيوس ولم يُتمّه (وظهر فيما بعد بفضل جهود سِلدِن). وكان أن قضى بوكوك أغلب السنوات الاثنتي عشرة التالية يعمل على تيسير كتاب أبي الفرج، وأسفرت جهوده في النهاية عن كتابه العمدة المعنون بـ «لُمع من تاريخ العرب»، وفي النهاية استطاع إصدار النص كاملا[38].

قضى بوكوك في حلب وقتا أطول مما كان مقررا لـه، ولكنه لم يكن راضيا عن الإنجاز الذي حققه حتى ذلك الحين، ونظن أنه لم يترك حلب بصفة نهائية إلا بأوامر صريحة وصلته من لـود، الذي كان يتوق إلى تأسيس قسم اللغة العربية في أكسفورد. فقد أرسل رئيس الأساقفة رسالة إلى بوكوك، ربما في أواخر العام 1635، ينبئه فيها بأن اختياره وقع عليه لشغل هذه الوظيفة، ويأمره بالعودة في أسرع وقت ممكن. وبناء على ذلك استقل بوكوك باخرة كانت متجهة إلى إنجلترا من طريق إيطاليا، ووصل إلى أكسفورد في الوقت المناسب، ليحصل على البكالوريوس في علوم اللاهوت في الثامن من يوليو العام 1636[39]. وهناك استأنف زمالته في كلية كوربس كرستي، وعُين رسميّا في وظيفة محاضر في اللغة العربية، ألقى بناء على ذلك

أول محاضرة في العاشر من أغسطس من العام نفسه. ولسوء الحظ ضاعت هذه المحاضرة، باستثناء جزء يسير طبعه في نهاية تحقيقه لقصيدة «لامية العجم للطغرائي مع ترجمة إلى اللاتينية» في العام 1661، وأدرج هذا الجزء من المحاضرة لأنه، كما يقول: «لم يكن يريد أن يترك صحيفة فارغة في الكتاب». من المثير للاهتمام أنه خلافا للموضوعات التي تناولتها المحاضرات الاستهلالية التي ألقاها سلفه البطرك باسور وخليفتاه: توماس غريفز وتوماس هَنْت في القرن الثامن عشر[40]، فقد كان هذا يتوفر على عشق العرب الأقدمين للشعر. يبدو أن بوكوك بدأ بداية قوية في مجال العمل الأكاديمي في أكسفورد، ويبدو أنه كان يتمتع بالاستعداد للقيام بعمله بسهولة واطمئنان لولا تدخل جون غريفز.

6

غريفز وبوكوك في الشرق

كان القرن السابع عشر من أهم القرون في التاريخ الإنجليزي، وكان جون غريفز من أكثر الشخصيات إثارة في تاريخ الفكر الإنجليزي في هذا القرن. كان غريفز يتمتع بطاقة كبيرة، وبفضول جم، وسعة كبيرة في أفق التفكير، وكلها عوامل جعلت منه شخصا مؤثرا جدا في تطور العمل الأكاديمي، وتوسعة حدوده. وكان غريفز كريما مع أصدقائه، قاسيا في نصحه لهم بتطوير أنفسهم من الناحية الأكاديمية، كما كان عنيفا مع نفسه أيضا، مما جعله يظفر بعداء كثيرين ممن حوله، وهي عداوات جعلته يخسر مناصبه الأكاديمية جميعا. على أي حال، لم يكن فقدانه هذه المناصب هو السبب في عدم تكملة مشروعه الثقافي، بل كان السبب الرئيس هو موته المبكر (في الخمسين من عمره). لا تزودنا أعماله المنشورة إلا بالحسرة على موت هذا الرجل قبل الأوان، والذي لو عاش عشرة أو عشرين عاما أخرى لأنجز الكثير.

«ولسنا نعرف بالضبط متى بدأ غريفز تَعَلُّم العربية وبعض اللغات الشرقية الأخرى، أغلب الظن أنه بدأ يتعلم هذه اللغة في أوائل ثلاثينيات القرن السابع عشر».

(1) رحلات غريفز الباكرة

وُلد غريفز[1] في العام 1602، وهو الأخ الأكبر لأربعة أبناء لجون غريفز وزوجته سارة. كان غريفز الأب كاهنا في كنيسة كولمور بالقرب من آلرسفورد Alresford في هامبشاير. التحق بكلية باليول في 12 ديسمبر من العام 1617، ولكنه حصل على الليسانس في الآداب من كلية سانت ماري في 6 يوليو من العام 1621[2]. وفي العام 1624 تقدم للحصول على زمالة كلية مِرتون، واجتاز اختباراتها بنجاح، وظل زميلا لهذه الكلية ما تبقى من حياته الأكاديمية. وفي نهاية المطاف حصل على زمالة علمانية على سبيل المكافأة؛ لأن ملفه خلا من أي عقوبات، على النقيض من ملفات كثيرين من معاصريه من أقطاب العمل الأكاديمي في ذلك الوقت. وفي كلية مِرتون ظهر اهتمامه بالرياضيات والفلك (وكان يقوم على تدريسهما زميلاه برغز وبِنبردج)، كما ظهر اهتمامه باللغات الشرقية (وكان ذلك من تأثير زميليه تيرنر وبِنبردج أيضا). وفي يناير من العام 1631 تُوُفِي هنري برغز، ووقع الاختيار على تيرنر (وكان أستاذا للهندسة في كلية غرشم) ليخلفه على كرسي سافيل في علوم الهندسة في جامعة أكسفورد. تقدم غريفز لشغل هذه الوظيفة التي تركها تيرنر شاغرة، ولم يكن مستغربا أن ينجح في شغلها بسهولة[3]، فقد كان مُعانا بخطابات توصية، ليس فقط من بِنبردج وتيرنر ووليام بوزوِل والسير ناثانيال برِنت مدير كلية مِرتون[4]، وإنما كانت لديه أيضا خطابات توصية من جورج أبوت رئيس أساقفة كانتربري، ومن لود الذي كان في ذلك الوقت أسقف لندن، ومن أكثر الرجال نفوذا في إنجلترا كلها[5]. وبعد حصوله على منصب أستاذ في كلية غرشم، أبقى غريفز على زمالته بكلية مِرتون كما فعل تيرنر من قبل، ومكث في أكسفورد أغلب وقته، يسافر أحيانا إلى لندن ليلقي محاضراته في كلية جرشم. ويبدو أنه كان يتعامل مع منصبه في غرشم على أنه وظيفة بلا عمل، أو وظيفة هامشية، أو تسلية خفيفة في خضم عمله المجهد في البحث العلمي الذي يأخذ أغلب وقته. ففي رسالة كتبها إلى تيرنر في 10 فبراير من العام 1637 نجده يقول: «لم أجد في كلية غرشم من يهتم بالقراءة أو الدراسة أو أي شيء»[6]. وفي خلال السنوات العشر التي تلت تعيينه في المنصب، تصادف أن كان خارج إنجلترا في ثلاث رحلات منفصلة، ولمدة ست سنوات.

تشهد على اهتمامه بالفلك في ذلك الوقت تجاربه في رصد ظاهرتي الخسوف والكسوف التي أجراها في أكسفورد من العام 1630 وبعده، وقد سجل في دفاتره عبارة باللغة اللاتينية تقول[7]: «عناصر جميع العلوم، خاصة الرياضيات» 'Elementa omnium scientiarum, praesertim mathematicarum'. ولسنا نعرف بالضبط متى بدأ غريفز تَعَلُّم العربية وبعض اللغات الشرقية الأخرى، أغلب الظن أنه بدأ يتعلم هذه اللغة في أوائل ثلاثينيات القرن السابع عشر، فنجد أن جون كلارك، صهر بِدوِل، وفي رسالة التقريظ التي كتبها إلى غريفز للاحتفاء بصدور الكتاب الذي ألّفه بِدوِل وصدر بعد وفاته، والمعنون بـ «الطريق الملكي للهندسة الرياضية» Via Regia ad Geometriam يقول: «لم تكن معرفتك بالمؤلف قبل وفاته طويلة الأمد»، وهذا يدل على أن غريفز ربما قابل بِدوِل في العام 1630 في أثناء سعيه إلى تَعَلُّم العربية، وربما في أثناء رحلاته إلى لندن لإلقاء المحاضرات في كلية غرشم. وربما كان اهتمامه بالعربية من الدوافع الأولى التي دفعته إلى القيام برحلته الأولى إلى الخارج في العام 1633. وعندما استقر به المقام في جامعة كيمبردج، شد الرحال إلى هولندا وقُيِّد بها طالبا في الآداب في جامعة لايدن في الثامن من أكتوبر[8]. وهنا نستطيع أن نقول - بكل ثقة - إنه حضر محاضرات يوليوس في اللغة العربية وآدابها[9]. وسواء عرف يوليوس في تلك المناسبة، أو عرفه عندما عاد إلى لندن في العام 1636، فقد انعقدت الصلة بين الرجلين انعقادا ظهر جليًا في الرسالة التي أرسلها غريفز إلى يوليوس يستشفعه «بحق صداقتنا القديمة في لايدن» في 1 يونيو من العام 1642، مقدما إليه أخاه الأصغر إدوارد غريفز[10].

لم أُوَفَّق في الوصول إلى التاريخ الذي عاد فيه غريفز إلى أكسفورد من رحلته تلك، وربما كانت هذه الرحلة قصيرة، ولعلها كانت مقدمة للقيام برحلة أكثر طموحا، وأفضل من رحلاته الأخرى من ناحية التوثيق؛ ففي 31 يوليو من العام 1635 حصل على جواز سفر مكتوب فيه:

> *تشهد إدارة الجوازات أن حامله هو جون غريفز الأستاذ في الآداب في جامعة أكسفورد، يريد قضاء بعض الوقت في بلاد تقع وراء البحار، وهو أفضل لجلالة الملك والبلاد معا، ولهذا الغرض تقدم يلتمس موافقتنا للحصول على وثيقتنا هذه ليبقى هناك لمدة عامين*

بعد هذا التاريخ، ونحن هاهنا نعتقد أنه يصلح للحصول على هذه الوثيقة، شريطة ألا يمر على مدينة روما من دون أخذ الإذن من جلالة الملك[11].

استقل غريفز الباخرة من راي Rye إلى دييب Dieppe في العشرين من أغسطس[12]، وشقت الباخرة طريقها إلى باريس، حيث تَعَرّف على كلود هاردي الذي ظل يبادله الرسائل طوال حياته كما يفعل الأصدقاء المخلصون. وأغلب الظن أنه حضر المحاضرات التي كان يلقيها جبرائيل الصهيوني، أو - على الأقل - تحدث معه حديثا طويلا عرف منه تضلعه من العربية. ثم لا نلبث أن نجد غريفز في إيطاليا: في 10 نوفمبر من العام 1635 قُيِّدَ طالبا في جامعة بادوا، يدرس مع جورج إنت George Ent[13].

وأما جورج إنْت الذي أصبح صديقا له مدى الحياة، فقد نال شهرة واسعة كطبيب[14]، وحصل على وسام الفارس في العام 1665. لم يستطع غريفز البقاء في بادوا مدة طويلة، فلدينا رسالة من جورج مدلتون إلى توماس غريفز في 18 يناير من العام 1636 يخبره فيها بأن أخاه وصل إلى البندقية لقضاء بضعة أيام. ويلفت نظرنا هنا إلى أن غريفز قرر الذهاب إلى روما على رغم الحظر المكتوب في جواز سفره، وتحدث هناك مع الموارنة[15]. ومن المرجح جدا أنه قابل وليام بِتي William Petty في روما قبل شهر يوليو من العام 1636، وكان بِتي، وكيل عمدة آرندل الذي قضى سنوات طويلة في إيطاليا واليونان وبعض المناطق التي كانت تحت السيطرة التركية، يجمع لسموه الكتب واللوحات والتماثيل وآثارا أخرى[16]. ولدينا شهادة من غريفز نفسه يقول فيها:

عندما كنت في إيطاليا رآني السيد بِتي مهتما بمشاهدة الأبنية والصور والتماثيل والآثار، وعبر لي عن رغبته في أن يضمني إلى خدمة سمو الأمير، ولهذا الغرض عرض عليّ، باسم سموه، معاشا قدره مائتا جنيه إسترليني في العام، ووعدني بالزيادة. كان هدفه أن يغريني بصحبته في إيطاليا في ذلك الشتاء، وأن أصحبه إلى أثينا في الشتاء الذي يليه. شكرته على عرضه، وطلبت منه بعض الوقت لأفكر في الأمر. وبعد تفكير أخبرته بما قررت، فقد قررت العودة إلى إنجلترا، بعد اشتداد حرارة يوليو في روما، وقلت لـه: إنني أفكر في القيام برحلة إلى

القسطنطينية، ومنها إلى الإسكندرية في مصر، وهناك أرى الآثار والمخطوطات (وهي نادرة في إيطاليا، وندرتها تعود إلى أن كثيرا من الكرادلة ووجوه المجتمع يشترونها بأي ثمن)، وقلت لـه أيضا: أريد أن أواصل الدراسات التي بدأتها في اللغات الشرقية، وأقوم ببعض التجارب الفلكية، وهو بغية علماء الفلك في هذا العصر، ونادرا ما أمعن فيه أحد. وأبدى الرجل موافقته على نواياي، ورغبته في أن أقوم بالرحلة باسم سموه، وبأي شروط أقترحها، وعندما عرف إعراضي عن ذلك راح يقترح عليّ طريقا آخر لتسهيل مهمتي[17].

(2) غريفز يخطط لرحلة إلى الشرق

لا تعود أهمية هذه القصة إلى كرم بِتي في تعامله مع غريفز، بل تعود أهميتها إلى احتوائها على أدلة على أن غريفز قد استقر رأيه على القيام برحلة إلى الشرق من أجل تحقيق ذلك الهدف الثلاثي: جمع المخطوطات، وتحسين مستواه في اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى، وإجراء تجارب فلكية. إذن رفض غريفز الدخول في معية عمدة آرندل، وآثر السير في طريقه الأكاديمي، وعاد إلى إنجلترا بعد أن توقف في لايدن بعض الوقت، وعرفنا أنه ألقى نظرة على حروف الطباعة الشرقية التي اشترتها جامعة أكسفورد بعد ذلك. عاد غريفز إلى إنجلترا في أواخر العام 1636، وهناك وجد بوكوك قد عاد هو أيضا من حلب، فَخَفّ لزيارته، وأطلعه على نيته للسفر إلى الشرق. وهذه المناسبة هي المرة الأولى التي جعلتنا نعرف عن الصداقة بين جون غريفز وبوكوك، والمرجح أنها كانت صداقة تعود إلى زمن بعيد. فقد التحق أخو غريفز الأصغر توماس بكلية كوربس كرستي بوصفه أستاذا في العام 1627، وكان بوكوك صديقه على رغم أنه يكبره بسبع سنين، وعلى رغم أنه كان زميلا في هذه الكلية منذ العام 1628؛ وكان يراسله من حلب، ويعلمه العربية، وكان (في العام 1637، وربما قبل ذلك) يشاركه المكتب في الكلية. وأكاد أقطع بأن توماس غريفز عرف بوكوك لأن العلاقة بين الأسرتين تعود إلى زمن بعيد قبل ذلك[18].

وكان بِتي قد عرض على غريفز أن «يتوجه، بمساعدة رئيس الأساقفة، إلى السفر إلى حلب ليعمل قنصلا هناك، والحصول على إذن من السلطات العثمانية

لمنحه بعض السلطات في الإسكندرية طوال إقامته بها»[19]، ولكن بِتي عرض عليه أيضا أن يأخذ رأي صديقه بوكوك قبل الذهاب إلى لود. وليس من شك في أن بوكوك قد أخبره بأن منصب القنصل ليس بالوظيفة السهلة، ولذلك فقد تخلى عن هذه الخطة، ويبدو أن بوكوك أيضا قد عبر عن اهتمامه بالعودة إلى الشرق؛ ففي رسالته التالية التي كتبها في 23 ديسمبر من العام 1636[20]، يهتم غريفز غاية الاهتمام بالتفكير في القيام بهذه الرحلة معا. لقد قرأنا الرسالة الغريبة الطويلة والمثيرة التي أرسلها غريفز إلى تيرنر في 10 فبراير 1637، وعرفنا منها دوافع الرجلين للقيام بهذه الرحلة، وخِطط غريفز واقتراحاته للتمويل، وكيفية التعامل مع الواقع الحرج الذي سيتركانه بعد غيابهما مدة طويلة عن واجباتهما الأكاديمية، والحوافز التي قدمها غريفز لبعض ذوي النفوذ، وعلى رأسهم لود، لتسهيل هذه المهمة، وقد اقتطفت منها فقرات متعددة في هذا الكتاب[21]؛ فبعد أن أمعن في مدح رئيس الأساقفة لتبرعه بالمطبعة والمخطوطات لجامعة أكسفورد، يعبر غريفز عن الأمل في أن «بعض المخطوطات الشرقية النادرة لا تُقدر بثمن» يمكن نشرها. وقال أيضا إنه «لا يعرف رجلا أكثر قدرة، وأقوى إرادة، وأبعد رغبة في خدمة سيدي، مثل السيد بوكوك، الذي بعد أن عاش بضع سنين في هذه البلاد، وقد تجهز بالقدرات الممتازة قبل أن يشرع في القيام برحلته، إنما يبز يوليوس والصهيوني، ويتفوق على أساطين أوروبا، ورجال آخرين». والحق أن هذا المدح عظيم (وإن كان متحيزا) من شخص قابل يوليوس، وقابل الصهيوني وجها لوجه. ولكن بوكوك لا يرضى عن نفسه:

> *ويعترف بأنه في ترجمة تاريخ «غريغوريوس أبو الفرج» من العربية إلى اللاتينية، والتي ينوي إهداءها إلى سيدي، إنما يسعى دائما إلى البحث عن مسائل الجغرافيا المتصلة بأجزاء بعيدة جدا عن آسيا، وعن أصول الأسر الكثيرة صاحبة الممالك العظيمة هناك، والتي لا يعرف عنها الإغريق ولا اللاتين شيئا كما تعرفون. فهو راغب أشد الرغبة، إذا شاءت مشيئة سيدي، في أن يرحل إلى هذه البلاد، وأن يقتبس مزيدا من النور ليظفر بنسخة كاملة من عمل هذا المُؤلِّف الممتاز، التي يستعد للحصول عليها الآن.*

وبعد أن يشرح كيف أن عوامل كثيرة في حلب ألهت بوكوك، وحالت بينه وبين ما يريد، يتحدث غريفز عن الجانب المالي:

ولم يكن بوكوك يريد أن يثقل على سيدي بالنفقات الكثيرة على سموه، ويكفي ما تكرم به سموه بمنحه راتب الكاهن، أو مبلغا من المال يكفيه، وأن الأعمال سوف تُنسب إليه، والشرف لسموه، وهو شرف كبير فيما أعلم وأعرف، أن يعمد سموه إلى استخدام واحد من رعيته النابهين، للرحلة إلى هذه البلاد البعيدة، والهدف هو الظفر بالكتب.

معنى هذا أن لـود يأمر بأن يصرف بوكوك راتبه وهو في تلك الإجازة، مقابل أن يشتري بوكوك بعض الكتب للود. وبقيت مشكلة المحاضرة العربية التي كان يلقيها بوكوك في أكسفورد، وكان الحل يسيرا: أن يلقيها بدلا منه أخو غريفز المدعو توماس غريفز[22] لقاء مبلغ مناسب:

وكلي أمل في ألا يتوقف الاهتمام بهذه اللغة (العربية) التي تنطوي على كثير من العلوم، وأنا على يقين بأن الثمار ستكون مصدر سعادة لسيدي، ولذا فإني أقترح - إذا سمح سيدي - أن يكون أخي توماس هو القائم على محاضرات السيد بوكوك في غيابه، إذا سمح سيدي ورغب، ومن دون أي نفقات إضافية، يكفيه أن يشمله سموه بحمايته، ويضمن لـه حقه في الإقامة في دار تشارتر، وهو هبة من الله والمؤسس الأول، كونه العالم الأول في هذه المؤسسة.

ثم نجد غريفز يتحول إلى وصف خططه التي وضعها، فيروي عن المقابلة التي تمت بينه وبين بِتي في إيطاليا، وعرضه الدخول في خدمة عمدة آرندل، يقول:

إنه بدلا من ذلك قررت أن أدخر مائتين وخمسين جنيها من مالي الخاص، في سبيل تدبير كل ما أستطيع من أموال سائلة، وكلما زاد رصيدي من المال زودت نفقاتي على هذه المهمة. ولست أظن إلا أن مرتبي هنا[23]، وبدلاتي من كلية مِرتون، والعشرين جنيها التي سترسلها لي والدتي ستكفيني بلا شك، مع شيء من الاقتصاد والحرص، لإنجاز ما أريد إنجازه. ستكون أكبر عقبة هي مرتب السير توماس

غرشم بعد أن أصدر مجلس المدينة قرارا بألا يُصرف له شيء في أثناء غيابي في إيطاليا، على رغم أني عهدت إلى أخي[24] بأن يقوم بعملي هناك... ولكني أظن حسنا في كرم سيدي، أن يعيننا - على الأقل - في اجتناب غضبهم، وأعتقد اعتقادا راسخا أنه لو كان السيد المؤسس حيّا يرزق بيننا الآن لمنحني سعة من الحرية لإنفاذ هذه الغايات التي أسعى إلى تحقيقها في الذهاب إلى إيطاليا، ولشجعني على المضي إلى القسطنطينية في أغسطس القادم، من دون أن أضطر إلى إنفاق نصف مرتبي على انتداب أخي.

وبعد أن طلب شفاعة تيرنر عند لـود ليعينه وبوكوك على ما كانا يرغبان «فأنا أعلم أن سيدي يحبك ويحترمك»، يضيف إلى ذلك حافزا أخيرا في الوعد الذي قطعه على نفسه، والذي أشرنا إليه[25]: أنه سيتأكد بنفسه - في أثناء إقامته في القسطنطينية - من أن أمر السيد لسفن شركة الشام أن تعود محملة بالمخطوطات العربية نافذ، وسيوصي بعض التجار بجلب بعض المخطوطات التي يختارها.

ولا شك في أن هذه الالتماسات قد آتت أكلها، وكان تيرنر يعززها؛ ففي 28 يوليو من العام 1637 يخبر لود نائب رئيس الجامعة بشيء من اللباقة بقوله: «السيد الفاضل، بدأ السيد غريفز قراءة المحاضرة في يوم الأربعاء الموافق التاسع عشر من يوليو نيابة عن السيد بوكوك، الذي سمحت لـه بالقيام بإجازة يذهب في أثنائها إلى القسطنطينية ومدنٍ شرقية أخرى، حتى يتمكن من تحسين مستواه في اللغة العربية وسائر اللغات الشرقية، وقد قررت أن يُصرف له راتب المحاضرة حتى وهو في أثناء سفره»[26]. ولا نعرف كيف جرى تعويض توماس غريفز عن فترة السنوات الثلاث التي قضاها بوصفه أستاذا مساعدا للغة العربية[27]. ربما كان راضيًا كل الرضا بما ظفر به من ترقيات، وهو ما ورد ذكره في رسالة من تشارلز فِتِبليس إلى بوكوك في العام 1640[28]. وأما بوكوك فلم يكتفِ براتب الأستاذ، والمكافآت التي يحصل عليها من زمالته في كلية كوربس، فقد أكمل نفقاته من أموال كانت تجيئه من تجارة خاصة في أقمشة كان يرسلها إلى القسطنطينية على

سفن شركة الشام، وهي ميزة خاصة حصل عليها من مجلس إدارة الشركة في لندن (وربما كان ذلك بإيعاز من لود أو إلحاحه)[29]. وعلى رغم ذلك، اضطُر بوكوك إلى إنفاق كثير من ماله الخاص، كما جاء فيما كتبه إلى البرلمان في العام 1645، بعد أن أقدم هذا البرلمان على مصادرة ضِياع لود: «لكي يُؤَهِّل نفسه للوظيفة، يجد نفسه مضطرا إلى القيام برحلة إلى القسطنطينية عائدها الثقافي كبير جدا، حتى لو كانت نفقاتها أكبر»[30]. وأقدم غريفز أيضا على القيام برحلته بدفع الأموال من ماله الخاص، فقد كان العون الذي كان يأمل أن يتلقاه من تجار لندن لايزال بعيد المنال، كما كتب إلى تيرنر من القسطنطينية في 2 أغسطس 1638 يقول:

> *خيبت مدينة لندن(*) آمالي في الحصول على دعمها لشراء الأجهزة الخاصة بأبحاث الرياضيات، واضطرتني الضرورة إلى بيع أغلب الكتب التي جلبتها معي، إلا أن حب إخوتي لي، وشغلهم بأمري، جعلهم يمدون لي يد العون، ما مكنني من المضي في إتمام ما أريد، على رغم رفض مجلس المدينة مساعدتي*[31].

(3) غريفز وبوكوك في القسطنطينية

استقل الصديقان السفينة المتجهة إلى القسطنطينية في أوائل شهر يوليو من العام 1637. ولكن غريفز نزل في ليفورنو؛ فقد كان يريد الذهاب إلى روما، فترك بوكوك يواصل السفر وحده، محبوسا في السفينة المتجهة إلى القسطنطينية. هناك عاش بوكوك في مدينة غلاطةGalata السنوات الثلاث التالية في منزل السفير[32]، وكان لود قد أوصى غريفز وبوكوك بالإقامة فيه. هناك أكب على دراساته، وعلى جمع الكتب والمخطوطات لنفسه وللود. ثم إنه راح يبحث عن المعلمين الأجانب، فوجد الأمور تختلف عما كانت عليه في حلب: فهناك كان يجد متعة كبيرة في الحوار مع المثقفين العرب، ولم يجد متعة في الحديث مع اليهود، لكن في القسطنطينية وجد صعوبة في العثور على مثقف تركي واحد يؤنسه

(*) يقصد التجار. [المترجم].

بحوار، ولكنه وجد العديد من المتعلمين اليهود الذين استخدمهم في شراء الكتب ونسخها. وقد وجد متعة خاصة في الجلوس مع العالم اليهودي المدعو يعقوب رومان، وكان يناقش معه موضوع الطوائف المسيحية، فشهد له بالعلم، وقال عنه بعد ذلك: «إنه لا يعدل به عالما آخر من اليهود الذين قابلهم، سواء في العلم أو الذكاء»[33]. وهذا اليهودي هو الذي ألهم بوكوك اهتمامه الأبدي باللغتين العبرية والعربية، فقد كان رومان خبيرا في اللغة العربية قدر خبرته في العبرية، وكان يخطط لطباعة كتاب «دلالة الحائرين» لمؤلفه موسى بن ميمون باللغات العربية والعبرية واللاتينية في القسطنطينية[34]. أضف إلى ذلك أنه كان يعرف كتاب «حي بن يقظان» لابن طفيل، ليس في ترجمته العبرية فقط، ولكن في أصله العربي أيضا. وكان يفخر بامتلاكه نسخا من مقامات الحريري باللغة العربية، وأجزاء منها مترجمة إلى العبرية، وكلها كتب يتصل ذكرها اليوم ببوكوك[35]. وفي أثناء بحثه عن المخطوطات، وجد بوكوك في القسطنطينية عونا أيضا من السيد ديمونيكو تيمون، السكرتير صاحب التجربة الكبيرة في شركة الشام[36]، ومن السيد ناثانيال كونوبيوس (الأسقف المساعد للبطرك سايرل لوكاريوس)[37]؛ ومن جورجيو سيرجيو، وهو طبيب في غلاطة، وساعد غريفز في إجراء تجاربه الفلكية. ومهما يكن فقد وجد بوكوك من يساعده مساعدة كبيرة من بين أصدقائه القدامى في حلب. فإلى جانب الدرويش أحمد، ساعده الشيخ فتح الله، ومايكل ثلجة، وأخوه الأسقف(*)، والتجار الإنجليز ووليام كوردوروي ورتشارد هل أيضا.

في الوقت نفسه نجد أن غريفز، بعد أن قضى فترة في روما (وهناك رأى بتي مرة أخرى، وتجولا معا بين آثارها)[38]، توجه إلى القسطنطينية، ووصل إليها في ديسمبر من العام 1637، والتحق بـ بوكوك في بيت السفير. ومكث هناك فترة تقل عن العام، وخاب أمله، كما خاب أمل بوكوك من قبله، عندما لم يجد معلما مناسبا يعلمه العربية، وإن كانت الرسائل التي بعث بها إلى القسطنطينية (وبعض المعلومات العرضية) تكشف عن أنه كان نشيطا غاية النشاط؛ ففي رسالة أرسلها إلى تيرنر

(*) مات هذا الرجل (ملوتيوس كرمة)، أسقف حلب وبطرك أنطاكية فيما بعد، في العام 1635، فلا يمكن أن يكون قد أمد بوكوك بأي مخطوطات في القسطنطينية في العام 1637، ولعل تولز عزا - بالخطأ - وقائع جرت في أثناء إقامة بوكوك في حلب في أوائل ثلاثينيات القرن السابع عشر إلى فترة إقامته بعد ذلك في القسطنطينية (ملاحظات تومر).

على الأرجح بعد خمسة أشهر من وصوله إلى القسطنطينية، يقول[39]: «رغم أني أرسلت رسائلي إلى أمكنة عديدة، وذهبت بنفسي إلى بعضها، لم أجد - إلى جانب كتب الطقوس الدينية وبعض الكتب الناقصة القليلة التي كتبها الآباء - شيئا يستحق الامتلاك، مع أن الإغريق جعلوني أعتقد أن جبل آثوس، الذي يقطنه أكثر من ثلاثة آلاف راهب، يضم مخزونا ضخما من المخطوطات». إن غريفز يشك في أن يجد هناك ما يستحق عناء البحث، ولكن الآمال كنت تحدوه في الوقت نفسه في أن يجد ضالته في مكتبة الحرملك، فقد أكد لـه البطرق أنها لاتزال تضم بين جدرانها «مكتبة أباطرة اليونان، وفيها كثير أيضا من المخطوطات اللاتينية». ويستمر في القول:

> *كان الحظ إلى جانبي في رحلة البحث عن الكتب التركية والعربية على رغم العقبات والصعاب، أكثر منه في بحثي عن الكتب اليونانية. فكثيرا ما تعرضت لغش السماسرة، وهم من اليهود الذين استخدمتهم سرا، وقد غامرت مرة أو مرتين بنفسي في زيارة دكاكين الوراقين الأتراك، فقد كانوا يبيعون هذه المخطوطات، فظفرت بقليل منها، على رغم أسعارها المرتفعة جدا، ولو كانت معي أموالٌ أخرى لاستطعت شراءَ بعض المخطوطات المنسوخة... وسوف أضع هذه الكتب - إذا شاء الله عند عودتي إلى أرض الوطن - تحت أقدام قداسته. عندي كتابان فقط إلى جانب بعض المقالات القصيرة التي آمل أن أتمكن من نشرها إن صادفت علماء أفضل من الذين صادفتهم حتى الآن. هذان الكتابان هما كتاب أبي الفداء في الجغرافيا المكتوب باللغة العربية، وكتاب «أولوغ بيك»(*) وقوانينه وجداوله الفلكية بالفارسية.*

(*) ميرزا محمد طارق بن شاه رخ المعروف بـ «أولوغ بيك» أو «ألوك بيك»، وُلد في العام 1394 بالسلطانية بإيران، وتُوفي في العام 1449 قرب سمرقند، الابن البكر لمعين الدين شاه التيموري من زوجته المفضلة الفارسية النبيلة المعروفة كوهرشاد، وهو حفيد القائد المغولي مؤسس الدولة التيمورية تيمورلنك. كان أميرا وعالم فلك ورياضيات وضالعا في الهندسة الفراغية. لقب بـ «أولوغ بيك» التي تعني «الأمير الكبير» منذ شبابه. توج أبوه شاه رخ ملكا في العام 1409 وجعل من مدينة هرات التي توجد بأفغانستان الآن عاصمة له، وهي التي ألفها لما كان واليا من قبل على خراسان. عينه أبوه واليا على سمرقند وهو ابن ست عشرة سنة، لم يكن مهتما بالسياسة، فاستفاد من حنكة أبيه الإدارية لينكب على العلم. فلما توفي شاه رخ في العام 1447، تولى المُلك، لكن لم يستتب له الأمر حيث تمرد عليه ابنه البكر عبداللطيف الذي نجح في اغتياله في العام 1449، ونصَّبَ نفسه ملكا قبل أن يُقتل هو أيضا في العام 1450. وضع أولوغ بيك جداول دقيقة لحساب المثلثات والتوابع المثلثية، مثل الجيب والجيب تمام (المترجم عن موسوعة وِيكيبيديا الحرة).

وعلى الرغم من شكوكه في مخطوطات جبل آثوس، كان غريفز ينوي الذهاب إلى هناك، غير أن خططه أفسِدت بسبب إعدام البطريرك سايرل لوكاريوس المفاجئ. ففي رسالة يتحدث فيها عن هذا الخطب[40] يقول:

وقد حصلت على هذه المخطوطات من دير في غفلة من القائمين عليه، قوم لا يتحركون من دون أمر البطريرك، ظفرت من الآباء بأربع عشرة مخطوطة، أضطر الآن إلى إعادتها سرا، وإلى خسارة كل أموالي، فقد كنت أخشى أن أتعرض لمضايقات لا قبِل لي بها. ولئن قُدّر لبي. س. بي. ك. سايرل العيش مدة أطول مما عاش، لأرسلت إلى قداسة سيدي، ليس هذه الكتب فقط، بل كثيرا من النسخ الأخرى من دون أي نفقات تفوق حد المعقول. كان هدفي أن أذهب إلى جبل آثوس...، وهناك أظفر بموافقة البطريرك، ويُفتح أمامي الطريق إلى جميع المكتبات في هذا المكان، فربما أعددت فهرسا بالكتب التي تضمها، وهي كتب منسوخة وليست مطبوعة، أو ربما - وبعون من البعض هناك - بدأت البحث بداية سليمة. وقد كان غرض البطريرك تقديمها لقداسته، لإنفاذ ما يريد من طباعة كتب مؤلفي الإغريق على أفضل صورة ممكنة (بصرف النظر عن الحرمان الذي فرضه الآباء السابقون على مكتبات الإغريق من تداول الكتب بين قراء اللاتينية).

ويستمر غريفز يروي كيف كان يشرف على إرسالية شركة الشام من بعض المخطوطات العربية إلى لود، وأن القائمين على الشركة أحجموا عن دفع المال لبعض هذه الكتب، وقد كان لود قد اشترى بعضا منها فعلا. ويعدنا غريفز بأن يعمل على ترجمة أغلب كتب الإغريق في الحساب والرياضيات، وأن يجلبها إلى الوطن، وأن بعضها ربما يكون موجودا في اللغة العربية[41]. ويقول إن من ضمن الكتب التي جلبتها كتاب «المجسطي» الذي ألفه العالم الإغريقي بطليموس، وهو من أروع الكتب التي قرأتها، وقيل لي إن أحد فرسان الترك قد سرقه من مكتبة الملك في الحرملك[42].

وسنعلم أن غريفز قد تمكن من اصطحاب مجموعة كبيرة من المخطوطات من الشرق. وعلى الرغم من الصعاب التي صادفته في السعي إلى شركة الشام لإرسال

المخطوطات العربية المتفق عليها مع رئيس الأساقفة، فإن الجهود التي بذلها هو وبوكوك قد أدت إلى الوصول إلى عدد كبير من المخطوطات الشرقية التي ضمها لود إلى مجموعته. وهذا واضح من عدد المخطوطات العربية والشرقية الأخرى التي أصبح لود يمتلكها في العام 1638[43]. أضف إلى ذلك أن لـود دفع خمسين جنيها إسترلينيّا لـدانيال هارفي في ذلك العام نفسه[44]، وهو مبلغ كبير جدا كان يتعلق بشحنة المخطوطات القادمة من القسطنطينية على متن سفن شركة الشام، وهذا على وجه اليقين وليس الشك؛ فقد كان هارفي عضوا بارزا في مجلس إدارة شركة الشام في لندن[45]، كما كان صديقا مقربا من لود نفسه[46]، ولذلك كان مؤهلا للقيام بدور الوسيط في نقل الأموال التي أرسلها لـود إلى الشرق. وتوجد مخطوطة ضمن مجموعة لود للترجمة الفارسية لتاريخ الطبري عليها عبارات تذكر أن الذي اشتراها في القسطنطينية هو جون غريفز، ووصلت إلى لـود مع كثير من المخطوطات العربية والفارسية واليونانية[47]. ونظن أن غريفز قد حصل فعلا على كثير من المخطوطات الأخرى لمصلحة لود، غير أن أمواله المحدودة الخاصة به لم تكن لتتيح لـه أن يعطيها لرئيس الأساقفة إلا بعد أن يقبض ثمنها منه.

(4) رحلة غريفز إلى مصر وإيطاليا

كان الهدف الآخر الأساسي لغريفز من رحلته الشرقية هو القيام بتجارب فلكية، وكان يحمل معه برنامج أستاذه بِنبردج (والبرنامجان كلاهما مشتق من برنامج السير هنري سافيل نفسه). كانت التجارب الفلكية التي كان يريد غريفز إجراءها نوعين: أولهما أنه كان يريد تحديد خطوط العرض المتصلة بالمناطق التي كانت ذات أهمية كبيرة في علم الفلك القديم، ومنها القسطنطينية (بيزنطة) ورودس (التي كان يجري منها هيبارخوس تجاربه)، والإسكندرية (التي كان يجري منها بطليموس تجاربه). كان يشارك بِنبردج الأمل في أن يتمكنا - من خلال تلك التجارب - من تقييم التجارب القديمة التي انتقلت إليهما من خلال الكتب والمخطوطات. لهذا الغرض حمل غريفز معه بعض الأدوات والأجهزة التي تعينه على إجراء التجارب، وربما أُرسِل إليه جهاز أو أداة فيما بعد[48]. والحق أن تجارب غريفز في هذا الشأن أضافت أبعادا جديدة إلى خطوط الطول في هذه المناطق الثلاث، فقد كانت أكثر

دقــة من الخطوط التي استنبطها علماء الفلك الأقدمون فيما عدا خطوط الطول المتصلة بمنطقة رودس [49]. وأما النوع الثاني من التجارب التي كان غريفز يخطط للقيام بها فيتمثل في المشاهدات المتزامنة لظاهرتي الخسوف والكسوف (خاصة فيما يتصل بالقمر) في مناطق يبتعد كلٌ منها عن الآخر. وكان هدف هذه التجارب هو تحديد خطوط العرض مما يفضي في النهاية إلى تحسين الخرائط الحديثة. كان هذا الضرب من التجارب يحتاج إلى مستوى متقدم من التخطيط والتنظيم. ومن المثير أن نقرأ في رسائله دلائل على شروعه في القيام بها، فهو يكتب إلى تيرنر في أغسطس من العام 1638 يقول:

> *سوف نراقب القمر في ديسمبر المقبل (بإذن الله) في بغداد والقسطنطينية وسميرنا والإسكندرية، وقد وضعت في هذه المناطق أجهزة تعيننا على هذه المهمة، وتركت تعليماتي هنا طبقا لآخر ما توصل إليه العالم الدنماركي تيخو براهي Tycho Brahe، وكيف تجري عملية المراقبة. وأنا متأكد أن التجربة ستتم في بغداد بدقة؛ لأن من يقوم عليها هناك عالم فيزيائي من الحاشية الملكية، وهو نصراني، يريد أن يحقق لنفسه شهرة بإنجاز هذه التجربة أمام السلطان التركي الأعظم وجيشه. ولا أظن أنها ستتم بالدقة نفسها في إنجلترا، وأتمنى (كما عبرت عن ذلك في رسائلي) أن تُجرى هذه التجارب في جزر الأزور [50].*

لم يحقق غريفز النجاح الذي كان يريده من هذه التجارب، فهو لم يسجل في دفتره - فيما يتصل بالكسوف المدون بتاريخ العاشر إلى العشرين من ديسمبر 1638 - إلا تلك الملاحظات التي سجلها العالم بنايوتي في القسطنطينية، والتجربة التي قام بها صامويل فوستر في مدينة كوفنتري، بالإضافة إلى تجربته التي قام بها في الإسكندرية [51]. ولعله كان هو الكسوف الذي ذكره غريفز في رسالة غير مؤرخة أرسلها إلى بوكوك من مصر يطلب فيها من بوكوك أن يزوده بعدد كبير من التجارب الفكلية، خاصة فيما يتصل بظاهرتي الخسوف والكسوف، التي كان يجريها الدكتور سيرجيو في غلاطة، وطبيب من مدينة راغوزة، سافر مع الجيش إلى بغداد، ويجريها أيضا أحد القناصل الذي يعرفه حق المعرفة في إزمير القديمة [52]. كانت نتيجة

اهتمام غريفز بعلم الفلك الشرقي أن دفعه إلى البحث عن علماء الفلك الأتراك في القسطنطينية، كما ذكر في تصديره كتاب «الجدول الجغرافي»[53]. وكانت في لقائه مع أولئك العلماء فائدة للطرفين، فقد أطلع غريفز هؤلاء العلماء على كتاب تيخو براهي[54] المعنون بـ «الدروس الأساسية»، وكانت شهرته قد وصلت إليهم، وقد عرفوا كثيرا من نتائج التجارب التي قام بها أولوغ بيك Ulugh Beg. وأخبروه أيضا بالأدوات الكثيرة التي استحدثها أولوغ بيك.

استقل غريفز الباخرة المتهجة إلى الإسكندرية، وهي ضمن الرحلة السنوية التي كان يقوم بها الأسطول التركي، في أواخر أغسطس، أو أوائل شهر سبتمبر من العام 1638. وتوقفت السفينة في رودس بضعة أيام، مما مَنَحه الفرصة ليجري بعض التجارب الفلكية خلسة، في حديقة مجاورة لأسوار المدينة[55]. ثم مكث في الإسكندرية ستة أشهر أو نحو ذلك، توفر في أثنائها على إجراء التجارب الفلكية، وقد تمكن من إدخال بعض أجهزته العلمية إلى مصر بعد أن رشا أحد ضباط الجمارك اليهود. ولكنه ليستثمر الفرصة أيضا، عرج على القاهرة في زيارتين خاطفتين، حيث زار أهرامات سقارة، وقاس طولها وعرضها وارتفاعها جميعا، ووقف أمام الهرم الأكبر مبهورا، وتجول في داخله؛ ثم إنه راح يبحث عن المخطوطات، وعلى الرغم من أننا رأيناه يشكو إلى بوكوك خيبة أمله في هذا المسعى[56]، فقد ظفر بنسخة قديمة جدا من أجزاء من القرآن مكتوبة بالخط الكوفي[57]، ومخطوطة صحيحة من كتاب إقليدس باللغة العربية، غير أنها ضاعت منه عندما تعرض لهجوم بعض اللصوص من البدو في طريقه من رشيد إلى الإسكندرية[58]. وقد ظفر في مصر أيضا بفرصة ليجمع - ضمن ما جمع - كتابات بالهيروغليفية من أكفان المومياوات[59]، ليتاح لـه فحصها، ودراسة تقاليد المصريين وعاداتهم. ولم يعدم أيضا من يتعلم منهم من علماء القاهرة في أمور أكاديمية وفكرية، فهو يكتب في ملاحظاته المدونة على مخطوطة أبي الفداء في الجغرافيا[60]، يشير إلى عالم من الأقباط يصفه بعبارة: «أستاذي جورجيو بمدينة القاهرة العظيمة»؛ لأنه استفاد من معلوماته عن عصر الشهداء الأقباط، ثم يدرج قائمة عنوانها: «الكتب التي يجب أن تُقرأ من قِبل الطالب في علم الفلك»، وفق رأي رجل يسميه «شيخي... في القاهرة»، وربما كان «شيخي» هذا واحدا من علماء الأزهر الذين قابلهم هناك.

وفي أواخر شهر مارس من العام 1639 استقل غريفز السفينة المتجهة إلى ليفورنو، وهي رحلة لم تستغرق أقل من شهرين. وكتب من هناك إلى بوكوك في الرابع عشر من يونيو، يحدثه عن نجاحه المتواضع في العثور على الكتب في مصر. وفي هذه الرسالة، وفي الرسائل التالية لذلك، حث بوكوك على شراء المخطوطات لحسابه في القسطنطينية.

> *تارة بالتماس العون من أصدقائهما المشتركين في غلاطة، وتارة أخرى بالذهاب بنفسه إلى البازارات ودكاكين الوراقين في إسطنبول، وكان يظن أن هذه المغامرة ستتم من دون مخاطر تُذكر بشرط أن يحذر الكتب المتصلة بالدين. وقد توسل إليه أيضا أن يقوم بمزيد من البحث في المكتبات الخاصة في بعض بيوت الوجهاء، وأن ينتظر عودة الجيش التركي الظافر من بلاد الفرس، لعله يجد من بين قادته وجنوده من جلب - فيما جلب - كثيرا من الكتب بهذه اللغة (الفارسية) التي يتحدث بها أهل تلك البلاد[61].*

مكث غريفز الشهور الستة التالية في إيطاليا، يتجول بين آثارها، ويختلف إلى مكتباتها، ويوثق الصلات مع رجالاتها من أهل العلم والفضل في سِينَّا وفلورنسا وروما ونابولي ومدن أخرى كثيرة. في ذلك الوقت توثقت صلته بلوكاس هولستون أمين مكتبة الفاتيكان، وبذلك ظفر بإذن للدخول إلى هذه المكتبة المهمة. وهنالك عمل على تجميع أجزاء كتاب أبي الفداء في الجغرافيا الذي كانت ترجع ملكيته في الأصل إلى بوستل، وانتهى به المطاف بعد ذلك إلى المكتبة البالاتينية، ثم إلى روما[62]. ثم إنه أمعن النظر في مخطوطة لا مثيل لها للأناجيل الأربعة بالفارسية، مكتوبة في قصر إمبراطور دلهي في الهند، وتبرع بها جيروم خافير[63]. كان غريفز يريد من يتيح له دخول المكتبة المدتشية في فلورنسا، فدبج قصيدة باللغة اللاتينية يمدح فيها ما سماه: «الدوق العظيم فرديناندو الثاني» حاكم توسكانيا، ويحتفل فيها بانتصار الدوق على القراصنة البرابرة[64]. وفي شهر مارس من العام 1640 استقل باخرة تُسمى «غولدن فليس» التي حملته في رحلة الإياب إلى إنجلترا.

بقي بوكوك في القسطنطينية بعد غريفز بوقت قصير، وكان يرسل التقارير إلى لـود رئيس الأساقفة، ويحتفظ بنسخٍ منها، وكانت هذه التقارير من المصادر التي

استعان بها تولز في كتابة موجز عن الأحداث المهمة في أثناء إقامة بوكوك هناك، ومن أهم هذه الأحداث إعدام سايرل لوكاريوس بطريرك القسطنطينية في 27 يونيو من العام 1638[65]. وكانت هذه الحادثة التي كانت نتيجة للانقسام الحاصل داخل الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، على النقيض من التصالح الذي حققه سايرل مع الكنائس البروتستانتية، صفعة كبيرة على وجه لود، وهو من بين أولئك الذين كانوا يأملون في تحقيق الوحدة بين الكنيسة الإنجيلية والكنيسة الأرثوذكسية من خلال النفوذ الذي كان يتمتع به سايرل، وأيضا كان نكسة لجهود غريفز وبوكوك في بحثهما عن المخطوطات باسم رئيس الأساقفة، وكان سايرل قد وعد بالمساعدة في هذا الشأن[66]؛ وحتى قبل مصرعه بقليل بعث إلى لود (عن طريق بوكوك من دون شك) مخطوطة تضم أسفار موسى الخمسة (التوراة) باللغة العربية[67].

(5) رافيوس في الشرق

حادثة أخرى رواها بوكوك لرئيس الأساقفة، وهي وصول كرستيانوس رافيوس إلى القسطنطينية. وقد رأينا في الفصل الثالث كيف كانت رحلته تلك تحصل على التمويل من أشر مقابل وعد بالبحث عن المخطوطات. سافر رافيوس إلى القسطنطينية بادئا رحلته من فرنسا، حيث توقف في باريس فترة قصيرة وتعرف من خلال هوغو غروشيوس على الكاردينال ريشيليو الذي سعى - وفق ما روى رافيوس نفسه - إلى إغرائه بالعمل لحسابه في الشرق[68]. قضى أيضا بعض الوقت مع الأب مرسين(*) الذي قدمه إلى ديسارغو[69]، ثم إنه استقل باخرة من ميناء مرسيليا متجهة إلى القسطنطينية، حيث استغرقت الرحلة أسبوعين بدءا من يوليو من العام 1639. يروي بوكوك القصة:

> *وصل إلى هنا من دون ملابس تليق برجل مثله (زعم أنه تعرض لبعض قطاع الطرق في فرنسا)، ومن دون مال يكفيه، ومن دون خطابات تشفع له عند تاجر من التجار. كانت لديه خطابات توصية من عُمد بعض المدن إلى السفير الهولندي الذي رحل قبل*

(*) هو الأب مارين مرسين (1588 - 1648) فرنسي، عالم في اللاهوت وفيلسوف وعالم في الرياضيات. كان من أهم المراجع العلمية في القرن السادس عشر. [المترجم].

وصوله بقليل. وعندما علم السفير الإنجليزي، السيد ساكفيل كراو، بأن لديه خطابا من قِبل رئيس الأساقفة يوصي به خيرا، دعاه إلى داره، وشمله بالكرم والحماية، وأغدق عليه بما يحتاج إليه من المال، ووعده بمزيد من الدعم، وطلب منه أن يبذل أقصى ما يستطيع من الجهد، حتى تظفر إنجلترا بفائدة جهوده، ونتيجة ما ينفق من الوقت في دراسة اللغات الشرقية(70).

لم يُضِع رافيوس وقتا، راح يجمع المخطوطات ويرتبها وفق رؤيته(71)، وعندما انتقل إدوارد سترنغر من القسطنطينية، حيث كان يعمل مسؤولا ماليّا لشركة الشام، إلى سميرنا، حيث عُيِّن هناك قنصلا عاما، تحين رافيوس الفرصة فاصطحبه(72). وفي 8 سبتمبر من العام 1639 اشترى - في سميرنا - مخطوطة عربية تصف مدينة القدس، تبرع بها فيما بعد ذلك لمكتبة كلية سيون، ولاتزال قابعة هناك(73). وفي سميرنا شهد جنازة تاجر إنجليزي شاب، ويصفها وصفا مطولا وشائقا في محاضرة عامة في أوترخت في العام 1643(74). وما لبث أن عاد إلى صحبة بوكوك في القسطنطينية. في أثناء ذلك ألّف «رسالة في اللغة التركية»، لم تُطبع ولكنها لاتزال موجودة في جملة مخطوطاته في المكتبة البريطانية(75). ليست لهذه الرسالة قيمة من ناحية فقه اللغة، ولا تضيف شيئا إلى فهمنا للتركية، ولكن قيمتها تنبع من أنها مفعمة بمشاعر دافئة كان رافيوس يَكُنها للترك، فهم قوم ذوو أنفة وكبرياء، ويَخِفُّون لمساعدة الغرباء، وهو يقارنها مع صفات الأرمن واليهود المعروفين بالغش والخداع والتزوير.

من المرجح أيضا أن يكون رافيوس قد قابل نِكولاس بتري(76) في القسطنطينية، وكان بِتري نَسّاجا للحرير في حلب، وكان يعتنق الديانة الأرثوذكسية اليونانية، وكان يعرف العربية والتركية، ومن المرجح جدا أن العربية كانت لغته الأصلية. طلب رافيوس من نِكولاس أن يكون ناسخه الذي ينسخ له الكتب العربية(77)، وأغراه على ذلك بالمال والهدايا، وأن يصحبه إذا ما قرر العودة إلى البلاد الأوروبية. وقد وصل ضيق نِكولاس بمخدومه إلى مداه، فكتب إلى بوكوك ويوليوس رسائل بالعربية لاتزال مثيرة للاهتمام؛ لما فيها من مرارة الحنق على الحياة نفسها. كان رافيوس لايزال في القسطنطينية، مشغولا بشراء المخطوطات، عندما كتب رسائل منفصلة إلى جي. جيه. فوشيوس وابنه إسحاق في 13 أبريل من العام 1640(78)، وفي الرسائل عبر عن

رغبته في شد الرحال إلى بلاد الفرس في غضون شهر أو نحوه، ولكنه راح يشكو حاجته إلى المال، مما يفسر لنا سبب بقائه في القسطنطينية حتى كتب أشر إلى هارتلب في 30 سبتمبر من العام 1640 ينبئه برغبة رافيوس في السفر إلى مزيد من البلاد الشرقية [79]. ومن الواضح أنه لم يرحل إلى تلك البلاد إلا في أوائل العام 1641، فقد رأيناه في القسطنطينية يشتري المخطوطة التي أصبحت درة مجموعة المخطوطات التي جمعها حتى ذلك الحين، والتي حسده عليها علماء الرياضيات. كانت هذه المخطوطة هي الترجمة العربية لكتاب «القطوع المخروطية» لأبولونيوس، وهو النص الذي حققه عبدالمالك الشيرازي مع أكثر من ثلاثين رسالة علمية أخرى في الرياضيات[80]. وقبل عودته إلى أوروبا قضى أشهرا يزور مدينة أفسوس ومدنا أخرى في آسيا الصغرى (وربما عرج على كنائس آسيا السبع التي أصبحت رحلة معروفة عند التجار النصارى في سميرنا)، كان في معية تشارلز كافندش[81] وبعض أشراف الإنجليز[82]. وفي صيف العام 1641 استقل الباخرة سمبسون في معية نِكولاس بتري، ومعهما أكثر من ثلاثمائة مخطوطة[83] كان يسميها: «مكتبتي الشرقية»، لا تضم فقط الكتب العربية والفارسية والتركية، بل ضمت كتبا يونانية وروسية وصينية. وفي أثناء الرحلة توقف الاثنان في قبرص، حيث قابل رافيوس طبيبا[84] من أفاضل المسلمين سلمه رسالة باللغة العربية تحمل على الديانة المسيحية، وربما وصلت الباخرة إلى مدينة لندن في نوفمبر من العام 1641.

(6) عودة بوكوك ولقاؤه غروشيوس

عاد بوكوك إلى إنجلترا بالفعل، على الرغم من أنه عاد بعد جون غريفز بوقت طويل. ومع انطواء العام 1640 أصبح نظام الحكم الذي يرأسه الملك تشارلز، بدعم لـود وتشجيعه، في مهب الرياح، وأصبح وجهاء المدينة يراقبون اتجاه الرياح. كتب تشارلز فتِبليس إلى بوكوك يحثه على العودة، وكان يقول له إن بوكوك لايزال لـه نفوذ، وقد يستفيد منه. في تلك الأثناء أخبر لـود بنفسه بوكوك في الرابع من مارس أنه شرع في ترسيخ تدريس العربية على نحو دائم، وكان يريد منه أن يعود إلى أرض الوطن. ورد بوكوك بأنه إنما ينتظر شيخه القادم من حلب، وربما لا يصل الشيخ إلا في أغسطس، وحتى في أثناء ذلك التاريخ لم يستَقِل الشيخ الباخرة المتجهة إلى إنجلترا

مباشرة، ولكنه توقف في ليفورنو، وفضل السفر برا في الأراضي الإيطالية والفرنسية. يقول توِلز - وهو على حق - إن بوكوك لم يكن يحب السفر، ولم نكن لنسمع عن هذه الرحلة لولا ما حدث لـه عندما وصل إلى باريس؛ ففي أول العام 1641، عندما وصل إلى باريس، قرر مقابلة العلامة هوغو غروشيوس[85]، وكان غروشيوس مقيما في باريس سفيرا للملكة كرستينا ملكة السويد (فهل عرف بوكوك هذا من رافيوس؟ هل كان يعرف ذلك قبل أن يعرفه من رافيوس؟)، كان بوكوك يهدف من هذه الزيارة إلى الحديث مع غروشيوس عن مستواه في اللغة العربية، وترجمته لكتاب غروشيوس المعنون بـ «حقيقة الديانة المسيحية». لا بد من أن لبوكوك أسبابه لترجمة هذا الكتاب، وأنا أفضّل - هنا - أن أطلع القارئ على رواية غروشيوس للمقابلة التي تمت بينه وبين بوكوك دون الاعتماد على رواية توِلز التي قد تشوبها مسحة هوى[86].

يكتب غروشيوس إلى أخيه وليام في 16 فبراير 1641 ما يلي:

> *زارني في الآونة الأخيرة عالم من علماء الإنجليز المتبحرين في العلم، عاش في الإمبراطورية التركية، وترجم كتابي المعنون بـ «حقيقة الديانة المسيحية» إلى العربية، وسوف يصدر هذا الكتاب في إنجلترا بعد حين. وهو يظن أنه لن يجد كتابا أعظم منه فائدة في مجال تعليم المسيحيين في هذه النواحي، وأبعد أثرا في تحويل أتباع محمد الذين يعيشون في بلاد الترك والفرس والتتار وشمال أفريقيا والممالك الهندية عن دينهم. زد على ذلك أن هذا الرجل الورِع طلب مني - متوسلا - أن أكون عند وعدي الذي قطعته على نفسي في خاتمة الكتاب، وألا أجعل بيني وبين إنفاذ هذا الوعد تحيزا لحزب أو تأثرا بخلاف، وأن أسعى جاهدا إلى تقديم كأس الوفاق للمسيحيين أجمعين. وقال إن أكثر ما يُنَفِّر غير المسيحيين من المسيحية كثرة الشقاق بين المسيحيين[87].*

وأما دوافع بوكوك إلى إتمام هذه الترجمة إلى العربية، والتغييرات التي أجراها في الكتاب السادس (بعد أن استأذن غروشيوس في ذلك وأذن له)، فسوف نتناولها بشيء من التفصيل في معرض تناولي النسخة المنشورة من الترجمة، وهي النسخة التي

ظهرت بعد ذلك بما يقرب من عشرين عاما. ونكتفي هنا بملاحظة مهمة، وهي أن إعجاب بوكوك بكتاب غروشيوس هذا، وحماسه لترجمته، قد وضعه مع القلة وليس مع الكثرة التي لم تستجب لما جاء في الكتاب؛ فهو كتاب يريد أن يشجع الكنائس المسيحية على الوحدة، ويغري غير المسيحيين للدخول في المسيحية، بعد أن يعرفوا أنها دين الجميع، وأنها أبعد ما تكون عن التفرقة والشقاق، وأنها تتفق تمام الاتفاق مع العقل البشري على الإجمال[88]. غير أن كتاب «حقيقة الديانة المسيحية» لم يظفر بالقبول في أوروبا، واستهجنه الكاثوليك والكالفينيون على السواء. وأما في إنجلترا فقد كانت أفكار الكتاب مقبولة في عهد لود رئيس الأساقفة، ولكنها لم تصمد بعد لـود، بل أصبحت مصدر خطر عظيم لمروجيها، وعانى بوكوك نفسه على أيدي أولئك الذين استنكروا ذلك التسامح.

كان البرلمان الطويل الذي قام على إدارة الثورة الإنجليزية في حالة انعقاد عندما وصل بوكوك إلى باريس. أعطاه غروشيوس رسالة إلى لـود الذي كان قد أُدين وأُودِع سجن «بلاك رَدْ» Black Rod. وعندما وصل بوكوك إلى لندن لتسليم الرسالة كان رئيس الأساقفة قد انتقل إلى سجن البرج في 1 مارس من العام 1640.

الهوامش

المقدمة

(1) انظر ما كتبه بروغمان عن القرن السابع عشر في كتاب بروغمان وشرودر بعنوان: «الدراسات العربية في البلاد المنخفضة» Arabic Studies in the Netherlands ، الصفحات من 3 إلى 21 تفيد قليلا.

(2) على سبيل المثال: توفرتُ على دراسة جزء فقط من الرسائل الطويلة التي كتبها رجل مثل إدوارد برنارد وأودعها مكتبة البودليان.

(3) على رغم أن عددا من رسائل بوكوك التي أرسلها إلى آخرين لاتزال باقية في عدد من الدراسات العربية، فإننا لم نعثر على رسالة أرسلت إليه (وبالتأكيد لم يحصل تـولز على أي رسالة من هذا النوع). أقرب ما لدينا (مخطوطة في المكتبة البريطانية نسخة إضافية الرقم 6193، الصفحات من 73 - 77)، صور طبق الأصل من ثلاث رسائل من جون غريفز إلى بوكوك، صورها جون وارد في ثلاثينيات القرن الثامن عشر ليستعين بها على كتابة سيرة حياة غريفز في كتاب بعنوان: «سِير حيوات أساتذة كلية غرشم»، من النسخ الأصلية، ثم استخدمها تولز في لندن؛ ونسخة السير سيموند ديويس الخاصة من الرسالة التي أرسلها إلى بوكوك (ذكرها تولز في ص266) يشكره فيها على بعض النسخ العربية المعانة بترجمة إلى اللاتينية والمحفوظة على هيئة مخطوطات في المكتبة البريطانية في قاعة هارلي برقم 377 صحيفة 144 يمين.

(4) وقد اعتمدتُ في التحقيق التالي في الأساس على تصدير تـولز للنسخة الأصلية في طبعة العام 1740 من السيرة، والتي حُذفت في العام 1816 عند إعادة الطبع. إنها تتكئ أيضا على رسائل من جون بوكوك وتولز إلى توماس راولنز محفوظة على هيئة مخطوطة في «بالارد» برقم 28، وعلى استنباطات استنبطتها من حياة تولز.

(5) يوميات هيرن في 8 نوفمبر العام 1710، (ج3، ص77): الدكتور تشارلت (أو فارليت) يغري السيد بوكوك بتسليمه الأوراق التي يمتلكها الدكتور بوكوك مثل الرسائل وغيرها، وهو يعده بأن يكتب له سيرة حياته. وقد أخبره الدكتور تشارلت عدة مرات بأن لديه عددا كبيرا من رسائل الدكتور بوكوك. انظر الرقم 10 من 464.

(6) التاريخ التقريبي نجده في يوميات هيرن في يوليو من العام 1731 (ج10، ص462)، في ذلك الوقت كان راولنز نفسه يفكر في كتابة سيرة حياة بوكوك متكئا على هذه الرسائل، فلم يرسلها إلى جون بوكوك حتى حلول العام 1733.

(7) وهذا لم يكن غريبًا؛ فالرجلان كانا على شقاق دائم حين صدرت «الأعمال اللاهوتية» آخر الأمر، فقد كان بوكوك ينحي باللائمة على تولز لبطئه، وكان تولز بدوره يتهم بوكوك بالجشع. وهذا واضح من رسائل الرجلين إلى راولنز في مخطوطة بالارد الرقم 28. وانظر أيضا رسالة تـولز إلى زخاري غراي في 22 مارس 1740، والتي نقلها نكولاس في كتاب بعنوان: «نوادر أدبية»، الجزء الأول ص 469 - 70 يقول فيها: «... هأنذا قد فرغت من كتابة سيرة حياة بوكوك آخر الأمر، وسوف أسلمها يوم الثلاثاء المقبل... فإذا اشترى الكتاب ثلاثمائة مكتتب فإن مكافأة كاتب السيرة، لإعداده للفهارس، وتدقيقه لأخطاء الطبعة القديمة وتصحيحها واجتذابه للمشتركين، والسفر إلى لندن وأكسفورد إلخ... وتضييعه الوقت، ونفاد صبره لمدة خمسة أعوام كاملة، لن تزيد على خمسمائة وواحد جنيه، وسيكون هو مكسبي من الاشتراك، وقد يسرك أن تعرف أن السيد بوكوك صاحب نسخ جَده، وأخشى أن يصر على أخذ نصف صافي أرباح الطبعة».

(8) ماكراي، «الحوليات»، ص161، ص311.

(9) وأنا أرجح أنها في حوزة الدكتور توماس هَنْت، أستاذ كرسي لود لعلوم اللغة العربية في ذلك الوقت، ومن أشد المعجبين ببوكوك، والذي تعاون مع تولز في إعداد طبعة «الأعمال اللاهوتية» بتصحيح مسوَّدات «بوابة موسى» (فلم يكن تولز على علم بالعربية). بيد أن الرسائل لا توجد بين المخطوطات التي تركها السيد هَنْت لمكتبة البودليان في العام 1775، والمقتبس الوحيد الذي اقتبسه هَنْت من رسالة السيد بوكوك في «لهجات الشرق» De usu dialectorum orientalium، (ص21) يبدو أنه أُخذ من حياة تولز (ص22 من طبعة 1816).

(10) على سبيل المثال ينبئنا وارد Ward وكتابه «حياة أساتذة كلية غريشم»، ص151 بأن عدد الرسائل لا تقل عن 42 من جون غريفز، وهذا الرقم أكثر بكثير مما كان يمكن أن نستنبطه من كتاب تولز.

(11) على كل حال، هذا من شأنه أن يضيف بعض النقاط الشائقة بما فيها غرام بوكوك بزراعة نبات الأرز من قرون (بسلات) جلبها من سورية (ولمزيد من المعلومات حول أنشطته الزراعية انظر كتاب هارفي المعنون بـ : «زهور القلب النازف وأصولها العربية»، ص300).

(12) أريد أن أشير إلى أن أي ذكر لأمر يتصل بحياة بوكوك في هذا الكتاب ويكون ضعيف المرجع، يمكن أن أزعم أنه مشتق من كتاب تولز.

(13) إن الصورة المرسومة لبوكوك التي أعطاها جون لوك لهمفري سمِث، (من الرسائل، الجزء الثامن الرقم 3321، ص37 - 42)، وقد عرفه لوك في أيامه الأخيرة في كنيسة المسيح، صورة غائمة إلى درجة تدعو إلى اليأس، وتوحي بمعرفة متأسسة على محادثة حول مائدة وليس على العلاقة الحميمة التي يتحدث عنها رسل Russell، كما ورد في كتاب : «تأثير الفيلسوف المعلم نفسه»، ص240.

الفصل 1

(1) بدأ الغزو العربي لإسبانيا في العام 710م، وتأسست أول إمارة إسلامية (التي أصبحت الخلافة فيما بعد) في قرطبة في العام 756م، وبداية من عهد الخليفة الحكم الثاني (961 م) تجلت الأندلس بوصفها مركزا للإشعاع الحضاري بعد ذلك.

(2) درست هذا الجانب دوروثي متلتزكي Metlitzki في كتاب لها بعنوان: «العلوم العربية في إنجلترا في العصور الوسطى»، ص 6.

(3) انظر: كتاب هاسكنز المعنون بـ : «دراسات في تاريخ علوم العصور الوسطى»، الفصول من 9 إلى 12، وكتاب الدكتور أوتو هارتوغ المعنون بـ «الترجمة في إيطاليا»، وعلى الرغم من أنه كتابٌ قديم في كثير من المعلومات التي تضمنها، لاتزال قراءته مفيدة.

(4) أحد أوائل المترجمين كان أديلارد الباثي Adelard of Bath، زار بلاد الشام وصقلية وجنوب إيطاليا، بعيد العام 1100. وليس لدينا دليل مباشر على أنه زار إسبانيا، بيد أن ترجمته الجداول الفلكية التي ألفها الخوارزمي، هي ما أسهمت في علو شأنه كمترجم، وهي الجداول التي كان قد جلبها من إسبانيا. للمزيد من المعلومات الحديثة عن أديلارد انظر: بيرنت في كتابه: «أديلار الباثي»، وللمزيد من المعلومات حول الترجمة في بلاد الشام في أثناء الحروب الصليبية انظر: هاسكنز Haskins في كتابه المعنون بـ : «دراسات في تاريخ علوم العصور الوسطى»، الفصل السابع.

(5) ليست لدينا دراسة شاملة تتناول حركة الترجمة بما يكفي من التوثيق، وأفضل ترجمة بين أيدينا هي سلسلة المقالات المتفرقة التي كتبها هاسكنز والتي جمعها في كتاب بعنوان: «دراسات في تاريخ علوم العصور الوسطى»، وهو كتاب في حاجة إلى جهد مُحَقِّق يُلحق به المزيد من التفاصيل المستمدة من جهود السبعين عاما المنصرمة.

(6) هناك مقدمة مفيدة في كتاب روزنتال المعنون بـ : «الملامح الكلاسيكية في تراث الإسلام»، ولمعلومات حول كتب الرياضيات انظر: تومر وكتابه المعنون بـ : «كتب الرياضيات اليونانية المفقودة في الترجمة العربية»، وبصفة عامة انظر شتاين شنايدر Steinschneider: «الترجمات العربية إلى اليونانية».

(7) أفضل دراسة شاملة للاهتمام بالإسلام في أثناء العصور الوسطى هي الدراسة التي أنجزها مونريه دي فيلار Monneret de Villard بعنوان: «الدراسات الإسلامية في أوروبا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث عشر» والذي قام دالفيرني d'Alverny على تحقيقها وزيادتها بـملحقين بعنوان: «ترجمتان للقرآن إلى اللغة اللاتينية»، و«علوم الإسلام في الغرب». وهناك الكثير من المواد في أواخر العصور الوسطى يمكن أن نجدها في عمل دانيال المعنون بـ «الإسلام والغرب»، ولكنه عمل غير منظم تعوق فوضاه الإفادة منه.

(8) بعض هذه النصوص، ومعها كتاب بيتر المعنون بـ : «دحض حجج الإسلام» المعتمد عليها، نُشرت بترجمة إنجليزية قام بها كرتزك Kritzeck، بعنوان: «بطرس المبجل والإسلام»، وهي مجموعة مفيدة برغم ما بها من أخطاء كثيرة.

(9) هي النسخة التي طبعها ببلياندر 1543، والطبعة الثانية في العام 1550، وانظر: مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 12، والتي منها استمدت النسخة الإيطالية التي استخرجها أريفابين Arrivabene العام 1547، والتي كانت بدورها الأساس الذي قامت عليها النسخة الألمانية التي أنتجها شويغر Schweigger في العام 1616، والتي تُرجمت إلى الهولندية في العام 1641، انظر: شنورر، الصفحات من 425 إلى 427. وأما النسخة الأدق التي أنتجها مرقص من طليطلة بين العامين 1209 – 1210م، (انظر: دالفرني بعنون: «ترجمتان للقرآن إلى اللغة اللاتينية»، ص 113 والصفحات التالية)، فالمعرفة بها قليلة.

(10) انظر مونيريه دي فيلار: «دراسة الإسلام»، ص 35 - 42، وهي صفحات أفضل بكثير من المقال المختصر الذي كتبه جوزيه ماريا كول عن مدارس الدومينكان والمعنون بـ : «مدارس اللغات الشرقية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر».

(11) لا نستطيع هنا أن نحيط بالأعمال الكثيرة التي تركها لول، ولمزيد من المعلومات عن جهوده في مجال اللغة العربية انظر: فوك، ص 16 - 22، وللوقوف على جهوده التبشيرية انظر: مونوريه دي فيلارد، الدراسات الإسلامية، ص 42 - 44.

(12) ليس هناك من شك في أن لول كان هو المحرك الأول في هذا الشأن، انظر على سبيل المثال: برتلود التانر: «رايموندس لول ومرجعية مجلس فيينا اللُغوية، Raymundus Lullus und der Sprachenkanon des Konzils von Vienne.

(13) Chaldee مصطلح غامض كان يُستخدم في أثناء الفترة التي نحن بإزائها للإشارة إلى آرامية الكتاب المقدس (المكتوب بالحروف العبرية)، والآرامية المسيحية المكتوبة بالحروف السريانية، ولكن يتحدث بها مسيحيو الشرق)، وفي هذا السياق فإن اللغة الأخيرة هي المقصودة. انظر: كتاب برتولد ألتانر بعنوان: رايموندس لول ومرجعية مجلس فيينا اللُغوية Raymundus Lullus Und der Sprachenkanon des Kanzils von Vienna 217 - 218.

(14) النص الكامل للقانون موجود في كتاب هفلي لكليرك Hefele-Leclercq، ص 689-688.

(15) من أمثلة القرن السابع عشر في إنجلترا: باسور (انظر: الباب الثالث الفصل الثالث من هذا الكتاب)، وتوماس غريفز في كتابه المعنون بـ «حيوية اللغة العربية De Linguae Arabicae Vtilitate» وكتاب برايان والتن المعنون بـ «مقدمة لدراسة اللغات الشرقية» ص 9. وبالنسبة إلى تعليق بوكوك انظر: الباب الثامن من هذا الكتاب، وجونز في كتاب، «تعليم العربية في أوروبا في عصر النهضة»، ص 220، والهامش الرقم 10 وفيه إشارة إلى القانون من قِبل بوستل ورايموندي وإربنيوس.

(16) انظر: ويس Weiss، «إنجلترا وقانون مجلس فيينا».

(17) انظر كتاب : ألتانر، «قانون إنشاء كراسي اللغات الشرقية»، الذي جمع فيه بعض الأمثلة، أغلبها أقرب إلى الغموض.

(18) المؤلف هو فان كوننغفيلد، «القاموس اللاتيني العربي من مكتبة جامعة لايدن»، والقاموس الآن مستقر كمخطوطة في جامعة لايدن، في الرقم 231 وقد نشره: سي. ف. سيبولد (برلين، 1900).

(19) حققه شاباريللي، انظر فوك ص 25-22.

(20) كانت المخطوطة يمتلكها آخرون من دارسي اللغة العربية في القرن السادس عشر قبل أن تصل إلى يد سكالغر وبوستل وآندرياس ماسيوس وفرانسيسكس رافيلنجيوس، وللاطلاع على استفادة الأخير لهذه المخطوطة في تصنيف معجمه العربي انظر: هاملتون في «المعجم العربي اللاتيني»، من ص 559 إلى ص 560. وأما رواية فان كوننغفيلد لتاريخ المخطوطة في القرن السادس عشر (المعجم اللاتيني/ العربي في مكتبة جامعة لايدن، 6) فهي شديدة الاختصار.

(21) كونتش، «المجسط»، ص 104 - 122 نجد فيه دراسة مفصلة عن جيرارد كمترجم.

(22) نجد هذا كثيرا في أجزاء من بصريات ابن الهيثم.

(23) لمزيد من المعلومات عن «فلورنتاين دومينكان ريكولدو» الذي درس العربية والعلوم الإسلامية في أثناء رحلته إلى الشرق خاصة بغداد في العام 1291، وفيما بعد كتب يهاجم القرآن، انظر: مونيريه دي فيلارد وكتابه: «الحج إلى بلاد الشرق» وما ذكرناه من أعمال في الهامش الرقم 12.

(24) ولمزيد من التفاصيل انظر: فوك ص 15 - 16، ومونوريه دي فيلارد في كتاب «دراسة الإسلام»، ص 55 - 56.

(25) طبعه وترجمه شياباريللي في إصداره لكتاب «المفردات العربية»، ص 16 - 18.

(26) العمل الأساس في هذا الصدد هو كتاب نورمان دانيال المعنون بـ : «الإسلام والغرب».

(27) كان الموقف مختلفا عند الإغريق وعند مسيحيي الشرق، ولكن رواياتهم كانت غير معروفة في الحقيقة بالنسبة إلى دول القارة الأوروبية الناطقة باللاتينية.

(28) انظر: كتاب متلتزكي المعنون بـ : «قضية العربية في العصور الوسطى»، وكان يختص في الأساس بالحديث عن تأثير العربية في أدب العصور الوسطى، ويوفر الفصل الخامس على الحديث الجاد والمتخصص عن علماء بأعينهم كانوا يعرفون العربية جاءوا إلى الجزر البريطانية في ذلك الوقت أو سافروا إليها.

(29) هاسكنز، «دراسات في تاريخ علوم العصور الوسطى»، الفصل الثالث عشر.

(30) على سبيل المثال كان اليهودي الإسباني المتحول بطرس ألفونسو، مؤلف الكتاب الشهير المعنون بـ : «النظام الكنسي»، طبيبا للملك هنري الأول. انظر: متلتزكي، ص 21، والصفحات التالية لها. وفي مخطوطة فلكية تجد مزيدا من الدلائل على نشاطه في إنجلترا. ولم يكن روجر بيكون، برغم كل انتقاداته القاسية لأخطاء مترجمي العربية المعاصرين، من بين المستعربين الإنجليز، انظر: المراجع التي يوفرها متلتزكي في ص 257 في الهامش الرقم 75.

الفصل 2

(1) جدد العثمانيون بعد استيلائهم على القسطنطينية في العام 1453 المعاهدات الاستسلامية التي كانت قائمة منذ زمن طويل بين البندقية وجنوة من جهة والإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى.

(2) انظر: كاريير، «المفاوضات الفرنسية في بلاد الشام»، ص 283 - 294.

(3) لمزيد من التفاصيل عن المفاوضات والشروط انظر كتاب وود: «تاريخ شركة الشام»، ص 7 - 13.

(4) هاملتون، «اهتمام الإنجليز بالمسيحيين الناطقين بالعربية»، وهو كتاب يوفر للقارئ إطلالة مفيدة عن هذه الظاهرة.

(5) هل كانت لغة اللبنانيين النصارى في العام 1600 لاتزال هي السريانية، أم تغيرت إلى العربية؟ الدليل المعاصر وهو «سافاري دي بريفيه» دليل غامض، انظر: دوفيرديبه «انطباعات الشرقيين عن أوروبا ولبنان»، ص 197.

(6) بالنسبة إلى الكم الكبير من المادة العلمية عن الخلافات بين أنصار الدعوة الإنسانية والمستعربين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في أوروبا، وخصوصا بين كُتّاب المواد الطبية، لم أذكر إلا كلاين فرانك وكتابه المعنون بـ «ملامح الكلاسيكية في تراث الإسلام Die klassische Antike in der Tradition des Islam» الفصل الأول؛ وكتاب سيراسي Siraisi المعنون بـ «ابن رشد في إيطاليا في عصر النهضة»، ص 65 وما يليها من الصفحات. وفي هذا السياق يجدر ذكر أن مصطلح «مستعرب» لا يعني بالضرورة معرفة بالعربية، بل كان يُطلق على أولئك الباحثين الذين كانوا يفضلون الترجمات اللاتينية من اللغة العربية.

(7) كان الألمانيان كرستن وإليخمان من الأطباء المستعربين، وكان على شاكلتهما الفرنسي فاتيي والفلمنكي فوبسكس فورتيوناتس بلمبيوس. وكان من المستعربين العلماء في الفلك جون بنبردج، وجون غريفز، وإدوارد برنارد، وإدموند هالي. وسوف يرد بين الحين والحين ذكر شيكارد في ألمانيا وغوليوس في هولندا.

(8) في إسبانيا كان مصطلح «الموريسكي» يشير فقط إلى المسلمين السابقين وذرياتهم الذين عادوا إلى اعتناق المسيحية، بينما كانت الكلمة العربية «مُدَجّن» تُطلق على الذين احتفظوا بديانتهم الإسلامية.

(9) كانت تلك سياسة علمانية، ولكن السلطات الدينية كانت تدافع عنها بقوة. محاكم التفتيش، التي لا مجال هنا لذكر تجاوزاتها في إسبانيا.

(10) انظر: غوميز دي كاسترو De Rebus Gestis a Francisco Ximenio, fo. 30b، «حياة فرانشيسكو هيمِنيو وأعماله»، (ووفق داننفيلد، «نهضة الدراسات الإنسانية والمعرفة بالعربية»، 105، هامش 61)، ص 99 من ترجمة أوريز ريتا.

(11) لوصف أكثر ثراء انظر كتاب برسكوت بعنوان: «تاريخ فترة حكم الملك فيليب الثاني»، الجزء الثالث، ص 20 - 35.

(12) وجدنا هذا في كتاب بعنوان: «الكتاب ولبنان»، ص 117.

(13) انظر: كتاب جونز المعنون بـ «العلم العربي»، ص 43 – 134 ، لمزيد من تحليل النحو من خلال الرجوع إلى الأدب الحديث، انظر: ما كتبه فوك في الصفحات من 29 – 35.

(14) جونز، «العلم العربي»، ص 143. وللوقوف على استخدام رافلنغيوس للمفردات العربية في معجمه العربي، انظر: هاملتون، «قاموس هاملتون عربي/ لاتيني»، ص 565.

(15) انظر: كتاب شنورر بعنوان: «المكتبة العربية»، ص 515 – 529. وقد أسهم هذا في إنهاء آخر أنفاس النشاط التبشيري الإسباني بين الموريسكيين، وانظر كتاب : «العقيدة المسيحية» المكتوب باللغة العربية في قشتالة، ومطبوع في فالينسيا في العام 1566 ألّفه المطران مارتن بيريز من آيالة. وفي هذا الكتاب أيضا تُكتب العربية بحروف لاتينية.

(16) سيرايسي، «ابن سينا في عصر النهضة الإيطالي»، ص 139، وص 364.

(17) انظر: المقال المفيد الذي كتبه غارسيا بالستر Garcia Ballester بعنوان: «انتشار المخطوطات الطبية العربية واستخدامها في القرن السادس عشر في إسبانيا»، وما فيه من ذكر كثير من الكتب بهذا الشأن.

(18) انظر: ما كتبه بتايون Bataillon في: «اللغة العربية في سالامنكا»، ص 10. ويجدر القول: إن المقال كله يُعد تعليقا مفيدا على حالة التعليم العربي في إسبانيا في القرن السادس عشر، وملخصه في ص 17 «كانت إسبانيا عصر النهضة من أقل الدول استعدادا لتعليم العربية، ومن أكثرها عزوفا عن لعب هذا الدور». ولمزيد عن نجاح كليناردس الجزئي بعد ذلك انظر الباب الثاني، الفصل الخامس في هذا الكتاب.

(19) جونز، «تَعَلُّم العربية» ص 22 - 23 ونقرأ فيه ملخصا للأدلة على تلك القصة الغريبة، وقد تناولها كابانيلاس رودريغز Cabanelas Rodríguez بالتفصيل في كتاب لـه بعنوان: «الموريسكيون في غرناطة وقشتالة»، ص 197 – 232. كانت الألواح مزيفة، زيفها الموريسكيون المعاصرون، وربما زيفها ميغيل دي لونا وألونسو ديل قاشتيلو، ص 135.

(20) انظر كتاب : «أقطاب العلوم الإنسانية في عصر النهضة وتعلم العربية»، ص 106 – 107، وفي المرجع السابق أمثلة أخرى على تعلم دارسي العلوم الإنسانية الإسبان للعربية، ص 104 – 108.

(21) كان إنجازه الأهم مساعدته في تحرير إنجيل أنتورب متعدد اللغات، وهو إنجاز أهم في مجال الدراسات العبرية منه في مجال الدراسات العربية، انظر: لويد جونز وكتابه المعنون بـ «اكتشاف العبرية في إنجلترا في عهد آل تيودور»، ص 43 - 44، ومراجع أخرى.

(22) وردت الفقرة في مقال كتبه جستيل كلابوزو Justel Calabozo بعنوان: «مكتبة الإسكوريال»، ص 154.

(23) ويخلص كلناردِس إلى قول إنه في إسبانيا في ثلاثينيات القرن السادس عشر، كان من المستحيل الحصول على كتب عربية بعد محاكم التفتيش، وهو يرى أيضا أن المسيحيين الذين كانوا يحصلون على الكتب كانوا يبيعونها لبعض المهتمين في شمال أفريقيا، انظر: شوفا وورش Chauvin and Roersch «دراسة لحياة نكولاس كلينار وأعماله» ص 135.

(24) انظر: جستيل كلابوزو Justel Calabozo، ص 133 – 169، لمسح مختصر للمجموعات التي وصلت إلى المكتبة، ص 25.

(25) انظر: جستيل كلابوزو، ص 172 – 177؛ وجونز في: «تَعَلُّم العربية»، ص 55 - 57.

(26) يفسر هذا بالمصادفة السبب في أن أغلب المخطوطات المهمة في المجموعة الحالية في مكتبة الإسكوريال مكتوبة بالخط المغربي الشمال أفريقي.

(27) تصل مخطوطات مولاي زيدان إلى نحو أربعة آلاف مخطوطة، لتصبح مكتبة الإسكوريال تضم نحو أربعة آلاف وخمسمائة مخطوطة عربية، ولكن بعد الحريق لم يتبق سوى عشرين ألفا. (انظر: جستيل كلابوزو Justel Calabozo، ص 183، 190).

(28) أدى هذا – بطبيعة الحال – إلى المبالغة في تقدير حجمها وأهميتها. وفي العام 1692 ذكر توماس هايد، في المحاضرة الافتتاحية التي ألقاها باللغة العربية، كيف أكد لـه السفير المغربي أن المكتبة المغربية التي نُقِلت إلى إسبانيا كانت تحتوي

على 20 ألف كتاب عربي. انظر فيما يلي من الصفحات محاولات جون بنبردج لدخول المكتبة والحصول على معلومات حول كنوز الفلك القديمة التي كان يتخيلها أن تكون في مكتبة الإسكوريال، ص 72. وصفها أحد الإنجليز الذي تمكن من الدخول في أوائل القرن السابع عشر، وهو روبرت آشلي، بأنها: «مكتبة عظيمة تضم كتبا عربية توزن بميزان الذهب» (وود، «علماء جامعة أكسفورد وقساوستها» Athenae Oxonienses السفر الثالث، 20).

(29) تضم القائمة التي نُشرت باسم هوتنغر بعد وفاته، في الملحق (أ) نسخة من القرآن الكريم مصدرها نسخة كان يمتلكها شخص يُدعى كوليوس، وورد العنوان في محتويات جمعها الطبيب الموريسكي ألونسو القشتالي، وتضم 261 سورة (جستل كلابوزو، 217 – 220).

(30) انظر: شنورر رقم 235، مجلة بعنوان: «فقه اللغة العربية»، 68. وعلى رغم أن طريقة الطباعة تعود إلى مدينة فانو البابوية الصغيرة، فقد نشر العمل صاحب مطبعة من مدينة البندقية، وهناك احتمال كبير أن يكون قد طُبع في مدينة البندقية، انظر ما كتبه دوفردييه في كتاب بعنوان: «الكتاب ولبنان» رقم 54، ص 88.

(31) لمزيد من المعلومات عنه وعن الكتاب انظر: كميل أبو صوان في «الكتاب ولبنان Le Livre et le Liban»، ص 110 – 116، وفيه كثير من الصور، لمثال على الكتاب، «فقه اللغات الشرقية» رقم 236.

(32) انظر: نوفو Nuovo، «القرآن مطبوعا باللغة العربية»، ويشكك بعض الدارسين في وجود هذا الكتاب أصلا بعد أن فُقد تماما في مستهل القرن السابع عشر.

(33) لمزيد من المعلومات عن ألباغو وترجماته لأعمال ابن سينا انظر: دالفيني في كتاب لـه بعنوان: «ابن سينا والطب في البندقية» ص 184 - 197، وانظر: لوشيتا في كتاب بعنوان: آندريا ألباغو «والذي وقفه على سرد سيرة حياته. ولم تتم طباعة النسخة العربية من كتاب «القانون في الطب» لابن سينا حتى العام 1593 (انظر الصفحات التالية من هذا الكتاب).

(34) انظر: ليفي ديلا فيدا، «بحث في إنشاء أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان»، ص 99 – 108، ولمزيد عن ليون الأفريقي بوجه عام انظر: كوداز في مقال لـه بعنوان: «ليون الأفريقي» وانظر: جونز في مقال لـه بعنوان: «تَعَلُّم العربية»، ص 65 – 66.

(35) لمزيد من الأدلة على الدراسات العربية الخاصة بالكاردينال أغيديوس من فيتيربو Aegidius of Viterbo انظر القاموس الذي صنفه هاملتون بعنوان: «قاموس العربية اللاتينية» ص 561 – 562. وهناك دليل ولو ضعيفا على أنه علم العربية لـفدمان ستيتر في العام 1532، انظر مقال مولر المعنون بـ «جوهان آلبرخت وفدمان ستيتر وجها لوجه»، ص 21 - 22.

(36) الطبعة الأولى كانت في البندقية العام 1550، وأعيد طبعه في راموزيو، السفر الأول. أفضل ترجمة حديثة هي ترجمة إيبولار (انظر المجلد 1، ص 5 – 7، لمزيد من المعلومات عن أحدث المخطوطات التي اكتُشفت حديثا، والتي هي نسخة مستقلة عن نسخة راميزيو).

(37) لمزيد من التفاصيل عن هذه المعلومات في الجغرافيا والسيرة والمرجعية التي تضمها انظر: جونز «تعلم العربية» 67 – 72 الذي يركز على أهميتها بالنسبة إلى إيرينيوس.

(38) هوتنغر، «قاموس المصطلحات الطبية»، ص 245 - 291، من نسخة صدرت في العام 1527.

(39) يكتب جونز في مقال لـه بعنوان: «مطبعة ميدتشي لطباعة الكتب الشرقية» عرضا موجزا عن الطباعة وأهدافها وذلك بقائمة طويلة من المراجع وأحدث المطبوعات المتصلة بها، ص 102 – 103، وأهمها في الفائدة ما ألفه سالتيني بعنوان: «الطب في الشرق فيما ذكره جيوفاني باتستا رايموندي Della Stamperia Orientale Medicea e di Giovan Battista Raimondi»، وما ألفه تنتو بعنوان: «الموضوعات الطبية التي تناولها الشرقيون La Tipografia Medicea Orientale» وفيه عناوين الكتب الطبية التي ألفها العرب وصدرت عن هذه المطبعة.

(40) انظر كتاب لـفرفلييه بعنوان: «روبرت غرانجون في روما» بعض الحروف الطباعية كان قد استخدمها دومينكو بازا على سبيل المثال في طباعة كتاب بعنوان: «كتاب البساتين» (روما 1584، شنورر الرقم 189)، الذي تميز بكونه أول كتاب

علماني (غير ديني) عربي طُبع. ولمزيد من المعلومات عن المدعو بازا بوصفه أول من توفر على طباعة الكتب الشرقية انظر: تنتو Tinto في كتاب بعنوان: «موضوعات كتب الطب العربية» ص 19 - 22، مع بعض التصحيحات على فرفلييه وتناوله لطريقة غرانجون في الطباعة، ص 22 - 43.

(41) يظهر هذا في النشرة التي تركها لنا رايموندي ونشرها تنتو بعنوان: «الموضوعات الطبية عند العرب»، ص 94. وفي الفقرة نفسها نجد أن طباعة الكتب العربية في العلوم الإنسانية تُبرر على أساس أنها كفيلة بتعريف المسلمين بعلم الطباعة، وبهذه الطريقة يصبح العالم المسيحي أكثر قدرة على الوصول إلى عمق أهل العقيدة المحمدية، وفي ذلك فائدة كبيرة للعقيدة المسيحية.

(42) انظر: شنورر الرقم 318 بتاريخ 1590، فضلا عن شنورر (1591)، ثم انظر: فوك الهامش، ص 54، 118.

(43) انظر: سالتيني في كتابه «طباعة الكتب الشرقية». وهناك بعض المعلومات عن رايموندي ومطبعته فيما كتبه تنتو في كتاب «الموضوعات الطبية العربية»، والرسالة غير المنشورة التي كتبها جونز بعنوان: «الدراسات العربية والفارسية التي قام بها جيوفاني باتستا» (أغلبها مكرس لأعمال رايموندي عن قواعد النحو العربي).

(44) شنورر (1593)، الرقم 393؛ وأصبح العنوان الجديد هو «فقه اللغة العربية»، ص 75، وراجع ما كتبه سيراتو بعنوان: «العلم العربي في إيطاليا»، ص 686. وانظر تنتو: فيما كتب بعنوان: «أعلام الأطباء» ص 16، يعيد به إنتاج عنوان خارجي عربي لاتيني لا يعرفه شنورر.

(45) 1594: «مجلة فقه اللغات الشرقية»، الرقم 31، شنورر، الرقم 401 (صفحة العنوان وفق تنتو: «مطبعة مديتشي»، 57، وصفحة عنوان أخرى وفق غابرييلي سيراتو، «اللغة العربية في إيطاليا»، ص 672). وقد ذكر في العنوان أن النسخة تعود إلى الطوسي، مما أنكره صبرة، في «سمبلِسكس ودليله على أشباه بديهيات إقليدس»، ص 18، وانظر: «معجم أعلام العلوم»، 4، ص 440.

(46) «جغرافية النوبة»، (باريس، 1619، انظر الفصل الثالث من الباب الثاني في هذا الكتاب). لمزيد عن النسخة العربية الأصلية انظر: «مجلة فقه اللغات الشرقية»، الرقم 29، وهناك نسخة طبق الأصل حديثة لكتاب الشريف الإدريسي المعنون بـ : «كتاب نزهة المشتاق». ويبدو أن جون سلدن أول من أظهر أن العمل من تأليف الإدريسي، في كتابه عن «الزواج والطلاق عند اليهود» (1646)، وتبعه جون غريفز في تصديره لكتابه المعنون بـ «الوصف الجغرافي»، (1648)، انظر: الفصل الرابع في الباب الثالث في هذا الكتاب، والفصل الخامس في الباب السابع أيضا.

(47) موجود في كتاب رَسِلْ المعنون بـــ «اهتمام العرب بفلاسفة الطبيعة» ص 99، والأفضل أن نلتمسه في كتاب كميل أبو صوان الذي أشرنا إليه وعنوانه: «الكتاب ولبنان»، بند 133، ص 248.

(48) في سبعينيات القرن السابع عشر أو ثمانينياته رأى غالاند نسخة من كتاب ابن سينا من مطبعة ميدتشي في محل لبيع الكتب في القسطنطينية، وكان المالك يعرضها للبيع لزمن طويل من دون أن يتقدم أحد لشرائها، على رغم أنها كانت أرخص بكثير من مخطوطات هذا العمل، نقرأ ذلك في تصدير غالاند لما كتبه دربلو d'Herbelot في عمل بعنوان: «المكتبة الشرقية»، ص 21.

(49) بعض الأمثلة على مثل هذه الكتب التي طبعتها مطبعة ميدتشي جمعها جونز في كتاب بعنوان: «مطبعة ميدتشي للكتب الشرقية»، ص 92.

(50) لمزيد عن جهود رايموندي للحصول على مخطوطات من الشرق انظر جونز في كتاب بعنوان: «تَعَلُّم العربية»، ص 36 والصفحات التالية، وانظر: تنتو فيما كتب بعنوان: «مطبوعات ميدتشي»، الجزء الثامن، ص 93 - 94.

(51) لمزيد عن نعمة الله ومخطوطاته انظر: جونز في كتاب «تعلم العربية»، ص 42 والصفحات التالية.

(52) جيوفيانوزي، «أعمال أبولونيوس».

(53) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، العدد الرقم 32. وقد درس جونز هذا العمل بالتفصيل في كتاب لـه بعنوان: «الدراسات التي قام بها رايموندي للعربية والفارسية» ص 78 - 97، وبشيء من الاختصار في كتابـ : «تَعَلُّم العربية» ص 176 والصفحات

التي بعدها.

(54) جونز هو الذي ذكر في كتاب «تَعَلُّم العربية» ص 43، وفاة البطرق نعمة الله في العام 1595 الذي ساعد في مطبوعات المطبعة. الأهم من ذلك هو العقد الذي فرضه العاملون في مطبعة فرديناندو على رايموندي في العام 1596، والذي تحمل بموجبه مسؤوليات مالية متصلة بالمطبعة (سالتيني، 278 – 279).

(55) في العام 1772 كانت المكتبة تضم 810 نسخ من كتاب «القانون في الطب» لابن سينا، وألفا ومائة وتسعا وعشرين نسخة من كتاب الجغرافيا، وألفا وتسعمائة وسبعا وعشرين نسخة من كتاب إقليدس، سالتيني، الهامش 293.

(56) انظر: فرفلييه، «نماذج من مطبعة الفاتيكان»، (1628) في المقدمة ص 21 - 22، وص 12.

(57) عن هذه المطبعة بالذات انظر ما كتبه هنكل في «مجمع نشر الإيمان».

(58) في رسالة تُنسب إلى رايموندي كتبها في العام (1588) يصف فيها – بشيء من التفصيل – الصعوبات التي صادفها في الحصول على الكتب الشرقية.

(59) شنورر، الرقم 377، هذا المطبوع هو الأول، ويُظهر علم مراتشي الغزير بالعربية وآدابها، ولمزيد عن فضل بوكوك عليه انظر ما كتبه نالّينو: «المصادر العربية للمخطوطات لعمل لودفيجو مراتشي في القرآن».

(60) شنورر، ص 72.

(61) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 226.

(62) انظر: تومر، أبولونيوس ص 22 وهامش دوفردير في: «الكتاب ولبنان»، المقال 142، ص 252 – 253، على رغم أن عدم الدقة في التفاصيل يمنح إثارة للمعلومات. وأهم مناقشة كانت بقلم جيوفاني بعنوان: «نسخة بروليان لكتاب أبولونيوس».

(63) لمزيد عن هذا العمل المهم انظر: ما كتبه ليفي ديلا فيدا في كتاب «بحث في إنشاء أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان».

(64) عن استفادة الإنجليزيين جون غريفز وجون فيكرز من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان في ثلاثينيات القرن السابع عشر انظر الباب الثالث في هذا الكتاب.

(65) قام فرانسوا بمحاولة فاشلة لتأسيس مركز للدراسات العبرية والعربية في باريس في أوائل العام 1517، عندما استدعى أغوستينو جوستينياني لتدريس اللغات. ولكن هذا القس لم يستمر طويلا في نشاطه في فرنسا، ورحل عنها.

(66) لقد زادت الكتابات عن بوستل بدرجة كبيرة جدا في هذا القرن، ولكن قليلا منها لـه صلة بنشاطه في مجال اللغة العربية. ولمزيد من المعرفة عن حياته انظر: بوسما Bouwsma، في اتفاق العالم «Concordia Mundi» ص 1 - 29. وبالنسبة إلى دراساته في العربية انظر: كتاب فوك الذي أشرنا إليه ص 36 – 44. وانظر: سيكرت في كتاب: «غيوم بوستل والدراسات العربية في عصر النهضة»، وهو يضيف بعض معلومات مثيرة ولكنها ليست شاملة.

(67) أشرنا في السابق إلى ذلك، ونزيد بأن بوستل زار مصر خلال هذه الرحلة، انظر كتاب ليفي ديلا فيدا: «بحث في إنشاء أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان»، ص 309 الرقم 1. ووفق التسلسل الزمني لرحلات بوستل إلى الشرق يمكن الرجوع إلى ما كتبه فوغل بعنوان: «رحلات بوستل إلى الشرق».

(68) أو انظر: «ثيسيوس أمبروزيوس»: الذي أسهم في دراسة اللغة السريانية أكثر من دراسته للغة العربية، ولكن كتابه المعنون بـ «مقدمة في دراسة اللغات الكلدانية وعشر لغات أخرى» Introductio in Chaldaicam linguam... et decem alias linguas (بافيا، 1539، انظر: «مجلة فقه اللغات الشرقية» عدد 240 من أجل وصف تام مشروح في كتاب هاملتون المعنون بـ «الكنائس الشرقية في الدراسات الغربية، 237) نص مكتوب بالطريقة الكرشونية (نص عربي بحروف سريانية) وتحليل مختصر للنحو العربي (لمزيد عنه انظر جونز «تَعَلُّم العربية»، ص 153 - 155). كان أمبريوجو يمتلك النسخة الوحيدة المتبقية لطبعة البندقية للقرآن (انظر بداية هذا الفصل).

(69) انظر: ليفي ديلا فيدا في كتابه الذي ذكرناه آنفا «البحث»، ص290 والصفحات التالية، خصوصا الصفحات من 307 إلى 327 في مخطوطات بوستل.

(70) انظر: «مجلة فقه اللغات الشرقية»، العدد 241، وانظر: جونز في كتاب «تَعَلُّمْ العربية»، ص 149 - 153.

(71) شنورر الرقم 38. وهذا الكتاب بلا تاريخ، يعين له شنورر تاريخا بين العامين 1538 و1539؛ كلود بوستل، كتابات غيوم بوستل المنشورة في فرنسا، ص13 - 17 وربما حتى 1540.

(72) عند فوك (ص 40-41) نجد تحليلا موجزا؛ وأما المصادر النحوية العربية المحتملة فقد تمت مناقشتها من قبل جونز في «الدراسات التي أجراها رايموندي بالعربية والفارسية»، ص 88 - 93. انظر أيضا: كتابه الطويل المعنون بـ «تَعَلُّمْ العربية» ص 155 - 157. وقد حصل بوستل على نسخة من كتاب ليون الأفريقي المعنون بـ «النحو العربي» (ليفي ديلا فيدا، «البحث»، ص 311، 313)، ولكن ربما لم يحصل عليها إلا بعد أن نشر كتابه هو.

(73) شنورر، ص 41، في جونز «الدراسات التي قام بها رايموندي في العربية والفارسية» ص 48 والصفحات التالية، وكتاب «تَعَلُّمْ العربية» ص 169 - 172.

(74) كان يكثر الحديث عن ذلك في أواخر كتاب من تأليف ماكس لوسون بعنوان «رسائل من أندرياس ماسيوس» Briefe von Andreas Masius في العام 1565، ص 202.

(75) راموزيو، المجلد 2 انظر: التصدير صحيفة 4 يمين، مطبوع في البندقية، 7 يوليو 1553. وفي الصفحة 18 كتب قائمة بخطوط الطول وخطوط العرض التي أخذها من أبي الفداء.

(76) انظر: ليفي ديلا فيدا، «البحث»، ص 314، ومخطوطة أبي الفداء التي اكتشفها بوستل موجودة في الرقم 266 حسب المرجع السابق، ص 294 - 295.

(77) نسخة شيكارد وترجمته الجزئية لكتاب «الجغرافيا» مخطوطة قابعة الآن في قسم المخطوطات العربية في باريس تحت الرقم 2242، انظر: أولمان «الدراسات العربية والتركية والفارسية»، ص121 - 126، وانظر: أوهيم Oehme «الجغرافيا والخرائط»، ص 364 - 373 للحصول على تحليل جيد.

(78) انظر: قائمة من الأساتذة في الكلية الملكية مطبوعة في كتاب لوفرانك المعنون بـ «تاريخ الكوليج دي فرانس»، ص 381، والصفحات التالية، وهي قائمة لم تكتمل على أي حال وتفتقر إلى الدقة، خصوصا في الفترة الباكرة.

(79) لمزيد من المعلومات حول حياته العملية انظر كتاب دي كاستريز: «مصادر غير منشورة في تاريخ المغرب»، دار الوثائق القومية الفرنسية، المجلد الثالث، المقدمة، ص 21-13.

(80) المرجع السابق، ص22 - 27.

(81) من أكثر الروايات إثارة في هذا الصدد رواية أحمد بن قاسم الحجري (ونذكره في الحديث عن البلاد المنخفضة لاحقا) فيما يتصل بلقائه بـ «هيوبرت» في باريس في العام 1611، وهو ما ترجمه جونز من العربية بعنوان: «تَعَلُّمْ العربية» ص 108، وكان أحمد قد قابل هيوبرت في مراكش في وقت مبكر (انظر ويغرز: «أحمد بن قاسم الأندلسي»، ص 40)، ويُظن أن ما ذكره أحمد من أن هيوبرت مكث في مراكش سنوات طويلة يقوم على سوء فهم.

(82) ذكر ذلك دوفردييه في مقال بعنوان: «المطبوعات الشرقية في أوروبا ولبنان»، 165، وانظر أيضا: جونز في كتاب: «تَعَلُّمْ العربية»، ص 33 - 34.

(83) نجد مثالا على ذلك في رسالة لـه من لندن في 22 سبتمبر 1612، «رسائل كاسوبون»، الرقم 831، ص 485، والتي يحث فيها هيوبرت ولوبيه على التعاون في نشر تشجيع الدراسات الدينية.

(84) درس مع ماثياس باسور لفترة قصيرة (انظر: الجزء الثامن من الفصل الثالث في هذا الكتاب)، ولكني لم أجد شيئا آخر يتصل بأنشطته التعليمية. وفي رسالة إلى رافيوس للعام 1647 (رافيوس، خمس عشرة رسالة، ص 18)، يعتذر الصهيوني في المحاضرة التي ألقاها في الكلية الملكية عن عمله في ترجمة الإنجيل إلى أكثر من لغة.

(85) كان العمل الذي قام به جبرائيل وزميله أكثر دقة بكثير، وكان من الضروري الاهتمام بالكتب (المقتبس ورد في كتاب دوفردييه): «الطبعات الشرقية في أوروبا»، مثال على ذلك بيريسك في مراسلات دوبي، ج 1، 599 (المرحوم يوحنا الحصروني).

(86) نجد له شرحا في كتاب: «أوروبا والعالم العربي»، ص 64 - 65.

(87) توجد عينة من الطباعة العربية التي جلبها لو بيه في العام 1599 في كتاب أبو صوان المعنون بـ «الكتاب ولبنان» تحت الرقم 93، انظر ص 222 - 223.

(88) من إربنيوس إلى كاسوبون، «الرسائل»، الرقم 662، ص 345.

(89) لمزيد من المعلومات حول تاريخ حروف الطباعة العربية التي استخدمها لو بيه انظر: شنورر ص 506 - 512. وعن الكتب التي طُبعت بها والمذكورة هنا انظر إضافة إلى ذلك «مجلة فقه اللغات الشرقية»، العددين 287 و 345.

(90) لمزيد من المعلومات حول سافاري ومطبعته العربية انظر مقالات دوفردييه، «المطبوعات الشرقية في أوروبا ولبنان»، ص 159 - 178، و«سافاري دي بريف وإبراهيم متفرقة» Savary de Brèves et Ibrahim Müteferrika.

(91) من المؤكد أن هذه الحروف تم تصميمها في إيطاليا، ولكن لا يُعرف صاحبها، ويُقال إن البطرق الماروني أرسلها من لبنان إلى روما، وهي التي طُبعت بها المزامير.

(92) «الكتاب ولبنان»، المقالان الرقم 61، والرقم 66، ص 199 - 200، على التوالي.

(93) باولينو (ستيفانو بولونس) كان يعمل لدى رايموندي في المطبعة الميدتشية، وبعد أن قام بتعليم الفرنسي جيروم بلاجير فن الطباعة الشرقي، عاد إلى روما حيث عمل في مطبعة نشر المعرفة، انظر: «الكتاب ولبنان»، ص 192.

(94) انظر: رسالته إلى «دو تو» de Thou في السابع والعشرين من نوفمبر 1611 ووردت فيما كتبه دوفردييه في «المطبوعات الشرقية»، ص 164.

(95) في العام 1615، «الكتاب ولبنان»، مقال 101، ص 226.

(96) المرجع السابق، مقال 76، ص 202 - 203.

(97) استُخدمت الحروف السريانية في نسخة المزامير السريانية التي أعدها الصهيوني (باريس، 1625)، انظر ستروثمان: «أفول الدراسات السريانية في أوروبا»، مجلة تافيلن، العددين 6 - 7.

(98) وعلى رغم أن ذلك كان كافيا نظرا إلى ندرة الطباعة العربية في إنجلترا والمطالبة بتوفيرها، فلم أستطع العثور على الدليل من المصادر الإنجليزية.

(99) للمزيد حول ذلك وفيما يتصل بالأحداث التي جرت، انظر: ما كتبه برنارد أنتوان فتريه Antoine Vitré و«الكتاب ولبنان»، خاصة في المقالات: 102، 108، 109، والصفحات من 265 إلى 271.

(100) عاد الحصروني إلى لبنان في العام 1621 ومات هناك في العام 1626، ولكن العمل على الانتهاء من الكتاب المقدس متعدد اللغات لم يتوقف سنوات متعددة قبل دفعه إلى المطبعة.

(101) انظر موجزا للوثائق في كتاب : «الكتاب ولبنان»، المقالات من 126 إلى 129، ص 242 - 243.

(102) انظر مقاله في تاريخ أصل الحروف الطباعية باللغات الشرقية في المطبعة الملكية، وكان قد طبعه فيتراي في العام 1632، بيد أن معجمه المعنون بـ : «المعجم اللاتيني العربي» لم يُنشر قط.

(103) راجع معجمه الغريب المعنون بـ «معجم لاتيني عربي» (انظر: «الكتاب ولبنان»، المقال الرقم 76).

(104) الرسالة التي أرسلها شاستينير إلى كرستيانوس رافيوس فيها صورة شائقة للدائرة الصغيرة لأغلب المستعربين الهواة في باريس في العام 1648.

(105) انظر: «أوروبا والعالم العربي»، ص 96 - 98.

(106) انظر: الفصل السابع من هذا الكتاب.

(107) باريس في العام 1657، انظر: فوك، 73 الهامش 193، وفيما يتصل بـطبعة إربنيوس انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(108) باريس في العام 1658 والعام 1660 على التوالي. وفيما يتصل بالترجمات التي نشرها واقترحها انظر: ميشو، «جغرافية العالم»، ج: 42، ص 705 - 706.

(109) روى القصة دوفردييه فيما كتب بعنوان: «المطبوعات الشرقية»، ص 267 - 268.

(110) وقد شهد ذلك الضوء في لندن العام 1663، الطبعة الثالثة، لايدن، 1692.

(111) انظر: فوك، 84 - 85، انظر هاملتون في كتابه: «وليام بدوِل»، ص 52 مع الهامش الرقم 123، فيما يتصل بزيارة بوشار إلى إنجلترا في العام 1623.

(112) ماكلفلن «رسالة مالكِزدِك تيفينو»، وكتابات أخرى في الرقم 3 في ص 126.

(113) انظر: تويلز، «حياة بوكوك»، ص 255 - 256.

(114) في قاموسه متعدد اللغات وبترجمة فارسية (أمستردام 1684)، يصف جوزيف أنجيلوس المحاولات الفاشلة في طباعة العمل في باريس في العام 1680، انظر: مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 345.

(115) «حياة هربلو» لكوزان، المكتبة الشرقية، مقدمة، 22-23. وهذا دليل آخر على أن حروف الطباعة العربية التي كان يحتفظ بها دي بريف قد اختفت بالفعل في ذلك الوقت.

(116) للمزيد حول هذا الموضوع انظر: «الكتاب ولبنان»، المقال الرقم 79، ص 209 - 211.

(117) لدينا وصف مفصل لهذه الرحلات فيما كتبه أومونت Omont بعنوان: «مهام أثرية فرنسية في الشرق»، المجلد الرقم 1، وللمزيد حول وانزلِبن بصفة خاصة انظر: ص 54 - 174.

(118) انظر: بيرس في: «مراسلات دوبي»، ج: 2، ص 168، أغسطس 1629.

(119) انظر: المرجع السابق، ج: 3، ص 285، مارس 1635، وقد تطوع جولمِين بخدماته كمترجم، ولكن بيرس رفض أن يعطي كتابه لمنافس لـه في جمع المخطوطات خشية ألا يعيده.

(120) مثال سالمازيوس في رسائله ص 73 (نوفمبر 1631)؛ وكان سالمازيوس ينتظر على أحر من الجمر النسخة القبطية من العهد القديم في نسخة عربية غير مطبوعة من بيرس.

(121) انظر على سبيل المثال ما كتبه بيرس في: «مراسلات دوبي»، ج: 3. 614 (2 ديسمبر. 1636)، أو سالمازيوس في: الرسائل، 185: في رسالة إلى فبْ في العام 1636 يخبر سالمازيوس جوليوس - حسبما ذكر بيرس - بأن أخاه قد أحرز تقدما كبيرا في مجال اللسانيات الشرقية. وللمزيد عن بورتيوس كوليوس انظر: الفصل الرابع في هذا الكتاب.

(122) دلايل Delisle ، يظل «مخزن المخطوطات» العمل الرئيس الذي أسهم في نمو هذه المكتبة في ذلك الوقت، ولكنه لا يكفي فيما يتصل بمجموعات المخطوطات الشرقية.

(123) للمزيد عن دربلو d'Herbelot وعمله الموسوعي انظر: فوك، ص 98 - 100.

(124) توجد مخطوطات في هذا الشأن في المكتبة الملكية ومكتبة كولبرت أيضا. ويدرج جالاند مصادر دربلو d'Herbelot في ص 11 في تصديره لكتاب «المكتبة الشرقية».

(125) وهو عمل لم يُنجز قط، ولكن هوامشه أُدرجت في الطبعة الفرنسية المنشورة في نسخة لاهاي والنسخة الألمانية المنشورة في مدينة هالهHalle ، انظر: هربلو (رايسكه).

(126) انظر كتاب لويد جونز، «اكتشاف اللغة العبرية»، خصوصا الفصلين الثاني والثالث.

(127) كان هذا الموقف يختلف فيما يتصل باللغة العبرية في ألمانيا، حيث كان حضور اليهود من المصادر التي كانت نادرة فيما يتصل باللغة العربية.

(128) انظر: رسائل شيكارد المثيرة للتعاطف إلى جون بِنبردغ يخبره فيها كيف كان يضطر إلى إخفاء ترجمته لعمل أبي الفداء عن جنود الإمبراطورية الذين راحوا ينهبون مدينة فرتنبورغ في العام 1634، ما ورد فيما كتب أوهيم Oehme في كتابه: «الجغرافيا ورسم الخرائط»، 374 في الهامش، 213.

(129) انظر: فوك: 57- 59، في مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الأعداد من 110 إلى 113. ولمزيد حول ما نشره في النحو العربي، انظر: ما كتبه جونز في كتابه «تعليم العربية»، ص 182 - 183، وهو كتاب ضعيف.

(130) يبدو أن آخر ما صدر عن مطبعته العربية هو جزء من كتاب ميجيسر Megiser في قواعد نحو اللغة التركية (برسلو، 1613)، انظر: «مجلة فقه اللغات الشرقية» العدد الرقم 346، تجد عينة من حروف الطباعة العربية.

(131) انظر هاملتون: «وليام بدويل»، ص 51، بين 104 - 115 تجد نسخة من الرسالة.

(132) ليفي ديلا فيدا وكتابه: «البحث»، ص 327 – 333، وفيه بعض الأمثلة على أولئك الذين استفادوا من مخطوطات بالاتين الشرقية، انظر: المصدر السابق، ص 290 والصفحات التالية من أجل مناقشة أساسية فيما يتصل بالمخطوطات العربية في هذه المجموعة وتاريخها فيما بعد.

(133) انظر: الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(134) انظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(135) انظر: المرجع السابق.

(136) جوني بول، ص 209 – 210.

(137) انظر: فوك، ص 91 - 92 لمزيد من التفاصيل. وقد شن إبراهيم الحقلاني هجوما طويلا على كتاب هوتنغر المعنون بـ: «تاريخ الشرق»؛ بسبب جهل مؤلفه باللغة العربية وآدابها، وذلك في كتاب لـه بعنوان «في الدفاع عن يوتيكيوس»: Eutychius Vindicatus، ص 76 والفصل 28 وما يليه من فصول.

(138) منشور في ليون في العام 1578: انظر شنورر ص 20. في العام 1592 أصبح جونيوس أستاذا للاهوت في لايدن، حيث أقرض كتبا عربية ومخطوطات لـ: رافيلنغيوس.

(139) شنورر، الرقم 317، «فقه اللغة العربية»، ص 104. وحول النحو انظر: جونز، «تَعَلُّمْ العربية»، ص 163 – 166.

(140) فوك، ص 45 – 46.

(141) شنورر، الرقم 39 في: «فقه اللغة العربية»، 101، جونز «تَعَلُّمْ العربية»، ص 161 – 166.

(142) مجلة «فقه اللغات الشرقية» الرقم 100.

(143) منقول في كتاب جونز: «تَعَلُّمْ العربية»، ص الهامش 225، ص 50.

(144) كان أول ظهور للحروف العربية في كتاب مطبوع في ألمانيا عبارة عن حروف خشبية عربية ظهرت في كتاب بيرنارد فون برايدنباخ بعنوان: «رحلة إلى الأراضي المقدسة» Peregrinatio in terram Sanctam (مينز، 1486، انظر: ديفيز، ببليوغرافيا بيرنارد فون برايدنباخ Bernhard von Breydenbach Bibliography، هذه الأبجدية أُعيد إنتاجها فيما كتب ديفز ص 39، في مجلة «فقه اللغات الشرقية»، ص 257، و«فقه اللغة العربية»، ص 17.

(145) انظر: مجلة «فقه اللغات الشرقية»، ص 101.

(146) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 358، مع شرح للحروف في ص 322. وانظر شنورر، الرقم 74.

(147) وأما الحروف العربية القديمة التي استخدمها شيكارد نفسه فقد ظهرت في العام 1623.

(148) في شأن رادمًان وأستاذه في العربية، وكان أسيرا تركيًا عُمِّد من قبل بول وليتش، انظر: جونز، «في تَعَلّم العربية»، ص72، 74 وقد حُلل كتاب النحو الذي ألفه رادمًان في المرجع السابق، ص 167 – 169.

(149) انظر: مولر في كتابه «يوهان ألبرشت فدمان شتيتر»، وهو مرجع شامل في أعمال ألبرشت، وحول دراساته الشرقية انظر أيضا: «الكتاب ولبنان»، المقال الرقم 55، ص 189 وفيما يتعلق بتاريخ نشر الأناجيل السريانية انظر: المرجع السابق، ص 122 – 134، انظر: أيضا سترومًان، «أفول الدراسات السريانية في أوروبا»، ص 9 – 16.

(150) مولر، «جوهان ألبرشت مقابل فدمان شتينز»، 48، ص 76 – 78.

(151) أنتركيرشر Unterkirche، «سيباستيان تنغناغل»، وفيه بعض وصف لحياته، ولكن هذا الوصف لا يفيد في دراسة علومه الشرقية، لأنها تركز على نشاطه في المكتبة الإمبراطورية.

(152) رسالة إلى بيريسك في 21 يونيو 1630، هولستن، رسائل، ص 187.

(153) جونز، «تعلم العربية»، ص 38 – 39.

(154) المرجع السابق، ص 74 – 75.

(155) هولستن، «الرسائل»، ص 187.

(156) الرسائل القليلة المتبقية من كِبلر إلى تنغناغل نشرها كبلر في: الأعمال الكاملة، السفر 17 والسفر 18 (انظر خاصة: رسالة 1620، سفر 17 رقم 873، وفيه يتحدث معه كبلر عن محتوى كتاب عربي). وهناك عدد من رسائل تنغناغل في فيينا تتصل بالمخطوطات الشرقية اقتبس منها جونز، في كتاب «تعلم العربية».

(157) فيما يتصل بمننسكي، وفي الأصل هو فرانسوا مسينين، فرنسي من اللورين، انظر: بارانونسكي، «ف. مسينين - مننسكي»: فوك، 93 - 94.

(158) كما يظهر من رسائله إلى عدد من العلماء والدارسين، وربما كان بعضها من نسج الخيال، فإن أول هذه الرسائل رسالة مفتوحة يخاطب فيها ناشري الإمبراطورية الرومانية المقدسة، يحثهم على أن يتبنوا نشر سبعين على الأقل من أعماله.

(159) أوغسبرغ في العامين 1674 و1676 على التوالي: انظر شنورر، الرقم 395، مع تفاصيل حول مهنته تشتمل على دراساته مع أحد النابهين من مدينة حلب في إيطاليا، وص 465؛ سيرايسي، «ابن سينا في النهضة الإيطالية»، ص 127، 155.

(160) حول هذا الموضوع انظر: «الكتاب ولبنان»، ص 135 - 143، ومناقشة لتصدير هنكلمان يقوم بها جان أوكاني، وعنوان الغلاف هو: «أوروبا والعالم العربي»، ص 103.

(161) لمعرفة شيء عن حياته انظر: شوفان وروِرش، «درس في حياة نِكولاس كلينارد وأعماله»، خصوصا في الصفحات من: 118 - 128، التي تتناول دراساته العربية، ونجد أيضا نبذة مختصرة فيما كتبه جنبول، ص 18 - 19.

(162) دافعه المعلن لتعلم العربية - كدافع بوستل - هو العمل على هداية المسلمين إلى دين المسيح، وكان ينوي تأسيس مؤسسة علمية في لوفان لهذا الغرض، انظر: شوفان Chauvin وروِرش Roersch في كتابـ : «نِكولاس كلينارد»، ص 133.

(163) انظر ما كتبه جونز تحت عنوان: «الدراسات العربية والفارسية التي قام بها جيوفان باتستا رايموندي»، ص 66 - 67.

(164) انظر بتايون: «العرب وسالامانكا» ص 12 - 13، كليناردس، «المراسلات»، الرقم 47، ص 152.

(165) رسالة إلى لاتموس من فاس، 9 أبريل 1541، كليناردس، «المراسلات»، الرقم 54، ص 172.

(166) تعود شهرته كعالم لغة إلى كتبه في نحو اليونانية واللاتينية والعبرية.

(167) هناك طبعة حديثة عن رورش Roersch (كلينارد، المراسلات).

(168) هناك نبذة عن حياة مازيوس في كتاب بقلم لوسون في الصفحات من 16 إلى 20 بعنوان: «مختصر حياة أندرياس مازيوس». وعلى رغم وجود إشارات إلى الدراسات العربية في تلك الرسائل، فإن مازيوس كان مهتما بالسريانية في المقام الأول (انظر ستروثمان: «أفول الدراسات السريانية في أوروبا»، ص 12 - 13، وص 50 - 53)، وفي العام 1554 اعترف لبوستل بأنه مهتم بالعربية (لوسون، ص 161).

(169) جنبول بول، ص 36 - 45.

(170) لقد تلقى العدد القليل جدا من المستعربين الآتين من الأراضي المنخفضة الإسبانية في القرن السابع عشر تعليمهم العربي في أماكن أخرى (في إيطاليا وهولندا على التوالي) وكان منهم: بطرس يوليوس (الابن الأصغر لـيعقوب يوليوس)، وفوبسكس فورتناتوس بلمبيوس (الذي نشر ترجمة لجزء من كتاب «القانون في الطب» لابن سينا في لوفان في العام 1658، انظر: جنبول، ص 188، وسيراسي في «ابن سينا»، ص 154 - 366.

(171) شنورر الرقم 44، وأُنتجت العينة في كتاب «فقه اللغة العربية»، 128. وأفضل من وصف ذلك وأوضحه فرفلييه في كتاب بعنوان: «حروف الطباعة في القرن السادس عشر في بلاد الأراضي المنخفضة»، ص 315 - 317.

(172) يمكن فهم غرابة ما طبعه رافيلنغيوس من نصوص عربية في وسط نص لاتيني مطبوع بحروف عادية في تدمير المسافات بين الأسطر في ص 39 من الهوامش في طبعة العام 1600 من كتاب اسكاليجيه المعنون بـ مانيليوس، أو في ص 237 من كتاب سبنسر المعنون بـ «قوانين العبرانيين» De Legibus Hebraeorum 1683، ويدور حول موضوع مقارنة الأديان، وهو آخر كتاب استُخدمت فيه هذه الحروف. وتظهر الحروف المضطربة حتى في معجم رافيلنغيوس نفسه (انظر عينة من صفحة منه تجدها في مجلة فقه اللغة العربية، 132).

(173) لمعرفة مزيد من الكتب التي استُخدمت فيها هذه الحروف انظر: هاملتون، «ضحايا التقدم»، 97. ولمزيد من معرفة التاريخ المتأخر للحروف الطباعية انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(174) فيما يتعلق بمصادر المعجم وتاريخه انظر المعجم العربي اللاتيني الذي ألفه هاملتون بعنوان «قاموس المبتدئين Nam Tirones Sumu».

(175) في كتاب غرافتون عن اسكاليجيه بعض المعلومات القليلة عن دراساته العربية. أما عن إرشادات اسكاليجيه عن الطريقة المثلى لتعَلُّم العربية فقد شرحها هاملتون في كتابه المعنون بـ : «وليام بدوِل»، ص 83 - 85.

(176) وكانت لذلك صلة بالاعتقاد أن العبرية هي اللغة الأصلية للبشر (ولغة الله أيضا)، والتي تفرعت منها جميع لغات البشر بعد ما يُسمى بـ «فوضى الألسنة confusion of tongues» عند تدمير برج بابل. وهذه النظرية، التي كانت مقبولة في أوائل العصور الحديثة (انظر كتاب بنفي المعنون بـ «تاريخ اللغويات»، ص 224 وما يليها بـ : Benfey, Geschichte der Sprachwissenschaft) ، على رغم الشكوك التي تثار بين الحين والحين من قبل فلاسفة مثل ليبنتز وآخرين، كانت من ضمن العقبات التي حالت دون تطور فقه اللغة المقارن حتى القرن التاسع عشر.

(177) في أعمال نُشرت في حياته، تتجاوز بقليل التقويمات في كتابه المعنون بـ : «في تقويم التقويم De emendatione temporum دراسة في تصحيح الأزمان والتواريخ» وأسماء النجوم بالعربية. ولمزيد عن مراسلاته مع البطرق إغناطيوس نعمة الله حول قضايا التقويم، انظر غرافتون في كتابه عن اسكاليجيه، ص 108 - 107 ،ii، و211 - 213، وخصوصا: ليفي ديلا فيدا في كتاب : Documenti، ص 22 - 24، مع المقتطف العربي من رسالة نعمة الله في كتاب : «دراسة في تصحيح الأزمان والتاريخ» المشار إليه (ص 246 في باريس في طبعة العام 1583).

(178) يظل وجود سيرة لحياة إربنيوس تغطي جميع مراحل حياته من الأهداف المبتغاة. ونجد في كتاب «الخطاب الجنائزي» الذي ألفه فوشيوس العام 1625 معلومات قيمة لكنها قليلة. ويخصص جنبول Juynboll شطرا كبيرا ص 59 - 118 من كتاب بعنوان: «دارسو اللغة العربية وممارسوها في القرن السابع عشر في الأراضي المنخفضة Zeventiende-eeu-wsche Beoefenaars van het Arabisch in Nederland، لحياة إربنيوس المهنية، بيد أن هذه المعلومات مبنية على مواد مطبوعة بالأساس، وليست كافية في هذا الجانب خاصة. وقد ظهرت بعض الكتب التي تستفيض في هذا الموضوع وتصحح بعض الملاحظات الخاطئة.

(179) كانت لإربنيوس علاقة أسرية مع إنجلترا؛ فقد تزوجت أخته ماريا من دانيال فان هازفلت من شمامسة الكنيسة الهولندية في إنجلترا، ولكنه أيضا استطاع أن يعقد علاقات وثيقة بالعلماء هناك. فقد زار إنجلترا على الأقل خمس مرات.

(180) تذكر إربنيوس تاريخ 17 ديسمبر 1608 عندما كتب مقدمة لما سيصبح من أهم أعمال حياته، وبعد ذلك باثني عشر عاما سجلها في التصدير لكتاب بعنوان: «الخطب» (جنبول، ص 63، 1).

(181) وقد اعترف إربنيوس بامتنان بهذا التشجيع في إهدائه في الطبعة الثانية من كتاب «الأمثال العربية» (لايدن 1623): جنبول، ص 64، هامش 3. كان كاسوبون من أكثر المهتمين بالعربية، وقد توفر على جمع الكتب والمخطوطات العربية وطبعها، بيد أن معرفته بالعربية لم تتقدم كثيرا كما يقر في رسالة لـه إلى إربنيوس في فبراير من العام 1610، (رسائل كوسوبون، ص 341 – 342). وفيما بعد نرى إربنيوس ينصح كاسوبون بتحسين معرفته بالعربية، وعرض عليه المساعدة في ذلك (انظر: المصدر السابق، أبريل 1610).

(182) انظر: كتاب مارتن تيودور هوتسما المعنون بـ «المراسلات الشرقية Houtsma, Uit de Oostersche Corre-spondentie»، ص 6- 12.

(183) انظر: كاسوبون، «الرسائل»، الرقم 662، 1 أبريل 1610، ولم يُنشر كتابه في النحو إلا في العام 1613 في لايدن.

(184) لمزيد من المعلومات عن هذا الرجل الموريسكي المثير الذي هاجر من إسبانيا إلى مراكش، ومكث في فرنسا عند بعض المتعاطفين الذين عانوا في أثناء عمليات الطرد التي جرت في العام 1609، انظر كتاب ويجرز: «أحمد بن قاسم الأندلسي»، وكتاب جونز: «تَعَلُّم العربية»، ص 98 - 120، مستفيدا من السيرة الذاتية التي كتبها أحمد نفسه.

(185) جونز، المصدر السابق، ص 116 - 119 وص 300، وهاملتون (وليام بدول، ص 32 - 33، وص 135 هامش 7)، يفترض مخطئا أن الرسالة أرسلت إلى بدوِل.

(186) انظر: كتاب ليفي ديلا فيدا Levi della Vida، المعنون بـ «Ricerche» أو «بحث» في إنشاء أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان» ص 334. وتقبع نسخة إربنيوس من كتاب أبي الفداء الآن في جامعة كيمبردج مع مخطوطاته الأخرى (CUL.Dd.1.2.). ولمخطوطة كتاب «تاريخ الأماكن» تاريخ مدهش؛ فقد كانت لاتزال في حوزة إربنيوس عندما نُقلت مكتبة بالاتين إلى روما، ولا شك في أنه شعر بأنه لا يرغب في وضعها في أيدي البابوات، وخصوصا منذ تبرع بمبلغ كبير من المال كتأمين لها (المرجع السابق، 296). وقد استعار غوليوس المخطوطة ليستكمل طبعة إربنيوس التي نُشرت بعد وفاته لتاريخ الأماكن، ونسي أن يعيدها إلى أرملة إربنيوس. وانتهى بها الأمر إلى البيع مع أغلب مخطوطات غوليوس العربية، اشتراها نارسس مارش في العام 1696، ومن ثم وصلت إلى مكتبة البودليان في العام 1714، (مخطوطة مارش الرقم 309).

(187) انظر جنبول، Juynboll ص 52. والحق أني أجد نفسي مضطربا عند مقارنة هذه المعلومات بالمعلومات التي نقرأها في كتاب آدلر بعنوان: «يهود إنجلترا في العصور الوسطى»، ص 334 - 336 والتي تقول إن فيليبوس كان في منزل الصابئة Conversorum Domus في لندن في العام 1599، ومات هناك في العام 1600.

[«منزل الصابئة» عبارة عن مبنى أو مؤسسة في لندن أُعِدّ لليهود الذين تحولوا إلى الدين المسيحي، وصودرت أملاكهم، بناه هنري الثالث في العام 1253 بعد أن طرد إدوارد الأول اليهود في العام 1290، وكان ذلك هو السبيل الوحيد أمام اليهود للبقاء في البلاد. أصبح مكانه دار الوثائق القومية اليوم (المترجم عن موسوعة ويكيبيديا الحرة».

http://en.wikipedia. org/wiki/Domus_Conversorum.

(188) انظر: شنورر Schnurrer المقال الرقم 321. وعن هذا المطبوع، الذي يخلط بين أنتونيدس وأبي دقن وبدوِل، انظر الفصل الثالث في هذا الكتاب.

(189) انظر «Wijnman, "De Hebraicus Jan Theunisz» والذي يجادل بأن استبدال إربنيوس بأنتونيدس إنما كان يعود إلى تحيز طبقي، وإلى العلاقات القوية التي تربط بين إربنيوس وأصحاب النفوذ. وربما كان ذلك صحيحا، ولكن لا يوجد أدنى شك في أن إربنيوس كان عالما متفوقا كواحد من كبار المستعربين. انظر كتاب جونز: «تعَلُّم العربية» ,Jones "Learning Arabic"، ص 197 - 205.

(190) مجلة «فقه اللغات الشرقية» PO العدد الرقم 68، ونجدها مشروحة أيضا في مجلة «فقه اللغة العربية» -Philo logia Arabica العدد الرقم 144. ولدينا تحليل معتبر للكتاب في كتاب جونز المعنون بـ «تَعَلُّم العربية» Learning Arabic ص 197 - 205.

(191) شنورر الرقم 55، مجلة «فقه اللغات الشرقية»، العدد 88. وتشمل هذه الطبعة سورة «التغابن» في القرآن، وترجمة لها إلى اللغة اللاتينية، وبعض الهوامش التفسيرية.

(192) شنورر، الرقم 81.

(193) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، العدد الرقم 267، ووردت بوضوح في مجلة «فقه اللغة العربية»، العدد الرقم 146.

(194) شنورر الرقم 219، ومذكور في «فقه اللغة العربية» في ص 152.

(195) مجلة «فقه اللغات الشرقية» الرقم 89، وأكثر وضوحا في مجلة «فقه اللغة العربية»، 152. وهذا من الأمثلة المثيرة للاهتمام على أساليب إربنيوس التعليمية؛ وهي أساليب لا تتضمن ترجماته اللاتينية التي تتخلل السطور الإنجليزية والعربية، ولكن أيضا النسخة التي نشرها ببلياندر (للإشارة إلى عدم كفايتها).

(196) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، العدد الرقم 79 والعدد الرقم 86.

(197) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، أعداد: 83، 84، 85.

(198) هاملتون، «ضحايا التقدم»، ص 102.

(199) وهو يسهب في شرح آرائه المتصلة بالطريقة المثلى لتعَلُّم العربية في مجلة «الخطابة باللغة العربية» Oratio II de lingua arabica، مما لخصه جنبول، ص 98 - 100، وعن أهمية تزويد الطلاب بالكتب المطبوعة في اللغة التي كُتب بها الخطاب إلى أمناء مكتبة لايدن في العام 1620 (المرجع السابق، 79 - 80).

(200) لمزيد عن خططه التي لم يتمكن من تنفيذها بما في ذلك الطبعات التي كان ينوي إنجازها للعهد القديم كاملا باللغة العربية، وكتاب الجغرافيا الذي ألفه أبو الفداء، وديوان المتنبي، انظر: جنبول ص 92 - 93، و ص 107 - 111، ومستمد كله من كتاب فوشيوس المعنون بـ : «خطاب تأبين»، ص 88.

(201) باريس (فيتراي، 1638)، انظر: «الكتاب ولبنان»، الرقم 68، ص 200 - 2001. كان المشرف هو جبرائيل الصهيوني Gabriel Sionita، الذي ترك كتابه المعنون بـ «نحو العربية من تأليف الموارنة»، مفضلا عليه المدخل الذي ألفه إربنيوس للنحو العربي.

(202) القصة الغريبة يرويها كورنلسن في مقاله عن توماس إربنيوس.

(203) لمزيد من المعلومات عن شراء دوق بكنغهام للمخطوطات وانتقالها في النهاية إلى كِيمبردج، (انظر الجزء السابع من الفصل الثالث من هذا الكتاب).

(204) بذل يوليوس جهدا كبيرا، وهو جهد يتجاوز اللغة العربية إلى بعض اللغات الشرقية الأخرى بما في ذلك الصينية، وإلى علوم أخرى كالرياضيات والجغرافيا، وهو جهد لم يلق ما يستحقه من الدرس والتنويه؛ غير أن دراسة هذا الجهد الذي قام به يوليوس يُلتمس في مراسلاته العربية التي تُحفظ تحت الرقم 1228 مخطوطة أصلية في لايدن. وقد نشر أجزاء منها في الفهرست ص 4-10، وتحت عنوان: «هوتسما، المراسلات الشرقية». ويمكن أن نستخلص من خطاب غرونوفيوس في تأبين يوليوس شيئا عن حياة يوليوس، اعتمد عليها جنبول في الفصل الذي أداره عليه (119 - 183). ويمكن أن نجد في مقال ويتكام المعنون بـ : «ياكُب يوليوس والمخطوطات Jacobus Golius en zijn Handschriften».

(205) انظر: ويغرز Wiegers ص 64 - 68، وهناك معلومات كثيرة عن إقامة يوليوس في المغرب فيما كتبه كاستريز بعنوان: «مصادر معلومات عن تاريخ مراكش»، دار الوثائق القومية، المجلد الرقم 3، أو 268.

(206) وقد زاد هذا المبلغ ليصبح 3,195 جنيها كما ذكر وتكام في كتابه ص 55 - 56.

(207) انظر: الفهرست الذي أعده يوليوس.

(208) انظر: لوسياس باريتس أو: ألبير كِرتس في طبعة العام 1666 من كتاب «تاريخ النجوم Historia Coelestis» خصوصا: التصدير ص 34 وفي ملاحظات المخطوطة التي كان يحتفظ بها شيكارد. ولمزيد عن الموضوعات العربية التي وضعها يوليوس بين يدي شيكارد انظر: كتاب أولمان بعنوان: «العربية والتركية والفارسية للطلاب Arabische, türkische und persische Studien»، ص 123.

(209) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

(210) لمزيد من ذلك انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب، وقد استُخدمت القصيدة لأغراض تعليمية من قبل المسلمين المعاصرين.

(211) انظر: شنورر الرقم 166. ولمزيد عن خطة يوليوس التي لم تتم لإنتاج ترجمة وتعليق على هذا انظر: جنبول، ص 150 - 151.

(212) انظر: قائمة المراجع التي أعدها يوليوس في معجمه لمزيد من التفاصيل، وانظر: جنبول ص 152 - 157 لشرح شامل للعمل. وقد كان إربِنيوس ينوي إنتاج شيء أشبه بذلك، وطبع بالفعل عينة من ثلاث أوراق تبين أنه هو نفسه كان ينوي الاستفادة من قاموس الجواهري، انظر: الخطاب الجنائزي لـ فوشيوس، ص 88 والصفحة التالية، وانظر: التصدير الذي كتبه يوليوس.

(213) انظر: هيوود Haywood، «صناعة المعاجم العربية» وهو كتاب يعطي القارئ إطلالة سريعة على التراث العربي في مجال المعاجم، لكنه قليل الفائدة عموما بالنسبة إلى ما كان ينشره يوليوس والأوروبيون الآخرون.

(214) انظر: «مراسلات» مرسين، ج 14، الرقم 1577 ص 718، وكان مرسين يهتم بها على مدى سنوات متعددة، وسعى من دون جدوى إلى الظفر بنسخة ليعطيها غلبرت غولمين وكلود هاردي (المرجع السابق، 11، الرقم 1127، ص 266 - 267، 13 سبتمبر العام (1642) والصفحة التالية الرقم 7، والرقم 684، و8 يوليو العام 1638.

(215) انظر الفصل الثامن من هذا الكتاب. وللاطلاع على صفحة من ترجمته للكتاب الخامس الذي طبعه في العام 1659 انظر تومر «أبولونيوس» ص 86 - 87. لم أظفر بنسخة من هذه الوثيقة، وأعلم الآن أن إدوارد برنارد أيضا يحتفظ بنسخة منها.

(216) مطبوع فقط في العام 1785، وانظر أيضا: جنبول، ص 139 - 140. وبالنسبة إلى الطبعات والترجمات التي بدأها يوليوس ولم يتمها فقد اختفت الآن، انظر: المرجع السابق ص 138 - 143، وص 150 - 152، وص 172.

(217) لمعرفة جهوده الموفقة لكي يقنع جنبول بالعدول عن نشر ترجمته للنسخة العربية لكتاب أبولونيوس، انظر، الفصل السابع من هذا الكتاب. أما شكوى يوب لدولف من إحجام يوليوس عن السماح بالاطلاع على مخطوطاته فقد طبعها دوزي في فهرسه، ص 13، الرقم 3.

(218) كان يوليوس يسعى إلى الحصول على المخطوطات بمختلف الطرق، يدل على ذلك امتلاكه العديد من المخطوطات التي تعود ملكيتها إلى إربنيوس (انظر: الفصل الأول من هذا الكتاب).

(219) وقد تنافس الرجلان في امتلاك بعض المخطوطات التي كانت موجودة في حلب، انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

(220) انظر ما كتبه جنبول ص 222 - 33، وعما تركه من مخطوطات انظر: ما كتبه ج. و. ج. دروز في «تراث ليفنوس فارنر» ص -1 31.

(221) انظر: الهوامش الأرقام 6 - 9. من كتاب «فارنر وتراثه».

(222) بالنسبة إلى الآخرين الذين قرأوا كتاب «ليفنوس فارنر وتراثه» انظر: الهامشين الرقمين 6 و9.

(223) انظر: جنبول، من ص 191 إلى 195.

(224) لايدن، (1640)، شنورر الرقم 409، مجلة «فقه اللغات الشرقية» الرقم 322، مجلة «فقه اللغات الشرقية» الرقم 97، والمخطوطة المذكورة هنا كانت إحدى المخطوطات التي أعادها يوليوس.

(225) انظر: روزنتال، «تعليق قديم على القَسَم الأبوقراطي»، ص 52، والمبشر بن فاتك على التوالي.

(226) لقد ناقشنا حديث سالمازيوس عن الكتاب، وترجم كلاين فرانك جزءا من التصدير في بحث لـه بعنوان «الملاح الكلاسيكية في تراث الإسلام»، ص 57 - 62.

(227) توجد بعض المصطلحات المتصلة بعلم التنجيم باللغة العربية في التصدير.

(228) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، عدد 320، انظر: فوك ص 91.

(229) مخطوطة في المكتبة البريطانية، الرقم 22905، الصحيفة الرقم 67.

(230) انظر تولز: «حياة بوكوك»، ص 283.

(231) جنبول، ص 165، ورفض مجلس الجامعة منحه الإجازة التي كان يريدها.

(232) سمث، «حياة برنارد»، ص 44.

الفصل 3

(1) من الخطوات المهمة تلك الخطوة التي قام بها الملك هنري الثامن حين وضع الأساس لمنصب الأستاذية في اللغتين في أكسفورد وكيمبردج. وللمزيد عن هذا الموضوع انظر: ما كتبه لويد جونز في كتاب بعنوان: «اكتشاف العبرية»، ص 190 - 193.

(2) كان جون دي John Dee من كبار الجامعين للكتب، ولكنه لم يكن يمتلك إلا مخطوطة عربية واحدة (ولم يكن يعرف كيف يقرأها)، انظر: روبرتس وواتسون فيما كتباه: «فهرست مكتبة جون دي»، ص 183 (DM166). وعلى النقيض من ذلك فإن «دي» كان يمتلك مكتبة عبرية معتبرة؛ انظر: لويد جونز في كتاب «اكتشاف العبرية»، ص 169 - 170.

(3) انظر: روث، «اليهود في أكسفورد بعد العام 1290». وللمزيد عن فلبوس فرديناندوس، وهو يهودي متحول إلى المسيحية كان يُدَرّس في أكسفورد وكيمبردج في أواخر القرن السادس عشر، انظر: كتاب لويد جونز «اكتشاف اليهود»، ص 206 - 207.

(4) كتاب ويكفيلد المعنون بـ : «في مديح اللغات الثلاث وفوائدها» (انظر: المراجع). والتاريخ القريب هو العام 1528 تحدث عنه ركس في كتاب لـه بعنوان: «الاستخدامات الأولى للعبرية»، وهناك طبعة حديثة وترجمة أنجزها لويد جونز بعنوان: «روبرت ويكفيلد واللغات الثلاث».

(5) وليس من شك في أن إتقانه للغة العبرية كان أقوى، وكان لويد جورج يناديه «أول عالم في العبرية يستحق هذا الاسم في القرن السادس عشر في إنجلترا»، انظر كتاب : «اكتشاف العبرية»، ص 181. بيد أن أحد المستمعين إلى محاضراته في توبنغن عبر عن عدم رضاه عن هذه المحاضرات.

(6) فوائد تدريس العربية في كيمبردج (انظر: هاملتون، «وليام بدويل»، ص 8).

(7) ولمزيد من المعلومات نأخذ من تصديره للنصوص العربية من رسالة يوحنا، انظر: هاملتون، «وليام بدويل»، 110، وأيضا رسالة تيتس (المرجع السابق، ص 116).

(8) وحول السبعة الأولى انظر: 6، 8، 19.

(9) انظر: لويد، «ذكريات»، ص447 - 451.

(10) ربما جمعه من النسخة الصادرة عن المطبعة الطبية لكتاب «القانون في الطب» العام (1593).

(11) تصدير لرسالة جون هاملتون، «وليام بدول»، ص 112، وللمزيد عن سفارة سلطان مراكش انظر المرجع السابق.

(12) انظر مثلا: توماس فولر، ورد فيما كتبه لويد جونز، «اكتشاف العبرية»، ص 147، وانظر: إسحاق في مقالته: «لانسلوت آندروز».

(13) انظر لويد جونز: «اكتشاف العبرية»، ص 147 - 148.

(14) وفق السيرة الذاتية التي كتبها جيمس وايتلوك James Whitelocke الذي كان يقرأ العبرية مع المدعو هوبكنسون Hopkinson في الفترة نفسها، انظر: المرجع السابق، 231،

«وفيما يتعلق بـ هوبكنسون انظر ما كتبه موردخاي فاينغولد «جون هوبكنسون، في شارع سوقة الكُتّاب Grub Street: مستشرق إليزابيثي»، مجلة «هوامش وتساؤلات» Notes and Queries 2015، ص: 245 - 249». (*) (ملاحظات تومر)، وفي هذا السياق نقول: إنه في العام 1612 في كتاب «الجامعات الإنجليزية الثلاث»، ص 1082، يقول: «وكان هناك في مدينة لندن معلمون وأساتذة في الكتب المقدسة أو في اللغات العبرية والكلدية والسريانية والعربية».

(15) سولس دي. دي، تصدير رسائل جيمس، هاملتون، «وليام بدول»، ص 111.

(16) إسحاقسون، «لانسلوت أندروز»، وذلك في أوائل العام (1612)، كما يظهر في فوشيوس، «خطاب التأبين»، ص 88.

(17) مخطوطة سلدن، ص 122.

(18) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 84، والتاريخ الصحيح هو نهاية مايو 1625.

(19) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

(20) انظر: هاملتون، «بِدول المستعرب»، للحصول على دليل بأن بدول بدأ عمله في العام 1692.

(21) المرجع السابق. ص 13 وما يليها.

(22) انظر: دي كاستريس، «مصادر غير منشورة في تاريخ المغرب»، أرشيف إنجلترا ومكتبتها، المجلد الثاني، ص 418 - 421.

(23) انظر: كاسوبون، «الرسائل»، الرقم 344، ص 183. وقد أعاد هاملتون طباعة الرسالة في كتابه عن «وليام بدول»، ص 97.

(24) من أجل تفاصيل أكثر انظر المرجع السابق، ص 95.

(25) انظر: «رسائل أشر»، الرقم 46، ص 78. وربما كان الكتاب من ترجمة لاتينية نشرها جبرائيل الصهيوني ويوحنا الحصروني.

(26) المرجع السابق، الرقم 174، ص 462.

(27) انظر: كتاب هاملتون المعنون بـ «وليام بدول»، ص 12، 87.

(28) انظر: هنت، «مخطوطات لود»، ص 12 – 13 لقائمة المخطوطات التي امتلكها لود، ومعروف أن صاحبها هو بدول، وهي قائمة غير مكتملة يقينا؛ لأنها لا تذكر مخطوطة لود الرقم 278 (ابن البناء، «المنهاج»، انظر الفصل الرابع في هذا الكتاب)، ومخطوطات أخرى لـ لود بأرقام 319، 372، 819، 829، أوردها هاملتون، في كتاب «وليام بدول»، ص 126 – 128.

(29) لمزيد من التفاصيل انظر كتاب هاملتون عن «وليام بدول» ص 126 – 127. وليس من المحتمل أن الترجمات والشروح لأجزاء قليلة من القرآن التي وردت في هذا الكتاب كان الهدف منها النشر، وكذلك الجملة الغامضة التي وردت في رسالة إربنيوس إلى بدول في العام 1609، والمكتوبة بلغة عربية مضطربة (هوتسما، «المراسلات الشرقية»، ج 8)، والتي تدعم فكرة أن بدول كان يريد أن يطلب من لوبيه أن ينشر لـه أعماله، خصوصا: السور الثلاث من القرآن مع تفسيرها الذي أرسله إلى إربنيوس.

(30) الكتاب غير منشور، ولكن التصدير ورد في كتاب هاملتون عن بدول، ص 112 – 118.

(31) يناقش هاملتون بتفصيل كثير دوافع بدول لدراسة العربية، انظر: المرجع السابق، ص69 وما يليها.

(32) المرجع السابق، ص 106، 112، 108 بهذا الترتيب.

(33) شنورر الرقم 322، وانظر أيضا: هاملتون، «وليام بدول»، ص 124.

(34) المرجع السابق، ص 24، ولا يوجد دليل على أنه فكر في عرض أعماله على كيرستن في بريسلاو لينشرها، على الرغم من أن كيرستن زارته في إنجلترا في العام 1602 وظلت تراسله حتى أواخر العام 1632، (المرجع السابق، ص 19، 104). وكانت المطبعة العربية الوحيدة الأخرى في أوروبا في تلك الفترة هي مطبعة لوبيه، وقد كان لـكاسوبون ملاحظة في رسالته إلى هيوبرت في 22 سبتمبر من العام 1612، («الرسائل»، ص 485)، مفادها أن أندروز كان يرغب في شراء حروف الطباعة العربية لمصلحة بدول، ولعلها لم تكن تعني إلا أنه كان واعيا بتلك المفاوضات التي كانت تجري من أجل شراء مطابع آل رافلنغيوس.

(35) لايدن، في الرقم 217: هاملتون، «وليام بدول»، 138 الهامش 56.

(36) للمزيد عن هذه الحادثة الطريفة انظر الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(37) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، 381/16 الصحيفة الرقم 75، أما التاريخ 1638 فقد ورد في كتاب هاملتون عن وليام بدول، ص 47، وهو يتكئ على خطأ في «تقويم وثائق الدولة».

(38) الدليل على ذلك موجود في الجانب الهولندي، وهو دليل غامض، انظر: هاملتون في «ضحايا التقدم» وكتابه عن «وليام بدول»، ص 45 – 47. ولكن الأحكام المتصلة بحروف الطباعة التي وصفها في كيمبردج في أثناء الأربعينيات من القرن السابع عشر كلّ من توماس سمث وويلوك يدعم التفسير الذي يقول إن لوحات المفاتيح لم تكن موجودة، انظر الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(39) لندن، 1615: مجلة «فقه اللغات الشرقية» العدد 59، انظر: هاملتون، «وليام بدول»، ص 124 – 125 للحصول على العنوان الكامل والإصدار الثاني العام 1624.

(40) لا يوجد تاريخ على النسخة الأصلية؛ وهي مكتوبة باللغة العربية بالكلية، انظر: شنورر الرقم 236، وليفي ديلا فيدا في «البحث»، ص 257 – 259، وهو يقترح تاريخا بعد العام 1584. ولست أدري على أي أساس يطرح سمتسكامب تاريخ 1579، (مجلة فقه اللغات الشرقية، الرقم 59، ص 56). أما نسخة بدول المحققة لهذا الكتاب فهي تقبع في مكتبة البودليان (نيكول – بوسي، ص 487 الرقم 3).

(41) في رسالة الإهداء التي قدمها لـجيمس الأول في نحو العام 1604، (هاملتون، «وليام بدول»، 108)، يصف قاموسه بأنه جاء بعد اثني عشر عاما من العمل.

(42) لمزيد من التفاصيل انظر المرجع السابق، 127.

(43) للوقوف على هذا الاضطراب انظر الجدولين 12، 13، في المرجع السابق.

(44) التصدير لطبعته لرسائل جون (مطبوعة في المرجع السابق ص 119).

(45) في رسالة إربنيوس إلى كاسوبون في 10 أبريل من العام 1610، (كاسوبون، «الرسائل»، الرقم: 662، ص 344)، «وعلى الرغم من عدم مثالية هذه الأوراق التي تركها بدول فقد تعلمت منها الكثير، خصوصا الأخطاء».

(46) انظر: رسالة إربنيوس إلى كاسوبون، اقتطف منها هاملتون في كتابه «وليام بدول»، ص 152، الرقم 3.

(47) المرجع السابق، 88. وكان سلدن يمتلك نسخة من قاموس الفيروزآبادي، وهي التي أعارها في النهاية ليوليوس لينتفع بها في معجمه؛ ومن المرجح أن بدول استعارها منذ وقت مبكر جدا. ولم أسع إلى دراسة مصادر بدول التي استعان بها في تصنيفه للقاموس، وأستطيع الآن أن أشير فقط إلى هاملتون، ص 87 - 91.

(48) رسالة كاستل إلى صامويل كلارك، 7 مارس 1659 (المخطوطة الرقم 22905، بعد ص 27). وفيما بعد وفي الشهر نفسه (المرجع السابق، الرقم 29) نراه يشكو من أن مخطوطة بدول عصية على الفهم، خصوصا المائة صفحة الأولى، وأن هناك ألف صفحة من دون ترتيب، وبعض الصفحات التصق بعضها بالبعض الآخر من دون سياق.

(49) الكتابات التي تتناول سِلدن كثيرة جدا، ولكن بالنسبة إلى السير المطبوعة، بما فيها السيرة التي كتبها ولكنز، والتي صَدَّرَ بها أعمال سلدن الكاملة، يظل الحكم النهائي الذي أطلقه كروسلي (ورثنجتون، «المراسلات»، ج 2/1، ص 27) مطابقا للواقع حتى بعد مضي مائة وخمسين عاما: «ليس من شك في أن سلدن هو فخر الأمة الإنجليزية». هكذا أحسن إدوارد فراي في وصفه لهذا العالم في «معجم الأعلام الوطنيين».

(50) روبر، «الطباعة العربية»، ص 12 - 13.

(51) الاختلاف في هذا الصدد عن الطبعة الأولى اختلاف كبير جدا، ولا يوجد حديث حول العربية في هذا الصدد فيما عدا اسمين لإلهين عربيين ذُكرا (مع الخطأ) في الحروف الخشبية، ص 161 وص 164.

(52) توجد أمثلة متعددة في الباب السادس، الفصول الأول والثاني والثالث والرابع من هذا الكتاب، حيث نجد أن الترجمات التي أوردها سلدن أكثر دقة بكثير- في الحقيقة - من تلك الترجمات التي أوردها بيلياندر.

(53) في صفحة 134 لم أتحدث عن الجهد التفسيري في مخطوطات كوتون، وهي الآن في المكتبة البريطانية.

(54) للمزيد عن تاريخ مكتبته تلك انظر: دي ريسي في كتابه المعنون بـ: «جامعو الكتب والمخطوطات الإنجليز»، 25 - 26. وللحديث عن استفادة أشر من المخطوطات العربية في تلك المكتبة في العام 1625، انظر الفصل الخامس في هذا الكتاب. وقد أسدى سلدن خدمات جليلة للعمدة (الذي منحه معاشا قدره 50 جنيها إسترلينيًا في العام 1634؛ هرفي، «إيرل آرندل»، 358 الرقم 3)، ونشر أخيرا الكتابات اليونانية المنقوشة التي كان يمتلكها («مذكرات أرندلية»، 1628).

(55) ص 129، وص 116. ولم أوفق في تحديد العمل الأخير من بين مخطوطات سلدن في البودليان. «المخطوط بعنوان: «تفسير الجلالين، كوتون تايبيريس أ. أي. انظر كتاب ج. تـــ تومر «جون سلدن» ص: 616». [من ملاحظات تومر].

(56) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 369.

(57) انظر: سِلدن، «أوتيخيوس»، مجلة «فقه اللغات الشرقية»، العدد 369. لا يمكن أن أمضي في الحجاج في كل ما يتعلق بهذا الموضوع الذي كان يثير الكثير من العواطف في إنجلترا في تلك الفترة التي نشر فيها سلدن كتابه؛ بقيت ملاحظة وهي أن العالمين الجليلين: سالمازيوس Salmasius وكتابه المعنون بـ : «أطروحات كنسية عن احترام الأساقفة» Dissertatio de foenere trapezitico (لايدن، 1640)، وبتافيوس Petavius وكتابه المعنون بـ : «أطروحات كنسية عن كرامة الأساقفة» Dissertationes Ecclesiasticae de Episcoporum dignitate (باريس، 1641)، قد تناولا القضية من وجهين متناقضين، وأنه بعد ذلك بعدة سنوات أصدر إبراهيم الحاقلاني Abraham Ecchellensis، دفاعا طويلا عن البابوية يركز فيه على هذا العمل الذي أنجزه سلدن (دفاعا عن أوتيخيوس).

(58) انظر الفصل الرابع في هذا الكتاب.

(59) انظر ما كتبه هنريكس يعقوب في كتاب بعنوان: «آلهة السوريين» ص 46، «من المؤكد أن جيل الشباب تناول هذه المسائل أفضل مني».

(60) انظر: «علماء أكسفورد» 3، ص 330، ويربط وود هذا بنشر كتاب سلدن المعنون بـ : Mare Clausum أي البحر

المغلق 1635؛ لأن سلدن فيما بعد يقر بأن يعقوب عمل بمنزلة كاتب الإملاء في هذا الكتاب.

(61) من المؤكد أنه لم يبدأ معه على الرغم من ذلك. لقد قابل سلدن إربنيوس في إحدى زياراته إلى إنجلترا (ربما في العام 1621، وفق خطاب سلدن إلى إربنيوس في 17 فبراير من العام 1622، مجموعة مخطوطات سلدن 108، الصفحة 208 يمين)، وقد طلب منه سلدن نسخة أرسلها إليه إربنيوس من النص العربي المطبوع من كتاب «المكين» قبل أن يُنشر الكتاب الأخير (انظر رسالة بنبردج إلى إربنيوس في الأول من سبتمبر من العام 1624، مخطوطة سافيل الرقم 47، الصفحة 35). ولمزيد عن القصة فقد أشار إليها أشر لسلدن حول «عناصر الألسن الشرقية»، انظر: الفصل الخامس عن أشر في هذا الكتاب.

(62) من المرجح أنه أصبح في العام 1628 يحمل البكالوريوس من جامعة أكسفورد. في 20 من يناير من العام 1629، تدخل بدول مع مدير الكلية. وهناك دليل على أن يعقوب كان لايزال في لايدن في العام 1627.

(63) كانت محاضرته الأولى في فقه اللغة اليونانية في كلية مرتون، انظر مادان، «كتب أكسفورد»، 3، الهوامش من 2184 – 2185، في مكتبة البودليان قدمها يعقوب لـ سلدن. إنها تضم تواريخ للمفردات في أثناء تلك الفترة، ولكن في ص 88، نجد مقتطفا عربيًا مطبوعا يعود إلى ابن سينا، وفي ص89 إشارة إلى المكين.

(64) انظر ما كتبه تانر في مكتبة البودليان.

(65) مخطوطات سلدن الرقم 80 (نيكول ص85) عبارة عن أدعية وأمثال عربية، مع نسخة يعقوب اللاتينية التي تعود إلى 1627، ويعقوب نفسه يضع هذا التوقيع: «هنريكو يعقوبي الإنقليسي من لوندرا»، انظر: ويلر، «المكتبة الحاخامية».

(66) سلدن: «الأعمال الكاملة» الجزء الأول ص15.

(67) يذهب برودرك في كتاب «ذكريات مرتون»، ص 78 أن لـود أمر بعودة يعقوب إلى كلية مرتون بوصفه أستاذا للنحو»، وكان لود أستاذا زائرا في الكلية.

(68) للمزيد من المعلومات عن الصراعات داخل كلية مرتون انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(69) «علماء أكسفورد»، ج3، ص331. من الحكمة أن نستقبل ما يقوله وود حول ديكنسون بشيء من الحذر؛ فقد كان وود يحنق عليه، ويحمله مسؤولية وفاة أمه بسبب الدواء الذي جلبه لها.

(70) كتاب «آلهة السوريين»، ص 46. ويشير إليه سلدن بأنه «سعيد بن البطريق».

(71) تناوله إبراهيم الحاقلاني بشيء من الازدراء في كتابه «في الدفاع عن أوتيخيوس»، ص 22 والصفحات التالية. وعند طباعة هذا الكتاب في العام 1661 كان سلدن قد توفي، وعكف بوكوك على تصحيح الأخطاء بهدوء حين أعاد تحقيق ما كتبه أوتيخيوس. ويعلق برايدو Prideaux في كتابه المعنون بـ : «محمد»، جزء II ص 165 – 166 بشيء من القسوة على كتاب «أوتيخيوس» لـ سلدن، ولكنه يتناول إبراهيم الحاقلاني (ص 176) بقولـه: «إن المهارة الوحيدة التي يظهرها في كتابه هي السباب».

(72) والقائمة التالية أقل من أن تشمل قراءات سلدن في اللغة العربية، مثلا: في كتابه «القانون الطبيعي» (في الأعمال الكاملة ج 1، 405) نجده يقتبس في النهاية من أبي وليد محمد ابن الشّحنة، من مخطوطة التاريخ القديم؛ على سبيل المثال: ابن الشحنة «روضة المناشر»، ويقصد به كتاب «روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر»، وهي مخطوطة الآن باسم سلدن برقم 666، ص 151؛ وفي كتاب «شريعة الزواج عند اليهود»، ج2، ص 26 (الأعمال الكاملة، ج1)، وفيها وصف محمد بن عبد الباقي للأحباش في مخطوطة في مكتبة البودليان الرقم 859، ص 185، الرقم 1600.

(73) لايدن، 1639، «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 310.

(74) انظر: سلدن، «كتاب السانهدرين الثالث»، ص 158، 159.

(75) المرجع السابق ص 433.

(76) «الزواج عند اليهود في القديم».

(77) ثلاثية السانهدرين.

(78) الرسالة مطبوعة من مخطوطة وُجدت في قصر لامبث ونسخها «تود» في كتابه بعنوان «حياة والتون» i، ص40 – 42.

أما التعبير الذي أطلقه سلدن sidereis nuntiis أو الرسالة الفلكية (ص41) فإشارة غامضة إلى اكتشافات غاليليو.

(79) على كل حال، كان سلدن أيضا يشتري هذه الكتب المطبوعة كلما كانت متاحة. وتكشف قائمة الكتب المنسوخة باليد في مكتبته التي وجدناها بعد وفاته، قبل أن تصل إلى مكتبة البودليان بوقت قصير (مجموعة مخطوطات سلدن 111)، عن أنه كان يمتلك جميع الكتب المطبوعة بالعربية حتى ذلك التاريخ، بما في ذلك منشورات مطبعة مدتشي، ومطابع أخرى في القرن السادس عشر، كان أغلبها قد أصبح نادرا.

(80) أشرت قبل حين إلى إمكانية أن تكون مخطوطة القاموس التي أعارها سلدن لـ يوليوس قد وجدها بدول. فقد كان يوليوس يستخدمها بعض الوقت قبل 26 يناير من العام 1648، وفق رسالة من وليام بوزول إلى سلدن، انظر: مجموعة مخطوطات سلدن الرقم 108، الصحيفة 35 يمين.

(81) انظر: بوكوك، «أوتيخيوس»، التصدير، الصفحة 2 شمال. وتوجد رسائل عربية من ثلجة إلى بوكوك في مخطوطات بوكوك، 432 ملفات 14 – 16 (وانظر: تولز، 59).

(82) يظهر كوردوروي في أثناء الأعوام من 1628 إلى العام 1640 في كتاب محاضر المحكمة التي تحكم في أنشطة تجار حلب (دار الوثائق القومية، الرقم 110 و54 وثائق شركة الشرق: المحاضر، 1616 – 48)، وكان أمين خزانة هناك لسنوات متعددة، قبل أن يوبخ ويفصل من وظيفته عن طريق محكمة الشركة في لندن، لفشله في أن يرسل حساباته (دار الوثائق القومية، الرقم 105، 148، ص 55). وكان أيضا يخدم بوكوك في الحصول على المخطوطات، انظر: تولز، 57 – 58.

(83) كان جون واندسفورد أخا للأكثر شهرة كريستوفر واندسفورد، الذي كان مرتبطا بـسلدن في الهجوم على بكنغهام في برلمان 1626، ومن المرجح جدا أن سلدن قد عرف جون واندسفورد، على الأقل في برلمان العام 1624 الذي كانا يختلفان إليه، وربما قبل ذلك في الهيئات القانونية Inns of Court.

(84) ربما كانت مخطوطة في ملف سلدن، وهي عمل يتصل بالسيرة من تأليف تاج الدين السبكي، أضاف إليه سلدن هامشا يقول فيه: «تلقيت هدية من الشرق من صديق كبير هو جون ف. واندسفورد من الملحق التجاري في القنصلية الإنجليزية في حلب، الأول من مايو 1633».

(85) مخطوطات سِلدن آنفة الذكر، ص 108، الصحيفة 25 يمين.

(86) مخطوطات الأسقف سِلدن، أ 7، (الرقم 877، ص 190)، ولقد فُقد الأصل اليوناني، والنسخة العربية باقية في هذا الملف ومخطوطة في إسطنبول. وفيما يتصل بترجمات الرسالة انظر: تومر، «أبولونيوس»، ص 4، الرقم 11.

(87) مخطوطات الأسقف سِلدن، أ 11 (الرقم 879، ص 190 و191)، انظر: طبعة كينيدي وبنغري Kennedy and Pingree، والتي لا تضم أي مناقشة من أي نوع حول تاريخ المخطوطة.

(88) فيما يتصل بالمخطوطات التي جمعها جون غريفز، انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

(89) لمزيد من التفاصيل انظر روبر: «الطباعة العربية»، ص 13 و14. وقد ظهرت الطباعة العربية في كتب سِلدن في أوائل العام 1635، مما أظهره ما طُبع من طريق كارتر وريكس في طبعتهما لكتاب رو مورز بعنوان «رسالة حول رواد الطباعة الإنجليزية»، 9، الرقم 6.

(90) لذا نجد على سبيل المثال المقتطفات المتكررة في كتابه «مجالس العبرانيين القدماء» مطبوعة بحروف استعارها فني الطباعة يعقوب فلشر من مصفوفة أكسفورد للطباعة على مسؤولية جون غريفز.

(91) انظر الفصل التاسع من هذا الكتاب.

(92) كتب توماس سمِث «سيرة حياة بِنبردج»، وكشأن جميع كتب السيرة التي كتبها سمِث، كان هذا الكتاب ضعيفا أشد الضعف، ولم نظفر منه بشيء عن حياة بِنبردج وجهوده في اللغة العربية سوى أنه عرف العربية عندما كان في الأربعين من عمره (يعني بعد العام 1622)، وأن اهتمامه بعلم الفلك عند اليونان هو الذي أوحى له بضرورة معرفة العربية (سمِث، بنبردج: سيرة حياة، ص 10 و11).

(93) انظر: رسالته إلى أشر في 7 أبريل 1628 (أشر: «الرسائل» الرقم 125، ص 390). وكان بِنبردج مخطئا: فعمل هيبارخوس

مفقود فيما عدا بعض المقتطفات التي وردت في كتاب «المجسطي». ويوجد شاهد على أن بنبردج بذل جهودا عقيمة للحصول على معلومات من مكتبة الإسكوريال، ومنها الرسالة التي وصلته من وليام غودارد، وكان عندئذ في مدريد في صحبة الأمير تشارلز يبذل جهودا أخرى عقيمة يروم مساعدة ابنة ملك إسبانيا (مخطوطة في كلية ترِنتي، الرقم 382، صحيفة 84، 5، سبتمبر، 1623).

(94) أشر، «الرسائل»، الرقم 110، ص 370.

(95) مخطوطات سِلدن آنفة الذكر 108، صحيفة الرقم 236 يمين.

(96) انظر: تومر، «النظرية الشمسية للزرقالي»، ص 330 و331.

(97) المخطوطة هي إحدى المخطوطات التي اشتراها لود بعد وفاة بدوِل، وهي الآن في ملف لود، الرقم 278.

(98) مخطوطات كلية ترِنتي، دبلن، الرقم 382، ملفات 87، 82 كما أن النسخة التي أخذها جون غريفز لرسالة سِنليوس موجودة في مخطوطات سافيل، الصحيفة 34، 36/ 47، 47.

(99) مخطوطات كلية ترِنتي الرقم 382 في ملف الرقم 87 (نسخة من مخطوطة سافيل الرقم 47، ملف الرقم 35). وقد زعم بنبردج بأن هذه المعلومات كانت متاحة في كتاب الجغرافية من بدوِل، الذي لا بد من أنه رأى نسخة إربنيوس لكتاب أبي الفداء في أثناء زيارته إلى لايدن في العام 1612.

(100) وكانت في ذلك الوقت ضمن مقتنيات مكتبة فلورنسا العتيقة، وتوجد نسخ من هذه القائمة جمعها ماركو دوبيلو Dobelo نحو العام 1610، كانت في الفاتيكان وملك الإخوان دوبي في باريس، انظر: وثائق Documenti ليفي ديلا فيدا، 43 الرقم (2)، كتاب : «بحث في إنشاء أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان» Ricerche 287 (ص 217). ومن المرجح أن يكون بنبردج قد حصل على معلومات من هذا المصدر نفسه؛ فهناك رسالة من دوبيلو باللغة العربية مرسلة إلى كاسوبون في لندن، نسخها بدوِل وهي موجودة الآن في مكتبة البودليان (انظر المصدر السابق، 282 والصفحة التالية، نكول بوسي الرقم 24، ص 486 و487، مخطوطة البودليان، الرقم 298).

(101) من علماء الفلك المشهورين: نصير الدين الطوسي (انظر: فهرس يوليوس، ص 4 [q7] ، نصير الدين الفارسي صاحب كتاب «الجداول الفلكية» (Tabulae Astronomicae Nassir Eddyn Persae)؛ وعلي بن محمد الجرجاني (المرجع السابق، ص 5 [q[42]، وعلى الشريف صاحب كتاب «الجداول الفكلية»,Tabulae expeditae Motuum caelestium autore Ali Esscherif، وابن يونس المصري مؤلف كتاب : «الترتيب الزمني وعلوم الفلك»، والذي يختلف أيضا عن كتابه المسمى «الملاحظات السماوية الشرقية» (المرجع السابق، ص 8).

(102) المرجع السابق، ص 11 (o44) .

(103) غولدستين، «فرضيات كونية».

(104) وهذا ما يشهد عليه بوضوح كرستيان رافيوس (وربما حصل على معلومات من جون غريفز في النهاية) في رسالة إلى إسحاق فوشيوس في العام 1641 «مخطوطة دورفيل»، الرقم 470، ص 278.

(105) أدرجت الدليل على كل ذلك بالتفصيل في هذا الكتاب، فالقصة كلها التي دمرت سبع سنين من حياته محذوفة في المقال عديم القيمة عن فِكرز في معجم أعلام الوطن.

(106) انظر كتاب أنتوني وود بعنوان «خريجو أكسفورد»، ج 2، ص 657.

(107) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة 16,261، صفحة 1 يمين، والتفاصيل فيما يتصل بالتهم والحكم موجودة في أوراق الدولة، 16.203، الرقم 30 (صحائف 39 – 42).

(108) فقد أُعفي من عقوبة الطرد من الكنيسة في 3 مارس 1634 (أوراق الدولة، 16.261، صحيفة 5 يمين)؛ وعُوض عن الغرامة التي دفعها نظرا إلى فقره الشديد وطول مدة سجنه، هذا في يوليو من العام 1634 (المرجع السابق، الصفحة الرقم 71 يمين) وأُعيد إلى منصبه الكنسي السابق في 19 نوفمبر 1635 (المرجع السابق، صحيفة 295 شمال).

(109) انظر التصدير في كتاب فِكَرز المعنون «المزامير بلغات متعددة» Decapla. وأما السنوات السبع فربما كانت بين

العامين 1628 و1634 على وجه التقدير، وتوجد ملخصات لمشكلاته من العام 1628 إلى العام 1635 ربما نجدها في تقويمات أوراق الدولة في أثناء تلك الأعوام.

(110) يشير هنا إلى جوستينياني وسافاري دو بريف وطبعاتهما.

(111) أُعيدت أجزاء منه في مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 368.

(112) روبر (الطباعة العربية، 15) يرى أن كتاب فِكرز استخدم حروف الطباعة العربية التي كانت في أكسفورد، بينما كان جون فِل يعقد مقارنة واهية بين حروف الطباعة التي استخدمها فِكرز وحروف الطباعة التي استخدما مورسون، وتوصل إلى بعض الاختلافات، ويزعم أن فِكرز يذكر الحروف العربية التي كان يستخدمها لود Laud. والحق أن فِكَرز - في معرض مدحه للود - لا يتحدث إلا عن تأسيس لود لقسم اللغة العربية، وأيضا عن تبرعه ببعض المخطوطات الشرقية، بهدف تعزيز هذه اللغات، وزيادة عدد المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الأكسفوردية، خصوصا من الكتب المعروفة للجميع، ويؤكد أيضا أنه دفع مع صاموئيل مالا لشراء هذه الحروف الطباعية.

(113) لندن، 1647، وفي العامين 1649 و1650، وانظر: الباب الثالث والسابع من هذا الكتاب. «وقد استخدمت الحروف العربية السريانية في ثلاثة أعمال أخرى نشرها فِكَرز في العام 1643»، انظر بيتر أوجر «نسبة ثلاثة أعمال إلى جون فِكَرز» (1604 – 1653)، مجلة «هوامش وتساؤلات» Notes and Queries 2014، ص 362 - 366» (من ملاحظات تومر).

(114) انظر: ماثيوز، «والكر في طبعة جديدة»، ص 166.

(115) تود، «حياة والتون»، ج 1، ص 49.

(116) كانت العبارة التي وردت في كتاب الأخوين فن Venn and Venn المعنون بـ «جمعية خريجي كيمبردج» ج 4، الرقم 301 (وهو مقال مملوء بالأخطاء في أكثر من وجه)، والتي تقول إنه مات في العام 1660، ترجمة خاطئة لعبارة بيل Peile «مسجل كلية المسيح» ج 1، 324، بأنه لا بد توفي في العام 1660، عندما اضطلعت جنوب فامبردج South Fam-bridge بموضوع آخر.

(117) تناول كثيرون سيرة حياة أشر، ولم أذكر منهم إلا توماس سمِث في كتابه Vitae، ونِكولاس برنارد (1656)، وريتشارد بار (وهو منشور مع رسائل أشر)، وآيرلنغتون Arlington في المجلد الأول من طبعته التي أصدرها لأعمال أشر. وليس من بين هذه الأعمال ما تناول بالتفصيل جهود أشر في مجال الدراسات الشرقية. والحق أن الكتب الثلاثة الأول ذكرت بشيء من التفصيل في مقال تريفور روبر المعنون بـ «جيمس أشر، كبير أساقفة أرماه»، وفي مقال بعنوان «الكاثوليك والأنجليكانيون والبيورتانيون».

(118) كان أستاذا في جامعة أكسفورد، ووقف إلى جانب الملك في أثناء الحرب الأهلية حتى العام 1645.

(119) وكان بينهم كثيرون من المستعربين الذين يجري ذكرهم في مواضع متعددة من هذا الكتاب، ومنهم سِلدن وبنبردج وجون غريفز وويلوك ورافيوس. ومن المقتبسات العربية الأولى التي ظهرت في رسالة أرسلها إليه وليام إيرز في عام 1608 (أشر، الرقم 3، ص 3، والصفحة التالية، ثم انظر: الفصل التالي لهذا الفصل من هذا الكتاب).

(120) رسائل من بورغشيير في 12 مايو 1625، (أشر، «الأعمال الكاملة»، الرقم 16، ص 428 و429؛ والنسخة الأصلية موجودة في مخطوطة Rawl «الرسائل» 89، صحيفة 50 يمين).

(121) نشر ماكراي Macray وصفا لوفاة سِلدن لمجهول، في «حوليات مكتبة البودليان» 110، الرقم 2. وإذا صدقنا هذا الوصف نفهم أن سِلدن تلقى تعليما على يد أشر قبل التاريخ المذكور بخمسة وأربعين عاما، يعني من العام 1610 وحتى العام 1614.

(122) رسائل 19 سبتمبر 1644 (أشر، الرسائل، الرقم 211، ص 509). انظر أيضا رسالة «وصف خطوط الطول في القسطنطينية وردوس»، والتي أرسلها إلى أشر (غريفز، الأعمال، ج 2، ص 364 – 371)، وقد نُشرت مقتطفات من النسخة الأصلية في مخطوطة الرقم 380 إضافية، نشرها مرسير بعنوان «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 170 – 172، وقد تجاهل المطبوعات الثلاث السابقة تجاهلا واضحا.

(123) أشر، «الأعمال الكاملة»، ج 7، ص 208.

(124) أريد التركيز على هذه الفكرة؛ فرغم أن أول من كتب سيرة أشر، وهو نِكولاس برنارد، يصفه - محقا - بأنه سمسار كتب (انظر «حياة أشر»، 86)، فإن أكثر من كاتب معاصر (على سبيل المثال تريفور - روبر في كتابه المعنون بـ«الكاثوليك والأنجليكانيون والبيورتانيون» ص 138)، يشير إليه على أنه كان كاهنا. والحق أن الكاهن الملحق بشركة الشرق في حلب والذي وردت سيرته في تلك الرسائل كان تشارلز روبسون (الذي نقرأ عنه في الفصل الثالث من هذا الكتاب). وقد ظهر اسم توماس ديفيز في محاضر تجار حلب (دار الوثائق القومية، أوراق الدولة 54/ 110)، بين 27 نوفمبر 1623، و18 أكتوبر 1630. وانظر كتاب تُدْ: «سيرة حياة والتون»، ص 186، حيث يقول إنه أصبح فيما بعد «السير توماس»، ولكنني أشك في أن ذلك كان يختلط باسم اللورد عمدة لندن، رجل آخر.

(125) أشر، «الأعمال الكاملة»، ج 15، ص 323 - 326 = الرسائل، الرقم 81، ص 323 و324.

(126) وبعد أربعة عشر عاما، في رسالة إلى رافيوس، كان أشر لايزال يلح في طلب هذه الكتب والتي تحتوي على وصف للنطق بعلامات ونجوم، كما وردت في عمل العلامة أوريجانوس Origen في كتابه: «الكتاب المقدس ذو اللغات الست» Hexapla.

(127) انظر أشر، «الأعمال الكاملة» ، ج 16، ص 444 - 446. غير أن النسخة التي معي منسوخة من الأصل في مخطوطة رسائل رولنسون الرقم 89، ملف الرقم 111. وللوصول إلى رسائل أخرى لـ دافيز انظر «رسائل أشر» الرقم 69، ص 311، والرقم 83، ص 226، والرقم 111، ص 371، والرقم 120، ص 225، والأعمال ج 15، ص 225 و16 ص، 472.

(128) انظر أشر: «الأعمال الكاملة»، ج 15، ص 380 - 387، والرسائل الرقم 122، ص 383 - 386، والنسخة الأصلية من الخطاب محفوظة في مخطوطات سِلدن المذكورة آنفا، 108، الصحيفة 174 و175.

(129) أشر، «الأعمال الكاملة»، ج 15، ص 550 - 554، والرسائل الرقم 174، ص 462 و463.

(130) «كان لدي ثلاث نسخ من المزامير العربية، وهو عدد كافٍ من هذا الكتاب القديم، وقد أهديت واحدة منها لأسقف لندن، وأخرى لأكاديمية أكسفورد، وثالثة لسيادة رئيس جامعة أكسفورد، ولدي بعض المخطوطات القليلة التي تلقيتها أخيرا. وقد أهديت منها للسيد وليام بِدوِل قبل وفاته. لدي الآن كتب بالعربية المنقولة عن اليونانية، منها كتاب سفر التكوين، وفيه تعليقات بالعربية، وخطب تدور كلها حول التاريخ المقدس للفرق المسيحية. وفي اللغة نفسها التي يتحدث بها خريسوستوموس، هناك المواعظ باللغة اليونانية واللاتينية والعربية أيضا مترجمة وفق قوانين «المجمع الكنسي السينودس» عند القدماء».

(131) انظر أيضا: سِلدن، «كتاب السانهدرين الأول» (الأعمال الكاملة الجزء 1 ص 805) وفي مخطوطة مسيحية عربية «أنا والآخرين» أذاعها أفضل وأشهر الرجال وهو السيد جيمس أشر.

(132) ذكرها «تود» في كتابه: «حياة والتون»، ج 1، ص 182، هامش 1.

(133) توجد المخطوطة اليوم ضمن مجموعة كوتون في المكتبة البريطانية، وكلوديوس بي، ج 8، وإلِس في كتاب «الرسائل الأصلية التي كتبها الأدباء»، ص 138 و139؛ لأن الإهداء الذي كتبه أشر على المخطوطة لـكوتون يبين فيه أنه اشتراها من كوتون بمبلغ 75 جنيها إسترلينيًا، وهو مبلغ كبير جدا في ذلك الوقت.

(134) رسالة إلى كوتون في 12 يوليو 1625، (إلِيس: «رسائل الأدباء»، ص 133 و134)، انظر «الأعمال الكاملة» لأشر ج 15، ص 283 و284؛ رسالة إلى صامويل وارد في 16 يونيو 1626، (أشر، «الرسائل»، الرقم 98، ص 342). ولم ينجح أشر؛ فقد عُرِضت كتب إربنيوس في المزاد العلني في هولندا، وآلت حروفه إلى عائلة إلزفير المشهورين بالطباعة، انظر أوتس، ص 167، الهامش 33.

(135) انظر: أشر، «الأعمال الكاملة»، ج 16، ص 466 - 7 (30 أبريل 1628).

(136) انظر: «رسائل أشر»، الرقم 133، ص 400 (22 يناير العام 1629)، فهل كان النبيل الذي قابله أشر هو عمدة آرندِل؟

(137) وقد أخفق في تذكير أشر بهذا في رسالته في 5 يوليو 1630 استجابة لمديح أشر في انتخاب لود رئيسا لجامعة أكسفورد (أشر، «الأعمال الكاملة»، 16، ص 525 - 528).

(138) انظر: «رسائل أشر»، الرقم 144، ص 411 (20 يوليو، 1629).

(139) لايزال الجزء المكتوب عن رافيوس في كتاب مولر المعنون بـ «كُتّاب شمال ألمانيا» Cimbria Literata، ج 2، ص 680 - 688، أفضل ما كُتِب عن رافيوس، وعلى الرغم من أن معلومات كثيرة تنقصه يمكن أن نلتمسها في كتاب آلرستدت «تاريخ جامعات أوسبالا»، خصوصا حول السنوات التي قضاها في السويد. وآمل أن يُتاح لي الوقت لتناول حياة هذا الرجل الساحر البغيض في الوقت نفسه.

(140) لم أعرف هذه الرسالة إلا من مجموعة رسائل رافيوس في ص 2 من كتابه المعنون بـ «فهرست المعاجم العربية الفارسية اللاتينية» Specimen Lexici Arabico-Persici-Latini.

(141) انظر: «رسالة آشر إلى هارتلب»، 12 نوفمبر، (1639): «الرسائل»، الرقم 304، ص 623.

(142) المرجع السابق، الرقم 305، ص 623 - 4.

(143) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب للمزيد حول المخطوطات المتعددة التي كان رافيوس يحتفظ بها لنفسه.

(144) انظر - على سبيل المثال - رسالته إلى أشر التي كتبها وهو في طريقه إلى السويد، بتاريخ 3/ 13 مايو 1650 (أشر، «الرسائل»، الرقم 252، ص 550).

(145) إيفلين، المذكرات، ج 3، ص 156 و157.

(146) انظر أشر، «الرسائل»، الرقم 3، ص 3 - 11 (24 مارس 1608).

(147) لم ينشر أمبروز أشر أي شيء يتصل بالعربية، ولكن هناك قاموسا عربيا يتضمن دروسا في النحو العربي كان من ضمن المجموعات المتفرقة التي جمعها، ومحفوظة حتى اليوم في شكل مخطوطي في كلية ترِنتي في دبلن. وأما الكتاب الذي يشير إليه آيرز فربما يكون ذلك الذي تشتمل عليه مجموعات مخطوطات كلية ترِنتي بعنوان: «فهرست المخطوطات الإنجليزية والعبرية» Catalogi Manuscriptorum Angliœ, et Hiberniœ، 2/2 ص 541 - 401، وقد ترجم أمبروز الكتاب ونسخ أشر سورة الكهف من القرآن.

(148) أغلب الظن أن هذا اليهودي ليس هو فليبس فرديناندوس الذي غادر كِيمبردج إلى لايدن في العام 1598.

(149) انظر ص 127، واقتبسه «تود» في كتاب «حياة والتون» ج 1، ص 107.

(150) انظر: فاستي، 1، 145 (في طبعة بلِس في أثينا، مجلد 2).

(151) توجد معلومات مفيدة حول ويلُك في الكتاب التأبيني الذي ألفه سلاتر Sclater بعنوان: «تاج الحق»، ولكن المعلومات التي نجدها في كتاب معاصر آخر بعنوان: «حياة» ألفه تلميذ ويلُك، توماس هايد، وفي كتاب آخر لباركسديل Barksdale بعنوان «ذكرى شخصيات لها تاريخ»، ج 4، ص 133 - 135، معلومات ضئيلة لا قيمة لها. ويعطينا أوتس Oates، في كتابه عن تاريخ مكتبة جامعة كيمبردج، وخصوصا الفصلين السابع والثامن، وصفا مفصلا ومقبولا لشخصية ويلُك يحيل القارئ إلى دراساته الأنجلوساكسونية وأنشطته كأمين مكتبة جامعية. وكان اسمه يُتَهَجى بأكثر من طريقة، منها «ولوك» Wheloc أو «ولوك» Whelock (وينطقها أوتس بطرق مختلفة)، وحتى وايلوك Whillock كما ينطقها توماس آدمز، ولكن في جميع الرسائل الإنجليزية التي قرأتها له وجدته يوقع اسمه ويلُكْ Wheelock'.

(152) انظر: أوتس، ص 177. وقد حفظ الأخير ضمن رسائل أخرى ملك ويلك في مخطوطة في مكتبة جامعة كيمبردج الرقم 3. 13.

(153) انظر: هولت، «دراسة مؤرخي العربية» دراسات في تاريخ الشرق الأدنى، ص 40. ومن المرجح أن زوجة بدوِل هي التي أكدت هذا لأن بدوِل، الذي تُوفيّ ليس بعد ذلك بكثير، كان قد ضعف فلم يقدر على الكتابة.

(154) مخطوطة في مكتبة جامعة كِيمبردج، الرقمان 3، 12. ومنها مقتطفات نشرها هولت بعنوان: «دراسات»، ص 37 - 42؛ ونشرها - جزئيًا - إلِس في «رسائل الأدباء»، نقلناها من نسخ بيكر مخطوطة في المكتبة البريطانية، هارلي: 7041.

(155) أوضح آربري أهمية هذه الصلة في كتاب يسميه: «مدرسة كيمبردج لعلوم العربية»، ص 9.

(156) قارن بين رسالة نائب رئيس الجامعة وعمداء الكليات إلى آدمز بعد ذلك بأربع سنوات: «نظن أن عمله لا يسهم في تقدم الآداب عامة فقط، بل سيسهم أيضا في إخراج الكثير من المعرفة المحبوسة في اللسان العربي إلى دائرة الضوء، وأيضا

ستكون خدمة للملك والدولة سواء في مجال التبادل التجاري مع الأمم الشرقية، والتوسع في حدود الكنيسة، ونشر الدين المسيحي بين الناطقين بالعربية السادرين اليوم في الظلمة» (آربري، في المرجع السابق، ص 7 - 8؛ ونشرها «تود» في كتاب- كتاب: «حياة والتون» ج 1 ص 236 - 237، من نسخة موجودة في قصر لامبث).

(157) انظر: أوتس ص 304 والصفحات التالية.

(158) رسالة بتاريخ 3 مارس (1632، هولت، «دراسات»، ص 38).

(159) في رسالة إلى توماس غريفز العام (1639) يقول ويلك: «أشعر بالخجل وأنا أنبئك بأن العدد المتقدم لدراسة العربية بهذه الجامعة قليل» (طبعها برش في أعمال غريفز الكاملة، ج 1، ص 69)، وكتب إلى السير سيموندز ديوس رسالة بتاريخ 4 نوفمبر العام (1641) يقول فيها إنه محبط من قلة عدد الطلاب الذين يحضرون محاضرة اللغة العربية التي يلقيها في الثامنة صباحا (مخطوطة المكتبة البريطانية، هارلي 374، الصحيفة الرقم 164).

(160) انظر: أوتس، ص 182 - 183.

(161) لمزيد من التفاصيل انظر: أوتس، ص 185 - 188.

(162) انظر أوتس، ص 204 - 209.

(163) أفاض أوتس في شرح هذه الأنشطة في ص 194 وما بعدها.

(164) انظر: «رسائل أشر»، الرقم 85، ص 329 (12 يوليو 1625).

(165) مخطوطات المكتبة البريطانية، هارلي الرقم 374، صحيفة 209 (23 سبتمبر العام 1642).

(166) رسائل أشر، الرقم 248، ص 546، من دون تاريخ، ولكن في المتن ما يدل على أنها في ديسمبر من العام 1649، رافيوس: خمس عشرة رسالة، ص 28 - 32 (12 نوفمبر 1647، 11 فبراير، 1648).

(167) انظر «أوراق هارتلب»، 33/4/2 (12 نوفمبر، 1647).

(168) يفسر ويلْك البسملة تفسيرا غريبا، فهو يرى أن رسول الإسلام استبدلها عمدا بالبسملة المسيحية التي تقول: بسم الآب والابن والروح القدس، وقد ذكرها أكثر من مرة في رسالته إلى أشر التي أشرنا إليها الآن.

(169) انظر «أوراق هارتلب».

(170) انظر «الانحياز للسامية» Philo-Semitism لكاتز، ص 209، برقم 62، لمزيد من المعلومات عن جون بونكل زميل كلية إتون، وكان يراسل بوكوك، وربما كان ويلْك يفكر في جون غريفز أكثر من تفكيره في توماس.

(171) انظر «أوراق هارتلب»، 15/6/18 و 15/6/ 20.

(172) انظر الفصل التاسع من هذا الكتاب لمعرفة مزيد عن هذا المنصب.

(173) انظر رافيوس، «القرآن» (أمستردام، 1646، شنورر، الرقم 371)، مع العلم أني لم أرَ هذا المطبوع النادر.

(174) «أوراق هارتلب» 15/ 6/ 27.

(175) «وصف للقساوسة الذين فُصلوا»، ص 340 والصفحات التالية، إسحق بارو، ص 17.

(176) انظر: تود في كتابه، «حياة والتون»، ج 1، ص 231، لمزيد عن اهتمام ويلْك الكبير بالمشروع انظر المرجع السابق ص 55 - 57.

(177) انظر: أوتس، ص 209 - 211، وفيها تفاصيل متصلة بالمطبوعات التي استخدمها ويلْك، في طبعته.

(178) انظر أوتس، الفصل التاسع يتناول بشيء من التفصيل عملية الحصول على المخطوطات في أثناء فترة ولايته.

(179) لمزيد من التفاصيل انظر أوتس ص 222 - 231، وانظر أوتس، «مخطوطات توماس إربنيوس».

(180) انظر أوتس، ص 164 - 166. والحق أن العلماء قد بالغوا كثيرا في قيمة هذه المخطوطات بمقاييس ذلك الزمان؛ ففي أواخر القرن السابع عشر عُرِضت مخطوطات يوليوس - وكانت أهم من مخطوطات إربنيوس بكثير من ناحية القيمة والعدد - بمبلغ قدره أربعمائة جنيه إسترليني، ولم تجد مشتريًا في ذلك الوقت؛ ودفعت جامعة أكسفورد مبلغا قدره ستمائة جنيه إسترليني ثمنا لأربعمائة وعشرين مخطوطة من مخطوطات بوكوك.

(181) انظر أوتس، ص 163، يلاحظ أن اسم «ويلُك» يأتي على رأس قائمة أولئك الذين صوتوا لمصلحة الدوق، على رغم أن ذلك ربما كان يعكس موقفه المذعن - كالعادة - للسلطة القائمة؛ فقد كان عميد الكلية، الدكتور باسك، من أقوى أنصار دوق بكنغهام.

(182) يصف أوتس هذا الموقف وصفا كاملا في ص 217 - 222.

(183) انظر أوتس، ص 213، رسالة بدوِل في 12 أكتوبر 1630، التي يَعِد فيها بالهبة، مطبوعة في كتاب هاملتون المعنون بـ «وليام بدوِل» ص 103.

(184) رسالة بتاريخ 31، مخطوطات المكتبة البريطانية، هارلي، الرقم 7041، الصحيفة الرقم 59 شمال (نسخة بيكر من الأصل في مخطوطات مكتبة جامعة كيمبردج، الرقم 113/6).

(185) ص 224، الهامش الرقم 14.

(186) انظر الفصل السابع، حيث تحدثت عن عملية الحصول على مزيد من المخطوطات العربية بعد هذا التاريخ، وعن تلاميذ ويلُك.

(187) انظر أوتس، 224 - 225.

(188) انظر مخطوطات البودليان، 322، والتي منحها السيد جون روثي في العام 1601، انظر ماكراي، «الحوليات»، 421، ويكفيلد، «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 128. أضف إلى ذلك أن النسخة التي تضم جزءا من القرآن، والتي تبرع بها السير هنري وتون في العام 1604، اشتمل عليها الفهرس الذي أعده جيمس فيما سماه: «الفهرس» **Catalogus**، ج 2.

(189) انظر «فهرس» جيمس، ص 112، 181، 316، 588، 365، و 282.

(190) لمزيد من التفاصيل انظر ويكفيلد، «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 129.

(191) انظر بودلي، «رسائل إلى جيمس»، الرقم 83، ص 88.

(192) انظر ماكراي، «الحوليات»، ص 36.

(193) انظر بودلي، «رسائل إلى أكسفورد»، 21، اقتبسها ويكفيلد في مصنفه: «المخطوطات العربية»، ص 129، «حوليات ماكراي»، 42. ولمزيد من التفاصيل عن المخطوطات العربية التي تبرع بها بندار انظر: ويكفيلد في المرجع السابق.

(194) انظر مادان، «كتب أكسفورد» ج 1، 230. وفيما يتعلق ببرِت (1560 - 1637) الذي كان زميل كلية لنكن، وعيّنه الملك جيمس الأول في العام 1604 واحدا من المترجمين الذين ترجموا الكتاب المقدس إلى الإنجليزية، انظر أنتوني وود في كتاب «أساتذة أكسفورد»، ج 2، ص 611 - 612، حيث يصفه الكاتب بأنه: «ذو مهارة فائقة، وعميق المعرفة باللغات اللاتينية واليونانية والعبرية والكلدانية والعربية والحبشية». وربما كان مرد ذلك إلى كراسة دوّن فيها ثلاث أطروحات باللغة اللاتينية، ويتبع كل أطروحة بشروح بلغة أو لغتين من اللغات اليونانية والكلدانية والسريانية والعربية والحبشية (ويبدو أن اللغات الثلاث الأخيرة كتبها برِت نفسه). وتظهر اليونانية واللاتينية في شكل شعري، وتظهر سائر اللغات نثرا. أما السطور الأربعة المكتوبة بالعربية بخط يد مضطرب، فتبين فقط أن برِت إنما أتقن أساسيات هذه اللغة إتقانا. والحق أني لم أرَ القصيدة العربية التي كتبها برِت بمناسبة «مؤامرة البارود» في المخطوطة التي تركها سِلدِن 84 (موجز فهرست المخطوطات الغربية في مكتبة البودليان، الرقم 3472).

(195) سيرة حياة أبي دقن تناولها بالتفصيل هاملتون في كتاب «رحالة مصري»، ونحيل إليه القارئ لمزيد من المعلومات فيما يتصل بعمله في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبلاد المنخفضة وبافاريا والنمسا والقسطنطينية، وكتاباته المنشورة وغير المنشورة.

(196) رسالة إربنيوس إلى بدوِل في كتاب هوتسما: «المراسلات الشرقية» Houtsma, Oostersche Correspondentie، ص 6 - 7. وفي رسالة أبي دقن لإربنيوس في 8 يوليو 1611 المنشورة في المصدر السابق، ص 13 - 14. أما رسالته إلى بدوِل في 28 أغسطس 1610 فمطبوعة في كتاب هاملتون «وليام بدوِل»، ص 99 - 100 (تُصحح من المصدر السابق، فهو يستبدل بـ «ولله العوض» عبارة «ولله العون». أما رسالته إلى اسكاليجيه في 25 سبتمبر 1608 ، فجزء منها مطبوع في كتاب هاملتون: «رحالة مصري» ص 124 هامش 14 (يحذف الملخص العربي). وفيما بعد - في لوفان - يؤلف بارباتوس كتابا في

النحو العربي (غير مطبوع، ولكن توجد نسختان منه في فيينا). وتظهر اللاتينية والعربية الفصحى تقدما كبيرا في آدابه، لكنه ربما ساعده أحدهم في اللاتينية، والنحو كله مأخوذ من إربنيوس.

(197) يذكر أبو دقن الوصايا التي وجهها إربنيوس لأخته ماريا وبدول في رسالة إلى إربنيوس من لندن، (انظر كتاب هوتسمان «المراسلات الشرقية» Oostersche Correspondentie، ص 13 – 14). ومن المرجح أنه استقبل وصايا كاسوبون المذكورة هنا قبل وصوله إلى إنجلترا؛ فقد غادر كاسوبون نفسه باريس في العام 1610، وأخبر أبو دقن في رسالته إلى بدول في 28 أغسطس 1610 أنه رأى كوسوبون في لندن (هاملتون، «حياة بدول»، ص 100).

(198) من الواضح أنه كان يعرف بعض العربية، وعرفنا ذلك من الرسالة التي ذكرنا أن أبا دقن أرسلها إلى بدول يخبره فيها بأنه سيرسل رسالة إلى سمث باللغة نفسها.

(199) بودلي، «رسائل إلى جيمس»، الرقم 188، ص 193 – 194، في 14 أغسطس 1610. وينبغي أن نلاحظ أن هذه الرسالة هي المصدر الوحيد لوصف وود لأبي دقن في معجم الأعلام الذي ألفه، ج 1: ص 301 – 302 (في «علماء أكسفورد»، تحرير بلس، مجلد 2). ولما كانت رسالة بودلي مؤرخة بالشهر واليوم دون السنة، فإن وود لم يوفق في التخمين حين قرر أن السنة هي 1603، مما انتهى إلى اضطراب فيما يخص زيارة أبي دقن إلى إنجلترا إلى يوم الناس هذا.

(200) يرى فينغولد في كتابـ : «مدرسة أكسفورد في الدراسات الشرقية»، أنه ربما كان من بين طلابه رتشارد كلبي وآرثر ليك، وكلاهما كان يقتني كتبا عربية مطبوعة، وكان آرثر ليك صاحب مجموعة كبيرة من الكتب العربية 1617، (المرجع السابق، الهامش الرقم 87).

(201) مادان، «كتب أكسفورد»، ج 1، ص 80.

(202) فيما يتعلق بكتب النحو العربي التي تبرع بها سليد لمكتبة مدينة أمستردام في العام 1612، والتي وضع هوامشها ثونيز، انظر كتاب جونز، «تَعَلُّم العربية»، ص 180. وتوجد رسائل كثيرة من سليد إلى سبراند لوبرت في مخطوطات المكتبة البريطانية تحت الرقمين: 22961 و 22962، ولكن لا هذه ولا الرسائل المنشورة في الكتاب الذي ألفه نجنهوز Nijenhu-is المعنون بـ «ماثيو سليد»، يمكن أن يلقي أي ضوء على تحصيله في مجال العربية، أما أخوه الأكبر صامويل سليد، فقد تعلم العبرية على يد ليون دا مودينا، وفق رسالة كتبها إلى تنغناغل من البندقية في 1 أغسطس 1608.

(203) لمزيد من المعلومات عن هذه الحادثة، وكثير من تفصيلاتها غير واضح (على سبيل المثال، هل حصل أبو دقن على إذن من بدول لنسخ النص؟ وما النسخة التي نسخ منها بالضبط؟)، انظر هاملتون «رحالة مصري»، 130، بالهامش الرقم 26.

(204) انظر الفصل التاسع، الجزء الثالث في هذا الكتاب.

(205) انظر الرسالة الاحتفالية التي أرسلها وليام لايتفورد إلى بنكي بعنوان: «جهد حب مسيحي صادق للمسيح»، وقد استقى وود من هذه الرسالة معلومات عن مهارات بنكي في اللغة (علماء أكسفورد، ج 2، ص 475).

(206) باسور، «السيرة الذاتية»، ص 19 – 59.

(207) حصل لود على مخطوطة عربية في الطب من كلايتون في العام 1636، انظر في هذا الكتابـ : الفصل الرابع.

(208) أما الأجور المستحقة لهذه المحاضرات فلم تدفعها الجامعة، ولكن، كما يقول تولز (ص 2)، من خلال معاش جمعه لـه تلاميذه. على أن وود في كتابه («التاريخ والآثار»، ج 2، ص 903) يلاحظ أن كلية مرتون أسهمت، ويرى أن هناك كليات أخرى كثيرة أسهمت أيضا.

(209) انظر: باسور، «المحاضرة الافتتاحية» (مادان، «كتب أكسفورد»، ج 2، ص 109).

(210) أغلب الظن أنها الطبعة الثانية التي أصدرتها مطبعة إربنيوس في العام 1623، مجلة فقه اللغة العربية، العدد 67، فضلا عن الطبعة الأصلية التي أصدرها رافيلنجيوس في العام 1614.

(211) لا شك في أن مصادر باسور الرئيسة هي المحاضرتان الأولى والثانية التي ألقاها إربنيوس، وهما مطبوعتان في كتاب الخطب (لايدن، 1621)، انظر الترجمة الإنجليزية للمحاضرة الثانية التي أنجزها جونز بعنوان «توماس أربنيوس يتحدث عن أهمية اللغة العربية». وكثير من الموضوعات المشابهة يمكن أن نجدها (ونحن هنا نتحدث عن المصادر الإنجليزية

فقط) في التصديرات التي حررها بدوِل (هاملتون، «وليام بدوِل»، الملاحق II)، وفي المحاضرات الافتتاحية التي ألقاها توماس غريفز (أكسفورد، 1637) وإدموند كاستل (كامبردج، 1666).

(212) في هذا الخصوص يلاحظ أن كاسوبون وأشر يذكران النص العربي للكتاب المقدس في حجاجهما في وجه بارونيوس.

(213) لم أطلع على المخطوطة المكتوبة بالحروف الكرشونية تلك، التي استخدمها جون غريغوري أيضا.

(214) هذا الكتاب عن الأحلام لمؤلفه أبو سعيد نصر الدينوري (مخطوطات البودليان، في الرقم 323)، ومواعظ أفرام (مخطوطات البودليان بالرقم 571) من بين المخطوطات التي تبرع بها بول بندار في العام 1611.

(215) انظر ويكفيلد، «المخطوطات العربية»، ص 129، وهو يقدر عدد المخطوطات العربية في المكتبة في زمن باسور بأنها تسع عشرة مخطوطة.

(216) «رسائل» أشر، الرقم 213، ص 511، وكان يقول: من الأفضل ألا نلقي بالا لهذه الدراسات الشرقية، ونحن لا نحبهم، وهم لا يحبوننا. 'nihil omnino praestat in Orientalibus, & eorum amorem penitus rejecit'

(217) مخطوطة تانر، الرقم 72، الصحيفة الرقم 211، واقتبسه فينغولد في كتابه: «رعاة وأساتذة»، ص 121.

(218) انظر: فينغولد، «مدرسة أكسفورد في الدراسات الشرقية»، وانظر: «يوميات كروسفيلد»، ص 12. ولمعرفة أصل الظن بأن رتشارد بوسبي، الذي أدخل العربية في مدرسة وستمنستر حين كان ناظرا لها، ربما حضر محاضرات باسور، انظر الجزء العاشر من الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(219) وفق ما نقرأ في ص 3 – 4 من مقال غورغاني «وصف موجز لحياة المؤلف وموته» في كتاب «غريغوري» Posthuma، تَعَلَّم اللغات الساكسونية والفرنسية والإيطالية والإسبانية وجميع اللغات الشرقية، والتي ساح فيها سياحة بعيدة المدى من دون مرشد يرشده فيما عدا السيد دود المتخصص لتفسير الوصايا العشر، والذي ائتنس غريغوري بالندوة معه، وعلمه باللغة العبرية، في أثناء إجازة قضاها قريبا من بانبري. والحق أن وصف ديفيد لويد لغريغوري (في مذكراته ص 86 – 90) مقتبس كلية من غورغاني، ولم يضف إلا القليل جدا.

(220) «علماء أكسفورد»، ج 3، 205 – 207.

(221) فيما يتصل بهذا الجانب من تعليمه، انظر فينغولد «مدرسة أكسفورد للدراسات الشرقية».

(222) غريغوري، «ملاحظات ومتابعات»، ص 23.

(223) الاتفاق مطبوع في كتاب جونسون وغيبسون المعنون بـ «الطباعة وميزاتها في أكسفورد»، ص 13.

(224) مخطوطة سلِدن المذكورة أعلاه، 278c، وللاطلاع على مزيد عن هذه المخطوطة المشهورة للمجالس انظر الفصل الرابع ص106. من المفترض أن سلِدن أراد الاطلاع عليها في أثناء بحثه عن أوتيخيوس Eutychius (المنشور في وقت متأخر من ذلك العام) وفيه طبع مقتطفا طويلا من المخطوطة عن المشاركين في مجلس نيقيا (ص 90 – 114).

(225) تظهر أيضا حروف فكرز السريانية، في هوامش ص 195 وص 201.

(226) كان عامل المطبعة «وليام دغارد» رجلا متعلما، وكان في ذلك الوقت ناظر مدرسة مرشانت تايلورز (روستنبرغ، وليام دغارد، 133 – 139)، حيث يُفترض أنه كان يدرّس العبرية للشاب إدوارد برنارد. على أنه من الواضح أنه لم يكن يفهم كلمة واحدة من العربية، لكنه كان يقابل نسخة غريغوري المكتوبة بخط يده بالحروف التي تخيل أنها مشابهة. اشترى الحروف وأدوات أخرى من جيمس يونغ، ابن روبرت يونغ ووريثه، الذي طبع كتاب فكرز.

(227) تعليقاته على القرآن في التصدير الذي كتبه لكتابه «ملاحظات ومتابعات» لا يُفهم منها أي تعصب على غير عادات زمانه، ومن قوله مثلا: «والكتاب نفسه لا عيب فيه على الإجمال، إذا أمعنا النظر في نصه العربي، أو في ترجمة صادقة أمينة له».

(228) لقد ارتكب بنبردج الخطأ نفسه حين نسخ بالعربية هذا الجزء من مخطوطة كلية الثالوث الرقم 383، الصحيفة الرقم 45، شمال. ويذكر غريغوري «جداول القاس» في كتاب «ملاحظات ومتابعات»، ص 14، 31، 156، وما نُشر بعد وفاته، ص 110.

(229) على سبيل المثال: «ملاحظات ومتابعات»، ص 75، ما نُشر بعد وفاته، ص 273.

(230) «ملاحظات ومتابعات»، ص 85. ولاتزال المخطوطة في بيليول (مانورز، فهرست مخطوطات كلية بيليول، الرقم 327) مع رسالة من غريغوري يبين فيها أنه يعيدها بعد وقت طويل من الإعارة.

(231) انظر «يوميات كروسفيلد»، وفي الصفحة 81 نجد أن «السيد غريغوري جاء ليستعير كتاب ثيسيوس أمبروزيوس Theseus Ambrosius (وعلى سبيل المثال: «مدخل إلى اللغة الكلدية وعشر لغات أخرى») من مكتبة كلية الملكة في العام 1635، والهدف هو تعلم الأرمنية «الذي يستطيع القيام به بمساعدة شخص من الأرمن موجود الآن في المدينة».

(232) مثلا: «ملاحظات ومتابعات»، ص 46 و ص 88.

(233) ربما في العام 1614 أو العام 1619 وُجدت نسخة مطبوعة في مطبعة «سافريانا» ex typographia Savariana (شنورر، الرقم 324) فضلا عن المخطوطة.

(234) مخطوطة كان يملكها إربنيوس في السابق (أوتس، 225)، انظر على سبيل المثال «ملاحظات ومتابعات»، ص 156 - 157، منشورة بعد الوفاة، ص 8 - 9.

(235) مثلا: «ملاحظات ومتابعات»، ص 89، 155، منشور بعد الوفاة، ص 85 ، 108.

(236) مخطوطة سِلدِن السابق ذكرها، 108، الصحائف الأرقام: 52، 243، 278e، 278a.

(237) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 112.

(238) انظر: أولمان، «دراسة العربية والتركية والفارسية»، ص 115 - 121.

(239) وهو يسميه Aben Rois (وهو خطأ في اللغة العربية)، «ملاحظات ومتابعات»، التصدير (15)، و74. وهذا دليل على أنه لم يحضر محاضرة «باسور» الافتتاحية، التي كتب فيها باسور الصيغة الصحيحة لاسم ابن رشد.

الفصل 4

(1) لود، «الأعمال الكاملة»، الرقم 5، ج 1، 135.

(2) انظر تريفور - روبر، «لود: رئيس الأساقفة»، ويُعد هذا الكتاب من أفضل الكتب التي تناولت حياة لـود، على الرغم من أن تناولـه تطوير الناحية الأكاديمية في أكسفورد ومعاهد علمية أخرى كان في حاجة إلى التوسعة. وللمؤلف مقال آخر بعنوان: «المدرسة اللودية والسلطة السياسية» في كتاب لـه بعنوان: «الكاثوليك والأنجليكان والمتطهرون»، يمكن قراءته من أجل تحليل أهداف لـود الدينية في معرض حديثه عن الكنيسة والجامعات.

(3) مطبوعة من قبل ماكاري، «الحوليات»، ص 69 - 70.

(4) «مخطوطات رو»، ص 26، وقد حصل رو على هذه المخطوطة من البطريرك سيريل لوكاريوس.

(5) انظر ماكاري، «الحوليات»، ص 78 - 79 لتقييم هذه النصوص. أما مجموعة مخطوطات دغبي العربية الأقل عددا، ومخطوطات شرقية أخرى وصلت إلى المكتبة فيما بعد في العام (1640)، فقد دخلت خطأ في مجموعة لود، فلم يكن إلا سببا في وصولها، انظر ويكفيلد، «المخطوطات العربية»، ص 131.

(6) انظر هَنْت، «المخطوطات اللودوية»، وهو مدخل لتناول تفصيلي لتواريخ مقتنيات لـود وأصولها، ومتى وصلت إلى مكتبة البودليان. المجموع الكلي لهذه المخطوطات هو ألف مخطوطة أو أكثر، كان ربعها من المخطوطات الشرقية، وربما أكثر من 147 مخطوطة منها عربية (ويكفيلد، «المخطوطات العربية»، ص 130).

(7) انظر «أعلام أكسفورد»، ج 3، ص 306، وانظر وود، «تاريخ المخطوطات القديمة» ص ii، وص 1، وص369، حيث يقول: إن العَالِمين الأكسفورديين اللذين كان لـود يراسلهما بانتظام عندما كان رئيسا للجامعة، هما تيرنر ووليام تشلنغورث، وليس

هناك شك في أن تأثير لـود كان وراء تعيين تيرنر في منصب أستاذ كرسي سافيل في الجامعة، وزميلا لكلية مرتون بعد ذلك. (انظر المصدر السابق، 2 ، ii ، ص 866).

(8) لود، «الأعمال الكاملة»، المجلدان الأول والخامس، ص 172.

(9) تريفور- روبر، «لود رئيس الأساقفة»، ص 354 - 357، خصوصا ص 355 فيما يتصل بـنشاط تيرنر.

(10) انظر «أعلام أكسفورد»، ج 3، ص 306، وللمزيد عن تيرنر، انظر أيضا وارد، «سيرة حياة أساتذة كلية غريشم»، ص131 - 135.

(11) فيما عدا بعض القصائد اللاتينية التي تتناول موضوعات شتى، أو بعض أوراق العزاء ضمن منشورات الجامعة، انظر مادان، «كتب أكسفورد»، 2، ص 687.

(12) تعرضت مقتنيات تيرنر للنهب من قِبل القوات البرلمانية بعد سجنه في العام 1642، (انظر «تاريخ كليات أكسفورد ومخطوطاتها»، ج 2& 1، 449)، وربما أدى ذلك إلى خسارة من ذلك النوع.

(13) النظر في بعض المجموعات التي جمعها لـ سِلدِن، في مخطوطة سِلدِن المذكورة آنفا 121، يكشف عن باحث منظم جدا ودقيق في اللغة اليونانية، ووفق «حوليات» مكراي، 71 - 72، فإن فهرست مخطوطات باروتشي ورو التي جمعها ترنر موجودة مع كتب سِلدِن.

(14) للمزيد عن يعقوب انظر الفصل أعلاه. وفي رسالة إلى سِلدِن في الثلاثين من ديسمبر 1641، يعبر تيرنر عن احتفاظه بزمالة كلية ميرتن ليعقوب، ويكشف عن عدائه لـبرنت. كان تيرنر أحد الذين (للمزيد عن الباقين انظر الجزء الأول من الفصل السادس من هذا الكتاب) أوصوا بـغريفز ليكون خليفته بوصفه أستاذ الهندسة في كلية غريشم. للمزيد عن توصية تيرنر بـغريفز لـ لـود انظر الجزء الثالث من الفصل السادس من هذا الكتاب. ولو كان وود تعرف على خط يده بطريقة صحيحة (في كتاب، «حياة وأزمان»، ج 1، ص 189هامش 2) فقد كان تيرنر يراسل غريفز ليس بوصفه صديقا فقط ولكن بوصفه كما يقول: قريبي.

(15) انظر: دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، 260/16، الرقم 116.

(16) انظر «دار الوثائق القومية»، أوراق الدولة 149/105، الصحيفة 63 شمال. ونحن لا نعلم شيئا عما قيل للسفراء والقناصل؛ فالرسائل المتصلة بتلك السنوات لا توجد في السجلات الخاصة بهذه الشركة.

(17) الدليل الاسترشادي الوحيد في الرسالة الأصلية هو استبعاد نسخ القرآن: «فلدينا منها الكثير بالفعل». على أي حال انظر ما يلي من هذا الفصل للحصول على دليل على أنه من العام 1634 إلى العام 1636 كان بوكوك مشرفا على اختيار المخطوطات، وشحنها، على الأقل على السفن القادمة من حلب.

(18) دار الوثائق القومية، «أوراق الدولة» 16/381، الرقم 75، صحيفة 159 شمال.

(19) دار الوثائق القومية، «أوراق الدولة»، 16/383، الرقم 43، الصحيفة 83 يمين، من دون تاريخ، ولكن المرجح أنها كُتبت في مارس أو أبريل من العام 1640، وهي مؤرخة خطأ بتاريخ فبراير 1638 ومطبوعة في «تقويم أوراق الدولة» (تشارلز الأول، من 1637 - 1638، الرقم 285).

(20) دار الوثائق القومية،«أوراق الدولة»، 105/149، الصحيفة 201.

(21) هَنْتْ، «مخطوطات لود»، ص 10 - 31.

(22) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من هذا الكتاب عن مخطوطات بدول التي كان يمتلكها لود ولم تُدرج في قائمة «هَنْتْ».

(23) انظر هَنْتْ، ص 29، للمزيد من المعلومات عن تين (والذي اشترى السير سيموندز ديوس من أرملته فيما بعد أغلب المخطوطات الشرقية).

(24) هَنْتْ، ص 12، 22، 27. وكانت هبة سايرل عبارة عن توراة موسى بالعربية، تسلمها لـود في العام 1638، وذلك قبل اغتيال البطريرك بوقت قصير، بينما كان غريفز وبوكوك في القسطنطينية (هَنْتْ، الذي أخطأ في تواريخ أنشطة غريفز في الشرق، أخطأ عندما يقول في صفحة 15: إنها ربما أُرسلت قبل أن يصل غريفز إلى القسطنطينية).

(25) انظر هَنْتْ، ص 20، 30.

(26) إذا أضفنا المخطوطات الشرقية الخمس والعشرين التي جمعها في العام 1636، وهي ربما تعود إلى بوكوك، فإن النسبة تصل إلى ثلثي المجموعة.

(27) هَنْتْ، ص 22، وص 27. وللمزيد من المعلومات عن هارفي الذي عمل وسيطا لـلـود عند شركة الشام، انظر الجزء الرابع في هذا الفصل. تبدأ رواية لـود بتاريخ 18 ديسمبر 1635، ومن هنا لا توجد سجلات للنفقات الكبيرة التي تطلبتها المقتنيات الكبيرة لتلك السنة.

(28) انظر الجزء الرابع من هذا الفصل.

(29) انظر تولِز، ص27.

(30) لود، «الأعمال الكاملة»، ج 3، 255.

(31) انظر «رسائل فوشيوس»، 1، الرقم 51. والفقرة كلها، وهي مهمة في مجال الحديث عن موقف فوشيوس فيما يتصل بدراسة العربية، اقتطفها وترجمها رادميكر Rademaker، «حياة فوشيوس»، ص 158.

(32) انظر المصدر السابق للمزيد من المعلومات حول زيارة فوشيوس إلى إنجلترا، ص 231 - 234. وانظر الجزء الخامس في هذا الفصل.

(33) دار الوثائق القومية، «أوراق الدولة» 16، 432، الرقم 11، ملف 19ر. والرسالة رد على طلب معلومات معينة من لـود (لود، الأعمال الكاملة، ج 5/1، 237).

(34) لود، «الأعمال الكاملة»، ج 5، ص 272.

(35) انظر: غريفش Griffiths، «تشريعات لود رئيس الأساقفة»، ص 317، 318، ترجمها وارد في: «تشريعات جامعة أكسفورد»، ج 1، ص 295 – 297.

(36) يظن بعض السذج أن إقرار لائحة تنظيمية يعني انصياع الجميع لها، وهو الأساس الوحيد الذي انطلق منه بورن Bourne (في كتابه «حياة جون لوك» ج 1، ص 56) في تأكيده أن لوك كان يحضر محاضرات بوكوك في اللغة العربية بانتظام، ومن هنا تعلم العربية. وهذا ما تناوله رسل بجدية، «الفيلسوف المعلم نفسه بنفسه» (حي بن يقظان)، ص239. (وانظر أيضا الجزء العاشر من الفصل السابع من هذا الكتاب).

(37) للمزيد عن هذا الموضوع انظر «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، الفصل الثالث. وعلى الرغم من أن هذه الخطط لم تصل إلى مرحلة النضج تماما في حياة لـود، فإن بعض الأجزاء المهمة كانت موجودة في اللوائح التي جرى تشريعها فيما بعد، على سبيل المثال إنشاء قسم النشر للإشراف على جميع مطبوعات الجامعة.

(38) انظر الجزء الثامن، الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(39) «أعمال لـود»، السفر الأول، ص 168.

(40) هناك تفاصيل كاملة في كتاب موريسون، «جون فِل»، الملحق 4، ص 233 – 243، والعقد الذي ينص على الحروف الطباعية بتاريخ 7 يناير 1637.

(41) انظر دار الوثائق القومية، «أوراق الدولة»، 381/16 الرقم 75، الصحيفة الرقم 159 يمين.

(42) انظر موريسون، «جون فِل»، 22، يصف الحروف بأنها لا أهمية لها. ويقول كارتر في «تاريخ جامعة أكسفورد» 34: «أقل ما يُقال في هذا الموضوع هو أن براون غير منصف في الحكم على مواد الطباعة».

(43) للاطلاع على عينات منها في الكتب الحديثة انظر موريسون، «جون فِل»، ص 240 – 242، وانظر: كارتر، «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص 33، على الرغم من أن هذين الكتابين يضمان إضافات أُضيفت فيما بعد في أواخره، خصوصا فيما يتصل بـ «فِل».

(44) انظر كتاب غريفز المعنون بـ «اللغة العربية: حيويتها ومميزاتها». ويرى مادان في كتاب «كتب أكسفورد» ج 2، ص 142، أن بعض النسخ طُبعت فيها العربية بحروف عبرية.

(45) انظر الجزء الثامن، الفصل الثالث من هذا الكتاب.

الفصل 5

(1) للحصول على موجز لحياة بوكوك، انظر كتاب هولت، «مستعرب من أكسفورد».

(2) كثيرا ما يتهجاه الباحثون Pocock بدلا من Pococke، فقد كانت التهجية الصحيحة لاسم هذا المستعرب الكبير موضوعا للنقاش بين أكثر من باحث، من بينهم نالّلينو (في كتابه «فلسفة ابْن سينا» 224e الرقم 1) الذي خلص إلى أن الاسم الصحيح هو Pocock، ولاحظت أنه على الرغم من أن معاصري نالّلينو كانوا يستخدمون التهجية الثانية، فمن المعروف أنه كان يوقع باسم Pococke، وهي التهجية التي أتبناها هنا.

(3) تحدرت زوجة المتسعرب بوكوك من هامبشاير، وكان هو يمتلك أرضا هناك، وربما وقفنا على الصلات الكثيرة بين عائلتي بوكوك وغريفز (من هامبشاير) من خلال الصلات التي كانت تربط بينهما من ناحية القرابة، وليس من خلال الصداقة الوثيقة بين إدوارد بوكوك وجون غريفز.

(4) ومن التلاميذ الذي ذاع صيتهم فيما بعد كان جون فِل وآنتوني وود.

(5) انظر كتاب لويد جونز، «اكتشاف العبرية»، ص 94 - 95، وانظر أيضا ص 204 - 205.

(6) من المؤكد أن سِلدن عرف بوكوك قبل أن يذهب إلى حلب، فهو الذي قدمه للقنصل جون وندزفورد (انظر الرسالة التي اقتطفنا منها آنفا، الجزء الثالث من الفصل الثالث).

(7) لمعرفة تفاصيل زيارته لرؤية رادَميكر، انظر «حياة فوشيوس»، ص 231 - 235.

(8) انظر كتاب بوكوك المعنون بـ «الرسائل السريانية». وقد أرفق بها نسخة طبق الأصل بالحروف العبرية، وأسفلها النص اليوناني، وترجمة بوكوك اللاتينية من السريانية يعقبها نحو 43 صفحة من الهوامش، وفيها مقتطفات من النسخة العربية (ربما من طبعة إربِنيوس للعام 1616 للعهد الجديد).

(9) كان روبسون قد وصل إلى حلب قبل شهر يوليو من العام 1624، وقد عاد إلى كليته في الثاني عشر من ديسمبر من العام 1628، انظر يوميات كروسفيلد، ص 31. وفي العام نفسه نشر كتيبا صغيرا بعنوان «ذكريات حلب» (انظر هاملتون، «اهتمام الإنجليز بالنصارى الناطقين بالعربية»، ص 36). وتبرع بمخطوطتين شرقيتين لمكتبة البودليان في العام 1631 (ماكراي، «اليوميات»، ص 74، ص 128).

(10) للحصول على تفاصيل عن أجور القساوسة ومكافآتهم انظر ما كتبه بيرسون، «قساوسة شركة الشام»، فهو يرجع إلى سجلات الشركة المحفوظة في دار الوثائق القومية.

(11) توجد في المكتبة البريطانية يوميات غير منشورة لـه، مخطوطة هارلي، الرقم 7021.

(12) انظر تولِز، ص 14 - 15.

(13) انظر تولِز وهو يشرح رسالة بوكوك لأعضاء البرلمان الذين صادروا أراضي لود بعد إعدامه في العام 1645.

(14) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، 381/16، الصحيفة الرقم 159 يمين. كانت الفترة التي منحتها كلية كوربس كرستي لـبوكوك كزميل هي ثلاث سنوات، وكان بوكوك قد عُيِّن قِسا لمدة أربع سنوات.

(15) انظر أشر، «الرسائل»، الرقم 144، ص 411.

(16) يذكر جونسون غريفز بوصفه صديقه في رسالة إلى بِنبردج من فيينا في الثامن والعشرين من فبراير/ التاسع من مارس من العام 1632، (مخطوطة كلية الثالوث في دبلن الرقم 382، الصحيفة 104 يمين).

(17) ذلك في رسالة في الخامس من ديسمبر من العام 1636، مخطوطة رسائل راولنسون 82 الصحيفة الرقم 155 (مطبوعة في رسائل فوشيوس، 2، الرقم 329): «إذا كان الوقت مناسبا في سورية فإني متوقع هذا كله 'Si rationem exacti in Syria temporis ut reddam (quod iure poteris) expectes'.

(18) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، 105 و148، الصحيفة 218 شمال، و219 شمال، اقتبسه هولت في كتاب «مستعرب من أكسفورد»، ص 4 و5.

(19) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة الرقم 148، الصحيفة 119 يمين، و125 يمين، و138 يمين، إذ يضع مجلس إدارة الشركة في اعتباره أن الرجل يستحق شغل هذا المكان بجدارة، فإنه يأخذ على السيد فِتبليس إرساله إلى هناك من دون إحاطة الشركة علما بذلك.

(20) لم يستطِع تــولز التأكد من تاريخ مغادرته إنجلترا. يقول وود في كتاب «تاريخ شركة الشام»، ص 211، إن سَفن الشركة كانت تبحر عادة قبل الأول من يونيو. ولكن لدينا مصدرا معاصرا (رافيوس في «رسائل فوشيوس»، 2، الرقم 295) يقول إنه في العام 1640 كانت السفينة العامة تبحر من دوفر في نهاية شهر يوليو أو بداية شهر أغسطس. وحتى مع التاريخ الأسبق، فإن الرحلة التي تستغرق 20 أسبوعا، على الرغم من طولها، لم تكن مستحيلة. ولقد استغرقت رحلة السفينة سامبسون 17 أسبوعا من سميرنا إلى لندن في العام 1641، (رافيوس، «الخطاب»، ص 69). وفي العام 1668 يسجل توماس سمِث، على متن السفينة التي تقل السفير إلى القسطنطينية، أن الرحلة استغرقت ثلاثة أشهر ونصف الشهر لتقطع الرحلة من داونز إلى سميرنا (انظر: سمِث، «يوميات الرحلة من إنجلترا إلى القسطنطينية»).

(21) انظر سمِث، «قصة الكنيسة اليونانية»، ص 287، حيث يقول: إن نسخة بوكوك من الرسالة التي أرسلها إلى لود فيما يتصل بوفاة سايرل لوكاريوس قد فُقدت - لسوء الحظ - في أثناء الحرب الأهلية. ومن المرجح أن تكون مراسلات بوكوك قد عانت هذا الضياع أيضا.

(22) انظر هولت، «قصة مستعرب من أكسفورد»، ص 32 الرقم 9، حيث يقول إن هذا الرجل الذي عرفه سامي الكيلاني (صفحة من تاريخ حلب الأدبي، ص 8)، بالشاعر فتح الله الحلبي هو «ابن النحاس». لم أرَ هذا العمل، ولا أعرف سبب هذه التسمية، ولكني لا أثق بهذه الرواية؛ فقد مات الشاعر في المدينة في العام 1642، في حين كتب هنتنغتون إلى بوكوك من حلب في العام 1671 بأن شيخه العجوز، الذي مات قبل ذلك بسنوات متعددة، كان يتذكر بوكوك وهو على فراش الموت، وليس من المعقول أن يشير ذلك إلى حادثة جرت قبل ذلك بثلاثين عاما في دولة أخرى.

(23) انظر ويكفيلد، «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 142 الرقم 86، وفيها قائمة بثلاث مخطوطات من الشعر العربي لصاحبها بوكوك ونسخها الدرويش.

(24) انظر كتاب هوتسما، «المراسلات الشرقية»، ص 48 - 50.

(25) وقد فرغ من النسخة - وفق التوقيع - في يوم الجمعة الموافق الخامس عشر من ذي الحجة في العام 1036، الموافق السابع عشر من أغسطس في العام 1627. وهي نسخة تسلمها يوليوس قبل أن يشتري لـه ويلهم النسخة الأصلية في التاسع عشر من سبتمبر من ذلك العام. وقد أودع يوليوس النسخة مكتبة لايدن، وهي الآن مخطوطة أصلية الرقم 14 (1)، وحفظ الأصل لنفسه (مخطوطات مارش الرقم 667 في مكتبة البودليان).

(26) مخطوطة لايدن الأصلية الرقم 1228، ص 90، عرفت هذا فقط من ملخص هوتسما، «المراسلات الشرقية»، ص 49 - 50 .

(*)«وتشير هذه الرسالة إلى أن يوليوس يستقطب أحمد ليس إلى حلب وإنما من حلب إلى القسطنطينية، انظر هيلاري كلباترك «مكتبة البودليان الأدبية» 23، 2010، ص 39، الهامش 53» (من ملاحظات تومر).

(27) انظر: هولت، «المؤرخون العرب في القرن السابع عشر»، ص 42 - 45، وهناك ترجمة غير دقيقة بالمرة لمقدمة إحدى تلك الرسائل، ترجمها إدوارد بوكوك الابن بعد وفاة أبيه، وطبعها تولز منذ زمن، ص 31 - 33. أما نظرية أن «الدرويش الفقير إلى الله أحمد» ربما كان هو حامد الخادم الذي كان يخدم في بيت بوكوك، فهي فكرة مستحيلة؛ فقد كان أحمد يتمتع بقدر كبير من التعليم، ولم يكن من فئة العمال العاديين.

(28) من هذه النقطة إلى نهاية الكتاب سأتبع ترجمة هولت (مع اختلاف بسيط). ولمزيد عن الكتب المذكورة انظر ملاحظات هولت في هذا الشأن.

(29) يترجم هولت هذه العبارة بـ «غيرولامو Girolamo»، ولكنها بالعربية «غليلمو أو غرليمو وغويليلمو»، وتجب ترجمتها على أنها «غوغليرمو» أو «غوغوليمو». وفي الحالتين يصبح الرجل، كما يقول هولت، مترجما ملحقا

بالمصنع الإنجليزي. (*) كِلباترك، سجلات مكتبة البودليان 23، الهامش 15، يلاحظ وجود شخصين في الرسائل: غيرولامو وغويليلمو، وهو يقترح - محقا - أن غوبليلمو هو التاجر نفسه وليام كوردروي (ملاحظات تومر).

(30) لا بد أنها طبعة المطبعة الميدتشية (نزهة المشتاق، 1592) لكتاب الإدريسي في الجغرافية، وليس كما يقول هولت الترجمة اللاتينية للعام 1619، والتي لم يكن ليهتم بها الدرويش.

(31) انظر تولِز، 300. وقد سجل مراسل هنتنغتون مرور الأب سِلستينس عَبر البصرة، أغاثانجيلوس القديسة تيريزا جولانز، «سجل الأحداث المتصلة بالطريقة الكرملية في بلاد الرافدين»، ص 17 - 18.

(32) انظر الجزء الأول من الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(33) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، 329/16 الرقم 39، الصحيفة الرقم 64 يمين.

(34) هي الآن مخطوطة بوكوك الرقم 392، انظر: هولت، «مستعرب من أكسفورد»، ص 5.

(35) الخامس من ديسمبر العام 1636 (مخطوطات رسائل رولنسون، 83، الملف 155، مطبوع في كتاب فوشيوس، المعنون بـ : الرسائل، الرقم 239).

(36) انظر هولت، «مستعرب من أكسفورد»، 23 الرقم 10، وانظر: تولِز، 44.

(37) انظر الجزء الثاني من الفصل التاسع. وهناك عينة صغيرة من عمل بوكوك نشرها هـ أ. شولتنز، في العام 1773، في شنورر الرقم 223.

(38) بوكوك، أبو الفرج.

(39) لم يسجل تـولِز تاريخ مغادرة بوكوك لمدينة حلب، وكل ما يمكن الظفر به، من خلال الاطلاع على السجلات المتاحة الخاصة بشركة الشام، أن التاريخ يمكن أن يكون في الخامس والعشرين من أبريل من العام 1636، وهو تاريخ وصية تركها خليفة بوكوك القسيس توماس برشت (دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، الرقم 110، الصحيفة الرقم 216 يمين).

(40) «من الأدب القديم»، «في علم الجمال»، «في فائدة الأدب»، «في اللغة العربية»، «الخطابة في أكسفورد»، «في مدرسة اللغات»، من السابع من فبراير وحتى شهر أغسطس من العام 1738، أكسفورد 1739.

الفصل 6

(1) هناك حاجة ماسّة جدا إلى كتابة سيرة حياة جون غريفز، والتي يجب أن تتناول - إلى جانب رحلاته - أنشطته الفكرية في مجال الفلك، والجغرافيا، والرياضيات، وعلوم القياس، والموازين، والمصريات، وتاريخ العلم، وهي أنشطة تتصل وشائجها بالدراسات الشرقية. وقد كتب توماس سمِث - ضمن ما كتبه في سيرته الذاتية - سيرة مقتضبة، سطحية لجون غريفز، ومملوءة بالمغالطات، ولكن القارئ يظفر منها بمعلومات مفيدة ذكرها السيد إدوارد برنارد عن سلفه العظيم في منصب كرسي سافيل للفلك. وأما المعلومات المتواضعة التي ذكرها السيد جون وارد في كتابه المعنون بـ «حيوات أساتذة كلية غرِشَم» ص 135 - 153، فهي معلومات أكثر دقة. وهناك نبذة عن حياة غريفز ملحقة على الطبعة التي حققها السيد بيرتش لأعمال غريفز (ص 1 - 72)، وفيها تفاصيل أكثر عن الرجل. وللحصول على معلومات أكثر عن نشاط غريفز في مجال المصريات، انظر الجزء الخامس من الفصل السابع في هذا الباب. وبالنسبة إلى الجانب الفلكي في أنشطته الشرقية هناك معلومات مفيدة جدا كتبها السيد مرسير وإن بطريقة مرتبكة، في كتابه المعنون بـ «المستشرقون الإنجليز في علم الفلك الرياضي» ص 161 - 177.

(2) فوستر، «خريجو جامعة أكسفورد»، 2، ص 596.

(3) تعين له تاريخ 22 فبراير، 1631.

(4) طبعها وارد في «أساتذة غرِشَم»، ص 136.

(5) هذه الشهادات غير منشورة، ولكن وفق اتصال شخصي بالأستاذ الدكتور فينغولد قال إنها موجودة في وثائق غرِشَم بقاعة مرسير في لندن.

(6) دار الوثائق القومية، المخطوطة الرقم 381/ 16، الصحيفة الرقم 159 شمال.

(7) هذا هو العنوان الذي اقترحه وارد: «أساتذة غرشَم»، في الصفحتين 149 و150، وفيها نجد وصفا جيدا لمحتوياته المتعددة. وهي موجودة الآن مخطوطة بعنوان مخطوطة سمِث الرقم 15. وهناك بعض الملاحظات التي كتبها مرسير على الهامش منها «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 169 و170.

(8) انظر إنز سمِث في كتابه المعنون بـ «طلاب الطب الناطقون بالإنجليزية في جامعة لايدن»، ص 101. ولم يذكر الذين تناولوا حياة غريفز في القرنين السابع عشر والثامن عشر شيئا عن هذه الرحلة الأولى التي قام بها، ولكن الدليل القاطع عليها هي سجلات جامعة لايدن نفسها.

(9) أطلق يوليوس على غريفز فيما بعد عبارة auditor quondam meus، أي كان يحضر عنده كطالب مستمع (سمِث، السيرة الذاتية، «حياة غريفز»، 38).

(10) مخطوطة سافيل 47، الملف 53: بحق الصداقة التي انعقدت بيننا في لندن وهولندا pro veteri amicitiâ quae in-ter nos Lugduni Batavorum intercessit، ويظهر من الرسالة نفسها أن صلات غريفز قد توثقت في لايدن مع العلامة لوي دو ديو أستاذ اللغة الفارسية، وقسطنطين لومبرير أستاذ اللغة العبرية.

(11) دار الوثائق القومية 294/ 16، الرقم 64 ، جواز السفر الأصلي الذي كان يحمله غريفز، بتوقيع وندبانك وآخرين.

(12) دار الوثائق القومية، الرقم 318/ 21، الصحيفة الرقم 43 يمين.

(13) انظر: إنز سمِث، «طلاب الطب الناطقون بالإنجليزية»، ص 101. وقد أسهم غريفز ببعض الأبيات في هذا السفر يحتفي فيها بمناسبة تخرج إنْت وحصوله على بكالوريوس الطب في جامعة بادوا في العام 1636 (معجم أعلام الوطن، السير «جورج إنت»، ص 795).

(14) قدم وصف غريفز لطريقة إعداد بيض الدجاج للفقس في القاهرة في أفران أُعدت لهذا الغرض، لأعمال الجمعية الفلسفية (يناير - فبراير 1678).

(15) انظر رسالته إلى بوكوك في 23 ديسمبر من العام 1636.

(16) لمزيد من المعلومات عن «بِتي» انظر - على سبيل المثال - كتاب هوارث: «اللورد آرندل وصحبه»، الفصل السادس.

(17) رسالة غريفز إلى تيرنر في 10 فبراير من العام 1637 (دار الوثائق القومية، أوراق الدولة الرقم 381/ 16، الصحيفة الرقم 159)، وقد وردت هذه المعلومات نفسها في رسالة سابقة إلى بوكوك، أوجزها تولِز، ص 39 و40.

(18) لقد أوصى جون غريفز لبوكوك، تقديرا للصداقة التي ربطت بينه وأبيه، بواحد من أثمن الخواتم الذهبية (دار الوثائق القومية البريطانية، الرقم 223/ 11، الصحيفة الرقم 147 شمال)، وأما ريتشارد بوكوك، جد الرحالة الشهير الذي يحمل الاسم نفسه، وقريب من بعيد لإدوارد، فقد كان كاهنا لمدينة كولمور في هامبشاير في العام 1660، كما كان والد جون غريفز في وقت مبكر من القرن السابع عشر.

(19) انظر «تولِز»، ص 40.

(20) مقتطف بالنص من تولِز ص 42 و43، والمقتطف كامل من ناحية وارد في كتاب، «أساتذة غرشَم»، ص 137 و138.

(21) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة الرقم 381/ 16، الرقم 75، الصحيفة الرقم 159. وأما السبب في أن الرسالة لاتزال محفوظة في دار الوثائق القومية فهو أن تيرنر أعطاها إلى لود (وفق رغبة غريفز)، وأنها صُودرت فيما صُودر من أوراق لود في العام 1643، بعد محاكمة رئيس الأساقفة وإدانته.

(22) كان جون غريفز دائما يريد أن يرتقي بمصالح أسرته، ففي العام 1643، وبعد وفاة بِنبرِدج، وبينما نجح هو في الظفر بكرسي سافيل في الفلك، فإن أخاه الأصغر إدوارد، الذي كان يتمتع بالمواصفات الطبية الضرورية، حل محل بِنبرِدج كمحاضر أول في كرسي توماس لِنكَرْ في الفيزياء في مِرتون.

(23) في لندن، في كلية غرشَم.

(24) الأرجح هو نِكولاس غريفز.

(25) انظر الجزء الأول من الفصل الرابع في هذا الكتاب.

(26) انظر لود، «الأعمال الكاملة»، ج 5/ 1، 176 و177.

(27) قبل ذلك بعام، كان تيرنر قد اقترح على لود أن يحل توماس غريفز مكان بوكوك بشكل دائم. وفي 5 يوليو من العام 1636، بينما كان جون غريفز لايزال في الخارج، ولكنه كان يلح في الأمر، كتب يقول: إذا كان لقداستكم أن تتكرموا بمنح السيد بوكوك إجازة دائمة تعفيه من المحاضرة، فهناك زميلٌ لـه في المكتب، وهو السيد غريفز الذي أصبح على صلة بعالم ما وراء البحار بفضل جهوده والعون الذي يتلقاه من إخوة لـه، وقد بدأ يتعلم اللغة العربية بتشجيع من السيد بوكوك ومساعدته، والذي وجد فيه التلميذ النجيب، ولا أشك لحظة في أن الرجل سيكون خير بديل للسيد بوكوك في مكتبه إذا خلا منه (دار الوثائق القومية، أوراق الدولة الرقم 329/ 16، الرقم 39، الصحيفة الرقم 64 يمين).

(28) تولِز، 74، كانت هذه الترقيات التي كانت تضم منصب كاهن دنسبي من أبرشيات لنكنشاير بإيعاز من لود.

(29) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، 149/ 105، الصحيفة الرقم 157 شمال (مجلس إدارة شركة الشام يوم 19 مايو 1638): «استطاع السيد فِتبليس إقناع المجلس في مصلحة السيد دومينيكو السكرتير في القسطنطينية، بحيث تُشحن عشرون قطعة قماش إليه معفاة من الضرائب، وهو مطلب وافقوا عليه، كما وافق على شحن سبع قطع من القماش خصيصا للسيد بوكوك، الواعظ السابق في حلب، والذي يعيش الآن في تركيا لأداء مهمة كلفه بها سمو الأمير».

(30) تولِز، ص 99 و100، وص 74، يذكر أن إقامة بوكوك في القسطنطينية كلفته من خمسمائة إلى ستمائة جنيه.

(31) مخطوطات سافيل 47، الصحيفة الرقم 45، مطبوع في أعمال غريفز الكاملة، ج 2، ص 434 - 438.

(32) ونعني به السيد بيرت وايش (وقد خدم السيد بوكوك لديه قسيسا)، ثم خلفه السير ساكفيل كراو بعد أكتوبر من العام 1638.

(33) انظر بوكوك في كتاب «بوابة موسى» Porta Mosis، ص 90، وعن حصول رومان على المخطوطات التي كان يدخرها لـ بوكوك ومراسلاته فيما بعد معه، انظر روث «إدوارد بوكوك والتجربة العبرية الأولى في الطباعة في أكسفورد».

(34) رسالة من رومان إلى بكستورف الأصغر، طبعها كيسرلنغ، «ريشيليو، بكستورف وأولاده، يعقوب رومان»، ص 93 و94. ولم تُنفذ الخطة أبدا، ولمزيد من المعلومات عن خطة بوكوك الفاشلة للقيام بالعمل نفسه انظر الجزء الثاني من الفصل التاسع في هذا الكتاب.

(35) انظر كيسرلنغ، ص 91. وحول بوكوك «وحي بن يقظان» لابن طفيل، انظر الجزء الأول من الفصل الثامن. وقد كانت المخطوطة التي يملكها بوكوك للترجمة العبرية لمقامات الحريري (والنسخة الوحيدة التي يعرفها شتاين شنايدر Steinschneider المعنونة بـ: «الترجمات العبرية» Die hebrischen Übersetzungen 851)، مخطوطات بوكوك، ص 50 (نوفمبر الرقم 1976)، ومنها نشر تشيني العمل في العام 1872، هي نفسها التي ذكرها رومان في رسالته إلى بكستورف في العام 1633، وهي رسالة تمزقت. وهناك مخطوطات أخرى لبوكوك يملكها يعقوب رومان بأرقام 131، 134، 343 (نويباور أرقام 1345، 1453، و 1322).

(36) يظهر اسمه كثيرا في سجلات شركة الشام، وفي التقرير المكتوب حول وفاته لتقديمه لمجلس إدارة شركة الشام، في 15 أبريل من العام 1649، ذُكِرت خدمته الطويلة منذ كان طفلا وحتى الاعتماد التام على دخله من الشركة، وخبرته العظيمة الشاملة، ورحلته بوصفه مترجما، وأعماله الأخرى (دار الوثائق القومية، 105، 112، الصحيفة الرقم 48 يمين).

(37) قدم هذا الرجل إلى إنجلترا بعد وفاة سايرل، وساعده لود في الإقامة في بيليول: تولِز، ص 55 و56. ومثل بوكوك كان من أوائل شاربي القهوة في أكسفورد، انظر كتاب وود المعنون بـ «حياة وأزمان»، ج 2، ص 334.

(38) انظر هوارث، «اللورد أرندُل وصحبه»، ص 138. وانظر وارد: «أساتذة غِرشَم»، ص 138، وتجده يقول - محقا - (في السيرة الذاتية، «حياة غريفز»، ص 8) إن سمِث وضع يده على أحداث في حياة غريفز في إيطاليا، وهو في طريقه، وهو قادم من الشرق، ولكنه لم يكن على حق حين يقول إن غريفز لم يتوقف أبدا في إيطاليا في العام 1637.

(39) توجد مسوّدة هذه الرسالة في مخطوطات المكتبة البريطانية بالرقم 34727، الملف الرقم 63، ومنها نسخة ضمن مخطوطات سمِث بالرقم 93، الصفحتان 137 و138.

(40) مخطوطة سافيل الرقم 47، الملف الرقم 45، مطبوعة في «أعمال غريفز الكاملة»، ج 2، ص 434 - 438. ويظن بيرتش أن المخاطب هنا كان بيتر تيرنر وهو على حق. وأما جوهان كمكي في كتابه «باتريشيوس جونيوس»، ص 85 و86، فقد طبع الرسالة من نسخة توماس سمِث ظنا منه - مخطئا - أنها إنما أُرسلت إلى باترك يونغ.

(41) انظر الجزء السادس من الفصل السابع في هذا الكتاب.

(42) ووفق رسالة كتبها رافيوس إلى إسحاق فوشيوس من القسطنطينية (مخطوطة درفيل 470، ص 279)، كانت تلك مخطوطة إغريقية (حصل عليها غريفز من سيرجيو). على كل حال يشير غريفز بما يقول إلى أن المخطوطة باللغة العربية على وجه اليقين. في هذه الحالة يمكن أن نقطع بأنها المخطوطة العربية التي رآها هوتنغر في مكتبة غريفز في العام 1641، ووصفها بأنها: «كتاب باللغة العربية في علم الفلك، مُعان برسومات تفوق الوصف في أناقتها» (مجموعة المخطوطات القانونية، ص 31). وأخشى أن تكون هي المخطوطة التي فُقدت عندما تعرض مقر غريفز للسطو والنهب في أثناء الحرب الأهلية.

(43) انظر الجزء الأول من الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(44) انظر هَنْتْ، «مخطوطات لود»، ص 33.

(45) وقد اختير مساعدا لمجلس إدارة الشركة في لندن في 5 فبراير من العام 1638 (مع تشارلز فِتبليس)، انظر دار الوثائق القومية، بالأرقام 105، 149، 147، وكان أخو الطبيب الإنجليزي المشهور وليام هارفي، وأما ابنه السير دانيال هارفي فقد اصطحب تلميذ بوكوك السيد توماس سمِث ككاهن عند سفره إلى القسطنطينية؛ ليصبح سفيرا لبريطانيا هناك في العام 1668.

(46) انظر وود، «تاريخ شركة الشام»، ص 128، الهامش 3.

(47) مخطوطة لود الأصلية، الرقم 323. انظر هَنْتْ، «مخطوطات لود»، ص 14، وويكفيلد: «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، 140، الهامش 24، ويلاحظ ويكفيلد أنها كانت المخطوطة التي ذكرها تولِز، (ص 86) من بين المخطوطات التي تبرع بها لود في العام 1640 باسم «برسك»... مكتوبة في ورق من القطع الكبير جدا، تضم تاريخ العالم، وانظر هنت، ص 30.

(48) كان ذلك أداة تُسمى «ذات الربع» نحاسية من سبع أقدام بنصف قطر brass quadrant of 7 feet radius الذي راقب به ارتفاع نجم السماك الأعزل Spica في الإسكندرية في أبريل من العام 1639، انظر مقال مرسير المعنون بـ : «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 168. ولاتزال هذه الآلة موجودة في متحف تاريخ العلم في أكسفورد ممهورة بتوقيع Elias Allen fecit Londini 1637) (غونثر، «أجهزة الرصد الأولى التي ابتدعها أساتذة سافيل»، ص192 و193)؛ ففي رسالة إلى تيرنر من القسطنطينية في العام 1638، مخطوطة المكتبة البريطانية، بالرقم 34727، الملف الرقم 63 يعبر غريفز عن قلقه حول تأخر وصول جهازه المسمى: ذات الربع brass Quadrant من السيد ألن.

(49) لمزيد من التفاصيل انظر مرسير: «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي» ص 164 و165، وهو يرى أن التجربة التي أُجريت في رودس لم تحقق النجاح المطلوب، وهذا يعود إلى خطأ حسابي ارتكبه غريفز، وليس بسبب التجربة نفسها، فقد كانت التجربة صحيحة.

(50) مخطوطة سافيل، 47، الملف 45، وهي مطبوعة في الأعمال الكاملة لغريفز، ج 2، ص 434 - 438.

(51) مخطوطة سمِث، 15، ص 50، كما ذكرها مرسير، في كتاب «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 17. وكان بنايوتي يونانيا، ومعروفا لغريفز وبوكوك، وكان يبحث لهما عن المخطوطات في القسطنطينية، مخطوطات المكتبة البريطانية في الرقم 6193، الصحيفة الرقم 72. انظر صامويل فوستر (أستاذ كرسي غرِشَم في علم الفلك)، وهو الذي راجع ترجمة غريفز لكتاب «الفروضات» Lemmata من اللغة العربية، وهو الكتاب الذي ألفه أرشميدس، ونَشر في كتاب تركه فوستر بعد موته بعنوان «متفرقات».

(52) انظر تولِز، ص 71 و72، وكانت من صعوبات التعرف على ذلك الكسوف هي أن بنايوتي، وليس سرجيو، هو الذي رصده في القسطنطينية، وأن القنصل الذي كان يعرفه في سميرنا كان هو إدوارد سترنغر (الذي أعان غريفز في تجاربه الفلكية

عندما كان وزيرا للمالية في القسطنطينية)، ولم يصل سترنغر إلى سميرنا حتى صيف العام 1639. فمن المرجح جدا إذن أن تكون هذه الحادثة تالية، فربما كان القصد هو كسوف الشمس الذي حدث في 1 يونيو 1639.

(53) كان غريفز أكثر حيطة من بني وطنه في التحيز ضد الأتراك والمسلمين عامة، فقد قال في وصف أولئك العلماء إنهم «رجال - في ظني - جمعوا بين الأخلاق الريفية وقسوة المدينة».

(54) لاحظ رافيوس في القسطنطينية أيضا إعجاب الأتراك ببراهي، وقال: «إنهم يسمونه هناك تنخونا» (انظر رافيوس في كتاب: «في مديح اللغات المهمة التي يتحدث بها الشرق» Panegyrica Prima ص 36). ومما يثير القارئ المقارنة بين أجهزة تايخو براهي وتلك الأجهزة التي يضمها المرصد المعاصر المُسمى بمرصد تقي الدين في القسطنطينية، انظر: سايبلي في كتاب: «المراصد الإسلامية»، ص 375، والصفحات التي تليها.

(55) رسالة إلى هاردي في شهر مايو من العام 1641، («مخطوطات سمِث» الرقم 93، ص 111، مطبوعة في أعمال غريفز الكاملة ج 2، ص 442 - 446). وهذه الرسالة ساعدت غريفز على معرفة أهدافه من القيام بالرحلة وما أنجزه. ولمعرفة ما حدث في تجربة رودس، انظر أيضا المصدر السابق، ج 2، ص 371.

(56) انظر تولِز، ص 64، وانظر وارد في كتاب «أساتذة غرِشَم»، ص 141.

(57) أعطى هذه الأشياء لبوكوك الذي سجل شكره وعرفانه بالجميل في كتابه «لمع من تاريخ العرب»، ص 158 (الطبعة الأصلية)، ص 163 (طبعة 1806)، وهي الآن مخطوطة بوكوك ص 287، الرقم 13.

(58) انظر تولِز، ص 71، وهل كان هو الذي اشترى من المصريين مخطوطة الإدريسي (وهي الآن ضمن مخطوطات غريفز الرقم 42) التي زعم أنها مكتوبة في مصر؟ هذا لا يظهر من التصدير الذي كتبه لكتابه المعنون بـ «الجداول الجغرافية».

(59) يخبرني الدكتور هوارث أنه كان على خطأ عندما قال: إن غريفز كان مسؤولا عن إرسال المومياء المصرية بتابوتها الحجري ورآها الإيرل أوف آرندل، في صحبة سِلدن، على حالتها غير مغطاة على متن الباخرة في لندن، وذلك في شهر فبراير من العام 1638.

(60) مخطوطات غريفز ج 2، سجلها مرسير في كتابه «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 173 و174. ونحن لا نأخذ رأيه في هؤلاء العلماء مأخذ الجد، فلقد أخبر بوكوك فيما بعد أنه لم يجد «إلا القليل من الكتب في مصر، وأما العلماء فلم أجد أحدا» (انظر: وارد، أساتذة غرِشَم، ص 142).

(61) انظر تولِز، ص 64 و65، والفقرة كلها دليل محترم على الصعوبات والفرص التي كانت متاحة أما المسافر الأوروبي الساعي إلى شراء الكتب في القسطنطينية في ذلك العهد.

(62) انظر: تصدير غريفز لكتابه المعنون بـ «وصف خوارزم» Chorasmia Descriptio. ومن المرجح أنه نجح في القيام بذلك في أثناء الزيارة الأولى إلى روما في العام 1635، وانظر أيضا ليفي ديلا فيدا، في كتاب «البحث عن أهم مجموعة من المخطوطات الشرقية في أوروبا»، ص 335.

(63) وأما وصف غريفز للمخطوطة فقد ورد فيما كتبه سِلدن في كتاب «الزواج عند اليهود» Uxor Hebraica، ج 3، ج2 (أوبرا، 2/ 1، ص 732). ومن الواضح أن المخطوطة لم تعد موجودة في الفاتيكان؛ فلم يذكرها روسي Rossi في كتابه المعنون بـ «قائمة بالمخطوطات الفارسية» Elenco dei manoscritti persiani، ولم يذكرها أيضا ليفي ديلا فيدا في كتاب «البحث عن أفضل مجموعة مخطوطات شرقية في أوروبا كلها».

(64) انظر تولِز، ص 73، والقصيدة موجودة في مخطوطة سافيل الرقم 47، الصحيفة الرقم 93 يمين، حيث يسجل غريفز أنه ألفها وهو في الإسكندرية في العام 1638؛ ومطبوعة في أعمال غريفز الكاملة، ج 2، ص 533 - 535.

(65) لقد فُقِدت رسالة بوكوك التي أرسلها إلى لود في هذا الشأن، بيد أن تولِز استطاع أن يستثمر رسالة تصف الحادثة كان بوكوك قد كتبها إلى توماس غريفز في العام 1659، وكذلك الحديث الشفوي الذي سجله توماس سمِث عن بوكوك في كتابه المعنون بـ «وصف الكنيسة اليونانية»، ص 287 والصفحات التي تليها (وأيضا باللاتينية في متفرقاته، ص 126 - 129، وفي تحريره لمجموعات سايروس لوكاريوس... إلخ. لندن، 1707). لقد وصف غريفز الحادثة بالتفصيل أيضا في رسالته إلى

تيرنر، مخطوطات سافيل، 47 الملف الرقم 45 (ومطبوع في أعمال غريفز الكاملة، ج 2، ص 434 - 438).

(66) انظر: المقتطف من رسالة غريفز الذي أوردناه في هذا الفصل.

(67) انظر الجزء الأول من الفصل الرابع من هذا الكتاب. وكان البطريرك قد تبرع بالمخطوطة الشهيرة بالمخطوطة السكندرية للإنجيل اليوناني للملك تشارلز، والمخطوطة العربية التي تضم مجالس الكنيسة للسفير «راو»، (والتي انتهى بها الأمر بعد ذلك إلى مكتبة البودليان).

(68) انظر رافيوس، «مدخل إلى النحو العام»، وعلى الباحث أن يحتاط في التعامل مع كل ما هو منسوب إلى رافيوس، فقد تبين أنه، مثل ناسخه العربي، مستودع للأكاذيب.

(69) انظر رافيوس، «أبولونيوس»، التصدير، الرقم 7 يمين.

(70) انظر تولز، ص 60 و61. كان رئيس الأساقفة الذي حصل منه رافيوس على خطاب توصية هو أشر، على الرغم من أن رواية تولز توحي بأنه كان لود. وقد حصل رافيوس أيضا على خطاب توصية آخر من فوشيوس إلى بوكوك (انظر: فوشيوس، الرسائل، ج 2، الرقم 295، ص 195).

(71) احتطت في استخدام الكلمة؛ فهو - يقينا - لم يشترِ كل هذه المخطوطات التي كان يملكها، وهناك رسالة من ناسخ كتب رافيوس، وهو نِكولاس بتري، إلى العالِم التركي الشيخ زهاء الدين محمد أفندي، يكشف فيها عن أن رافيوس - في أثناء إقامته بالقسطنطينية - استعار، أو اشترى كتبا كان الشيخ زهاء يريد أن يحتفظ بها لنفسه (هوتسما، «المراسلات الشرقية»، ص 100 - 102).

(72) كان سترنغر الذي قلنا آنفا إنه كان يساعد غريفز في أبحاثه الفلكية، مثقفا حقا، وقد ذكر رافيوس في مقال له بعنوان: «اللغة التركية» (انظر: الصفحات التالية)، الصحيفة الرقم 100 يمين، أنه صنف معجما في اللغة التركية، وكان مرتبطا بـهنري سترنغر، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للكلية الجديدة New College، وكان مهتما بالعربية، الدليل على ذلك تبرعه بكتب مطبوعة بالعربية للكلية في العام 1654، (انظر فينغولد «مدرسة أكسفورد للدراسات الشرقية»).

(73) مخطوطات Cod، الرقم 4 أصلية (انظر: الجزء السابع من الباب التاسع في هذا الكتاب).

(74) رافيوس «في المديح الثاني للغات الشرقية»، ص 24 - 27.

(75) مخطوطات هارلي، الرقم 3496.

(76) وعلى الرغم من أن نِكولاس كان قادما من حلب، فإن رسالته إلى الشيخ زاهد محمد (هوتسما، «المراسلات الشرقية»، ص 101) تبين أنه كان مع رافيوس في القسطنطينية، انظر أيضا رسالة نِكولاس إلى بوكوك: مكثت في إسطنبول أياما صعبة، إلى أن قمت على خدمته، وأخذت الكتب من إسطنبول إلى غلاطة، وحرصت عليها حتى وضعتها على متن السفينة (مخطوطة بوكوك الرقم 432، الملف الرقم 12، من ترجمتي).

(77) ومن المرجح أن رافيوس قد أخذ هذه الفكرة من يوليوس، فقد عبر لفوشيوس في أوائل العام 1627 عن أمله: «في أن أقابل رجلا عالما في الآداب الشرقية يعينني على نقل هذه المخطوطات إلى أرض الوطن». والحق أن يوليوس لم يصحب أحدا معه من الشرق، على الرغم من أنه استعان بعدد كبير من النُسّاخ من أصحاب اللغة نفسها (بمن فيهم نِكولاس) في جامعة لايدن. ومن العجب أن تلميذا آخر من تلاميذ جوليوس، وهو جون غريفز، يعبر عن هذه النية بالضبط في رسالة من القسطنطينية (مخطوطة سمِث، 93، ص 138): «وددت لو أني أتحدث اليونانية، وأن أظفر بناسخ أمين يتحدث العربية، أصحبه معي إلى الوطن، فينسخ لي كل هذه المخطوطات القيمة تحقيقا لرغبتكم».

(78) انظر فوشيوس، «الرسائل»، ج 2، الرقم 295، ص 195 و196؛ مخطوطات درفيل، ص 470، ص 278 - 284.

(79) انظر أشر، «الرسائل»، الرقم 60، ص 624.

(80) اسمها الآن مخطوطة ثرستون، 3، في مكتبة البودليان. وفيما يتصل بما آلت إليه هذه المخطوطة، انظر: الجزء الثامن من الفصل السابع، والجزء الرابع من الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(81) كان هذا الرجل (ويجب ألا نخلط بينه وبين تشارلز كافندش الذي كان يراسل «بِل» في أربعينيات القرن السابع عشر) ثاني

أبناء عمدة ديفونشاير، ولقي مصرعه على يد قوات كرومويل في العام 1643، وكان من قادة الحزب الملكي في مقاطعة غينزبوره.

(82) انظر مولر، «تاريخ الأدباء الألمان»، ج 2، ص 681.

(83) رافيوس، «الخطاب»، 69. لا أستطيع هنا أن أناقش عدد المخطوطات التي تضمها مجموعة رافيوس، هو نفسه، وآخرون، يعطوننا أوصافا مختلفة وأعدادا مختلفة في أوقات مختلفة. ومن المرجح جدا أنه أضاف إليها فيما بعد، فقد كتب بوكوك إلى سِلدِن في شهر أغسطس من العام 1652، استجابة لدعوة إلى النظر في مخطوطات رافيوس، يقول: «لم أجد أنها مجرد مجموعة من المخطوطات التي جمعها في تركيا، ولكنها الكتب التي جمعها أيضا في لندن، وهي كتب سمع عنها من تجار هنا كانت هذه الكتب لديهم ويريدون التخلص منها»، انظر: مخطوطات سِلدِن التي أشرنا إليها آنفا، الرقم 109، الملف 341.

(84) انظر رافيوس «في المديح الثاني للغات الشرقية»، ص 13.

(85) لا يعرف المؤرخون غير أن الشخص الوحيد الذي رآه في باريس هو جبرائيل الصهيوني، الذي زاره زيارة مستعرب لمستعرب زميل.

(86) من المرجح عندي أن لدى تسِولز الدليل نفسه فيما يتصل بهذه الحادثة نفسها، فقد ظفر برسالة غروشيوس إلى أخيه، وفي تصدير بوكوك نفسه للترجمة المطبوعة، وفقرة في «المختارات» (ص 186 للطبعة الأصلية، ص 191 و192 في طبعة العام 1806)، و(ربما) رسائل بوكوك إلى بويل فيما يتصل بمسألة النشر. وعلى ضوء كل ذلك من المفيد أن نقرأ معالجات تسِولز في أقواله من مثل: «ذلك الجزء الكبير جدا من العالَم... الذي استعبدته الديانة الإسلامية».

(87) غروشيوس «المراسلات»، ج 12، الرقم 5061، ص 103 (وأنا أترجم هنا من اللاتينية).

(88) تريفور - روبر، «الكاثوليك والأنجليكان والمتطهرون»، ص 197 و198.

ببلوغرافيا

Bibliography

ABRAHAMS, I., 'Isaac Abendana's Cambridge Mishnah and Oxford Calendars', *Transactions of the Jewish Historical Society of England* (1915–17), 98–121.

Abudacnus, *Historia Jacobitarum*: Historia Jacobitarum, Seu Coptorum, In *Ægypto*, Lybia, Nubia, *Æthiopia* tota, & parte *Cypri* Insulae habitantium. Opera *Josephi Abudacni*, seu *Barbati*, nati Memphis Ægypti Metropolii (Oxford, 1675).

ADLER, MICHAEL, *Jews of Medieval England* (London, 1939).

AL-HĀSHIMĪ, 'ALĪ IBN SULAYMĀN, *The Book of the Reasons behind Astronomical Tables (Kitāb fi 'ilal al-zījāt)* . . . A facsimile reproduction of the unique Arabic text contained in the Bodleian ms. Arch. Seld. A. 11 with a translation by Fuad I. Haddad and E. S. Kennedy and a commentary by David Pingree and E. S. Kennedy (New York, 1981).

AL-SHARĪF AL-IDRĪSĪ, *Kitāb Nuzhat al-Mushtāq*, Reprint of the Edition Rome 1592, ed. Fuat Sezgin (Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science, Islamic Geography, 1; Frankfurt am Main, 1992).

ALTANER, BERTHOLD, 'Die Durchführung des Vienner Konzilsbeschlusses über die Errichtung von Lehrstühlen für orientalischen Sprachen', *Zeitschrift für Kirchengeschichte*, 52 (1933), 226–36.

—— 'Raymundus Lullus und der Sprachenkanon (can. 11) des Konzils von Vienne', *Historisches Jahrbuch*, 53 (1933), 190–219.

D'ALVERNY, M. T., 'Deux traductions latines du Coran au Moyen Age', *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Age*, 16 (1948), 69–131.

—— 'Avicenne et les médecins de Venise', in *Medioevo e Rinascimento: Studi in onore di Bruno Nardi*, i (Florence, 1955), 177–98.

—— 'La Connaissance de l'Islam en Occident du IXe au milieu du XIIe siècle', in *L'Occidente e l'Islam nell'alto medioevo* (Settimane di studio del Centro Italiano di studi sull'alto medioevo 12; Spoleto, 1965), ii. 577–602.

ANDERSON, SONIA P., *An English Consul in Turkey: Paul Rycaut at Smyrna, 1667–1678* (Oxford, 1989).

ANNERSTEDT, CLAES, *Upsala Universitets Historia*, 2 parts with appendices (Uppsala, 1877–1909).

ARBERRY, ARTHUR J., *The Cambridge School of Arabic: An Inaugural Lecture delivered on 30 October 1947* (Cambridge, 1948).

—— 'The Pioneer Simon Ockley', in his *Oriental Essays* (London, 1960), 11–47.

'Archbishop Marsh's Diary': 'Diary copied from a MS. in Archbishop Marsh's Library, Dublin' [edited by J. H. T.], *The British Magazine, and Monthly Register of Religious and Ecclesiastical Information, Parochial History*, etc., 28 (1845), 17–36 and 115–32.

Bainbridge, *Canicularia*: Cl. V. IOHANNIS BAINBRIGII Astronomiae, *In celeberrimâ Academiâ Oxoniensi Professoris Saviliani* CANICVLARIA. Unà cum demonstratione Ortus *Sirii* heliaci, Pro parallelo inferioris Ægypti. *Auctore* IOHANNE GRAVIO, *Quibus accesserunt Insigniorum aliquot Stellarum Longitudines, & Latitudines* Ex Astronomicis Observationibus *Vlug Beigi, Tamerlani Magni* nepotis (Oxford, 1648).

BARANOWSKI, BOHDAN, 'F. Mesgnien-Meninski et l'enseignement des langues orientales en Pologne vers la moitié du XVIIe siècle', *Rocznik Orjentalistyczny*, 14 (1938), 63–71.

BARKSDALE, CLEMENT, *Memorials of Worthy Persons . . . The Fourth Decad* (Oxford, 1663).

Barrow, *Theological Works*: The Theological Works of Isaac Barrow, D.D. In nine volumes. Ed. Alexander Napier (Cambridge, 1859).

BATAILLON, MARCEL, 'L'Arabe à Salamanque au temps de la Renaissance', *Hespéris*, 21 (1935), 1–17.

Bedwell, *Via Regia*: Via Regia ad Geometriam. The VVay to Geometry. Being necessary and usefull, FOR Astronomers . . . Written in Latine by Peter Ramus, and now Translated and much enlarged by the Learned Mr. William Bedwell (London, 1636).

BENFEY, THEODOR, *Geschichte der Sprachwissenschaft und orientalischen Philologie in Deutschland seit dem Anfange des 19. Jahrhunderts mit einem Rückblick auf die früheren Zeiten* (Geschichte der Wissenschaften in Deutschland, Neuere Zeit, 8; Munich, 1869).

Bentley, *Correspondence*: The Correspondence of Richard Bentley, D.D. Master of Trinity College, Cambridge [ed. C. Wordsworth] (2 vols., London, 1842–3).

BERNARD, AUGUSTE, *Antoine Vitré et les caractères orientaux de la Bible polyglotte de Paris* (Paris, 1857).

Bernard, *De Mensuris*: EDVARDI BERNARDI DE MENSURIS ET PONDERIBUS ANTIQUIS LIBRI TRES. *Editio altera, purior & duplo locupletior* (Oxford, 1688).

Bernard, *Josephus*: *FLAVII JOSEPHI* Antiquitatum Judaicarum LIBRI QUATUOR PRIORES, *Et Pars magna Quinti*, Gr. Lat. Cum Exemplaribus MSS. collati, & illustrati Notis amplissimis D. *EDVARDI BERNARDI* S.T.P. ITEM HISTORIARUM DE BELLO JUDAICO LIBER PRIMUS, *Et Pars secundi*. Gr. Lat. Ad Codices MSS. itidem recogniti & emendati (Oxford, 1700).

BERNARD, NICHOLAS, *The Life & Death of the Most Reverend and Learned Father of our Church Dr. James Usher . . .* (London, 1656).

BLOXAM, JOHN ROUSE, *A Register of the Presidents, Fellows, Demies, Instructors in Grammar and in Music, Chaplains, Clerks, Choristers, and other members of Saint Mary Magdalen College in the University of Oxford, from the foundation of the College to the present time, 2: The Instructors in*

Grammar (Oxford, 1863).

BOCHART, SAMUEL, *Hierozoicon Sive bipartitum opus de animalibus Sacrae Scripturae* (2 parts; London [Roycroft], 1663).

Bodley, *Letters to James*: Letters of Sir Thomas Bodley to Thomas James First Keeper of the Bodleian Library. Edited with an Introduction by G. W. Wheeler, M.A. (Oxford, 1926).

Bodley, *Letters to Oxford*: Letters of Sir Thomas Bodley to the University of Oxford, 1598–1611. Edited by G. W. Wheeler (Oxford, 1927).

BOURNE, HENRY RICHARD FOX, *The Life of John Locke* (2 vols., London, 1876).

BOUWSMA, WILLIAM J., *Concordia Mundi: The Career and Thought of Guillaume Postel (1510–1581)* (Harvard Historical Monographs, 33; Cambridge, Mass., 1957).

Boyle, *Works*: The Works of the Honourable Robert Boyle in six volumes. To which is prefixed The Life of the Author. 2nd edition (London, 1772).

BRAHE, TYCHO, *Historia Coelestis . . . cum Commentariis Lucii Barretti et Paralipomenis ex Rec. et Mss. Guil. Schikardi* (Augsburg, 1666).

BRODRICK, GEORGE C., *Memorials of Merton College* (Oxford Historical Society, 4; Oxford, 1885).

BRUGMAN, J., and SCHRÖDER, F., *Arabic Studies in the Netherlands* (Publications of the Netherlands Institute of Archaeology and Arabic Studies in Cairo, 3; Leiden, 1979).

BUC, SIR GEORGE, *The Third Vniversitie of England, or A treatise of the Foundations of all the Colledges, ancient Schooles of Priuiledge, and of Houses of Learning, and liberall Arts, within and about the most famous City of London . . . by G. B. Knight* [printed at the end of] Iohn Stow, *Annales, or a Chronicle of England* (London, 1631) [and also earlier editions].

BURNETT, CHARLES (ed.), *Adelard of Bath: An English Scientist and Arabist of the early Twelfth Century* (Warburg Institute Surveys and Texts, 14; London, 1987).

BURROWS, MONTAGU (ed.), *The Register of Visitors of the University of Oxford from A.D. 1647 to A.D. 1658, with some account of the state of the University during the Commonwealth* (Camden Society, 1881).

CABANELAS RODRÍGUEZ, DARIO, *El Morisco Granadino Alonso del Castillo* (Granada, 1965).

CALAMY, EDMUND, *An Account of the Ministers, Lecturers, Masters and Fellows of Colleges and Schoolmasters, who were Ejected or Silenced after the Restoration in 1660* [Vol. 2 of *An Abridgment of Mr. Baxter's History of his Life and Times*], 2nd edn. (London, 1713).

CARTER, HARRY, *A History of the Oxford University Press, Vol. I to the year 1780* (Oxford, 1975).

Casaubon, *Letters*: Isaaci Casauboni Epistolae, insertis ad easdem Responsionibus quotquot hactenus reperiri potuerunt [3rd edition] curante Theodoro

,Janson. ab Almeloveen (Rotterdam, 1709).

CASIRI, MICHAEL, *Bibliotheca arabico-hispana Escurialensis, sive Librorum omnium mss. quos arabice ab auctoribus magnam partem arabo-hispanis compositos bibliotheca coenobi Escurialensis complectitur, recensio et explanatio* (2 vols., Madrid, 1760, 1770).

Castell, *Lexicon*: LEXICON HEPTAGLOTTON, HEBRAICUM, CHALDAICUM, SYRIACUM, SAMARITANUM, ÆTHIOPICUM, ARABICUM, Conjunctim; Et PERSICUM, Separatim . . . *Authore* EDMUNDO CASTELLO, *S.T.D. Regiae M. à Sacris, linguae Arabicae apud Cantabrigienses Professore, Atque Ecclesiae* CHRISTI *Cantuarensis praebendario* (2 vols., London, 1669).

Castell, *Oratio*: ORATIO IN Scholis Theologicis HABITA AB *EDMUNDO CASTELLO* S.T.D. ET LINGUÆ ARABICÆ IN Academia Cantabrigiensi PROFESSORE, CUM Praelectiones suas in secundum Canonis Avicennae Librum auspicaretur, quibus via praestruitur ex Scriptoribus Orientalibus ad clarius ac dilucidius enarrandum Botonologicam S.S. Scripturae partem, Opus a nemine adhuc tentatum (London, 1667).

DE CASTRIES, HENRY (ed.), *Les Sources inédites de l'histoire du Maroc. Première Série — Dynastie Saadienne. Archives et Bibliothèques de France*, 3 (Paris, 1911); *Archives et Bibliothèques d'Angleterre*, 2 (Paris and London, 1925); *Archives et Bibliothèques des Pays-Bas*, 3 (Paris and The Hague, 1912).

Catalogi Librorum Manuscriptorum Angliæ et Hiberniæ in unum collecti (2 vols., Oxford, 1697).

CHAPMAN, ALLAN (ed.), *The Preface to John Flamsteed's Historia Coelestis Britannica or British Catalogue of the Heavens (1725)* (Maritime Monographs and Reports, 52; Greenwich, 1982).

CHARRIÈRE, ERNEST (ed.), *Négociations de la France dans le Levant* (Collection de documents inédits sur l'histoire de France, 1; Paris, 1848).

CHAUVIN, VICTOR, and ROERSCH, ALPHONSE, *Étude sur la vie et les travaux de Nicolas Clénard* (Mémoires couronnés par la Classe des lettres de l'Académie Royale de Belgique, Tome 60 in-8°; Brussels, 1900).

CHEW, SAMUEL C., *The Crescent and the Rose, Islam and England during the Renaissance* (New York, 1957).

Clarke, *Scientia Metrica*: علم العروض والقوافي SCIENTIA METRICA & RHYTHMICA Seu TRACTATVS DE Prosodia Arabica, EX Authoribus probatissimis eruta, Operâ SAMUELIS CLERICI, inclytae Academiae *Oxoniensis* Architypographi (Oxford, 1661).

CLÉNARD, NICOLAS, *Correspondance*, ed. Alphonse Roersch (Académie Royale de Belgique, Classe des Lettres, Collection des Anciens Auteurs Belges, NS 2), 1 (Brussels, 1940).

CODAZZI, ANGELA, 'Leone Africano', in *Enciclopedia Italiana*, XX (1932), 899.

COLL, JOSÉ MA., 'Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV

(Periodo Raymundiano)', *Analecta Sacra Tarraconensia*, 17 (1944), 115–38.

Colomesius, Paulus, *Gallia Orientalis sive Gallorum qui linguam Hebraeam vel alias Orientales excoluerunt vitae, Variis hinc inde praesidiis adornatae* (The Hague, 1665).

——*Italia et Hispania Orientalis sive Italorum et Hispanorum qui linguam Hebraeam vel alias orientales excoluerunt Vitae* ex ΑΥΤΟΓΡΑΦΩι Auctoris nunc primum editae et notis instructa a Jo. Christophoro Wolfio (Hamburg, 1730).

Cornelissen, J. D. M., 'Thomas Erpenius en de "Propaganda"', *Mededeelingen van het Nederlandsch Historisch Instituut te Rome*, 7 (1927), 121–46.

Correspondence of Scientific Men of the Seventeenth Century, including letters of Barrow, Flamsteed, Wallis, and Newton, printed from the originals in the collection of the right honourable the Earl of Macclesfield [ed. Stephen Jordan Rigaud] (2 vols., Oxford, 1841).

Coxe, *Catalogue of College MSS*: Catalogus Codicum MSS. qui in Collegiis Aulisque Oxoniensibus hodie asservantur confecit Henricus O. Coxe (2 vols., Oxford, 1852).

Cox-Johnson, Ann, 'Lambeth Palace Library, 1610–1664', *Transactions of the Cambridge Bibliographical Society*, 2 (1954–8), 105–26.

Crosfield, *Diary*: *The Diary of Thomas Crosfield*, selected and edited by Frederick S. Boas (London, 1935).

Daniel, Norman, *Islam and the West: The Making of an Image* (Edinburgh, 1958; 2nd rev. edn. Oxford, 1992).

Dannenfeldt, Karl H., 'The Renaissance Humanists and the Knowledge of Arabic', *Studies in the Renaissance*, 2 (1955), 96–117.

Davies, Hugh Wm., *Bernhard von Breydenbach and his journey to the Holy Land 1483–4: A Bibliography* (London, 1911).

Delisle, Léopold, *Le Cabinet des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale* [*Impériale*] (4 vols., Paris, 1868–81).

Dickenson, *Delphi Phoenicizantes*: DELPHI PHOENICIZANTES, *sive*, Tractatus, in quo Graecos, quicquid apud Delphos celebre erat . . . è *Josuae* historia, scriptisque sacris effinxisse . . . ostenditur . . . *Authore* EDMUNDO DICKINSONO (Oxford, 1655).

DNB: *The Dictionary of National Biography*, founded in 1882 by George Smith, edited by Sir Leslie Stephen and Sir Sidney Lee. From the Earliest Times to 1900 (22 vols., Oxford, 1921–2).

Doctrina Christiana en lengua Arauiga y Castellana: compvesta, e impressa por mandado del Illustrissimo y Reuerendissimo Señor don Martin de Ayala Arcopispo de Valencia, para instrucción de los nueuamente conuertidos deste Reyno (Valencia, 1566) (Photographic reproduction of original edition, ed. Roque Chabás, Valencia, 1911).

Dozy, R. P. A. (ed.), *Catalogus Codicum Orientalium Bibliothecae Academiae*

Lugduno Batavae, i (Leiden, 1851).

DSB: *Dictionary of Scientific Biography*, ed. C. C. Gillispie (16 vols., New York, 1970–80).

DUVERDIER, GÉRALD, 'Savary de Brèves et Ibrahim Müteferrika, Deux drogmans culturels à l'origine de l'imprimerie turque', *Bulletin du Bibliophile* (1987), 322–59.

—— 'Les Impressions orientales en Europe et le Liban', in *Le Livre et le Liban*, 157–279.

Ecchellensis–Borelli: Apollonii Pergaei Conicorum Lib. V.VI.VII. Paraphraste Abalphato Asphahanensi Nunc primùm editi Additus in calce Archimedis Assumptorum Liber, Serenissimi Magni Ducis Etruriae Abrahamus Ecchellensis Maronita In Alma Vrbe Linguar. Orient. Professor Latinos reddidit. Io. Alfonsus Borellus In Pisana Academia Matheseos Professor curam in Geometricis versioni contulit, & notas vberiores in vniuersum opus adiecit (Florence, 1661).

Ecchellensis, *Eutychius Vindicatus*: EVTYCHIVS PATRIARCHA ALEXANDRINVS VINDICATUS, Et suis restitutus Orientalibus; Siue Responsio *AD IOANNIS SELDENI ORIGINES in duas tributa Partes*, Quarum Prima est *De Alexandrinae Ecclesiae Originibus* Altera *De Origine nominis PAPÆ;* Quibus accedit Censura in Historiam Orientalem IOHANNIS HENRICI HOTTINGERI Tigurini à pag. 283 ad 495. *Omnia ex Orientalium excerpta monumentis AUCTORE ABRAHAMO ECCHELLENSI* Maronita è Libano (2 vols., Rome, 1661, 1660).

EKHTIAR, SHELLEY, '*Hayy ibn Yaqzan*, the eighteenth-century reception of an oriental self-taught philosopher', *Studies on Voltaire and the Eighteenth Century*, 302 (1992), 217–45.

ELLIS, SIR HENRY (ed.), *Original Letters of Eminent Literary Men of the Sixteenth, Seventeenth, and Eighteenth Centuries* (Camden Society, 1843).

Enciclopedia Italiana di Scienze, Lettere ed Arti (36 vols., Milan and Rome, 1929–39).

Evelyn, *Diary*: *The Diary of John Evelyn*, ed. E. S. de Beer (6 vols., Oxford, 1955).

FEINGOLD, MORDECHAI, 'Isaac Barrow, Divine, Scholar, Mathematician', in *Before Newton, The Life and Times of Isaac Barrow*, ed. M. Feingold (Cambridge, 1990), 1–104.

—— 'Patrons and Professors, the Origins and Motives for the Endowment of University Chairs—in Particular the Laudian Professorship of Arabic', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 109–27.

—— 'The Oxford Oriental School', in *The History of the University of Oxford*, iv: *The Seventeenth Century* [forthcoming].

FORBES, ERIC G. (ed.), *The Gresham Lectures of John Flamsteed* (London, 1975).

FOSTER, JOSEPH, *Alumni Oxonienses, The Members of the University of Oxford,*

1500–1714 (4 vols., Oxford and London, 1891–2).

FOSTER, SAMUEL, *Miscellanea, sive Lucubrationes Mathematicae* (London, 1659.

FÜCK, JOHANN, *Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts* (Leipzig, 1955).

GABRIELI, FRANCESCO, and SCERRATO, UMBERTO (eds.), *Gli Arabi in Italia. Cultura, contatti e tradizioni* (Milan, 1979).

GARCIA BALLESTER, LUIS, 'The Circulation and Use of Medical Manuscripts in Arabic in 16th Century Spain', *Journal for the History of Arabic Science*, 2 (1979), 183–99.

GAUTHIER, LÉON, *Ibn Thofail, sa vie, ses œuvres*, Publications de l'École des Lettres d'Alger, Bulletin de Correspondance Africaine, 42 (Paris, 1909).

——(ed. and tr.), *Hayy ben Yaqdhân, roman philosophique d'Ibn Thofaïl*, 2nd edn. (Beirut, 1936).

GIOVANNOZZI, GIOVANNI, 'La versione Borelliana di Apollonio', *Memorie della Pontificia Accademia Romana dei Nuovi Lincei*, serie 2, vol. 2 (1916), 1–32.

GOLDSTEIN, BERNARD R., *The Arabic Version of Ptolemy's Planetary Hypotheses*, Transactions of the American Philosophical Society NS, 57.4 (Philadelphia, 1967).

Golius, *Auction Catalogue*: *Catalogus Insignium in omni facultate, linguisque, Arabica, Persica, Turcica, Chinensi, etc. librorum M.SS, quos . . . Jacobus Golius . . . ex variis Regionibus . . . collegit. Quorum auctio habebitur . . . Ad diem XVI. Octobris St. Novo* . . . (Leiden, 1696).

Golius, *Catalogus*: Catalogus rarorum Librorum, quos ex Oriente nuper advexit, et in publica Bibliotheca inclytae Leydensis Academiae deposuit Clariss. et de bonis artibus meritiss. vir Jacobus Golius, in illa eadem Academia et Linguarum orientalium et matheseos Professor insignis (Paris [Vitray], 1630).

Golius, *Lexicon*: JACOBI GOLII LEXICON ARABICO-LATINUM, CONTEXTUM EX PROBATIORIBUS ORIENTIS LEXICOGRAPHIS. ACCEDIT INDEX LATINUS COPIOSISSIMUS, QVI LEXICI LATINO-ARABICI VICEM EXPLERE POSSIT (Leiden, 1653).

GOLLANCZ, SIR HERMANN (ed. and tr.), *Chronicle of Events between the years 1623 and 1733 relating to the Settlement of the Order of Carmelites in Mesopotamia (Bassora)* . . . (London, 1927).

GÓMEZ DE CASTRO, ALVAR, *De Rebus Gestis a Francisco Ximenio, Cisnerio, Archiepiscopo Toletano, libri octo* (Complutum [Alcalá de Henares], 1569); [Spanish translation by José Oroz Reta:] *De las Hazanas de Francisco Jiménez de Cisneros* (Madrid, 1984).

GOODMAN, LENN EVAN, *Ibn Tufayl's Hayy Ibn Yaqzân: A Philosophical Tale*, translated with introduction and notes, 3rd edn. (Los Angeles, 1991).

GRAFTON, ANTHONY, *Joseph Scaliger: A Study in the History of Classical*

Scholarship (2 vols., Oxford, 1983, 1993).

Greaves, *Astronomica quaedam*: Astronomica quaedam ex traditione Shah Cholgii Persae una cum Hypothesibus Planetarum, Studio et opera Johannis Gravii nunc primum publicata (London, 1650).

Greaves, *Chorasmiae Descriptio*: Chorasmiae et Mawaralnahrae, hoc est, Regionum extra fluvium Oxum Descriptio, Ex Tabulis *Abulfedae Ismaelis*, Principis Hamah (London, 1650).

Greaves, *Elementa*: Elementa Linguae Persicae, authore Johanne Gravio, Item Anonymus Persa de Siglis Arabum & Persarum Astronomicis (London, 1649).

Greaves, *Pyramidographia*: Pyramidographia, OR A DESCRIPTION OF THE PYRAMIDS IN ÆGYPT By IOHN GREAVES, Professor of Astronomy in the University of OXFORD (London, 1646).

Greaves, *Roman Foot*: A DISCOVRSE OF THE ROMANE FOOT AND *DENARIVS*, From whence, as from two principles, THE MEASVRES AND WEIGHTS, used by the Ancients, may be deduced. *By* IOHN GREAVES, *Professor of Astronomy in the Vniversity of Oxford* (London, 1647).

Greaves, *Tabulae Geographicae*: Binae Tabulae Geographicae una Nassir Eddini Persae, altera Vlug Beigi Tatari. Operâ, & Studio Johannis Gravii nunc primùm Publicatae, et Commentariis ex Abulfedae Aliisque Arabum Geographis illustratae (London, 1648).

Greaves, *Works*: Miscellaneous Works of Mr. John Greaves, Professor of Astronomy in the University of Oxford . . . Published by Thomas Birch (2 vols., London, 1737).

Greaves, Thomas, *De Linguae Arabicae Vtilitate & Praestantia. Oratio Oxonii habita 19. Jul. 1637* (Oxford, 1639).

Gregory, *Notes and Observations*: NOTES AND OBSERVATIONS UPON SOME PASSAGES OF SCRIPTVRE. *By* I. G. *late Master of Arts of* Christ=Church OXON. *The second edition* (London, 1650) [first edition Oxford, 1646].

Gregory, *Posthuma*: *GREGORII Posthuma*, OR, Certain Learned Tracts, VVRITTEN By JOHN GREGORIE, M.A. and Chaplain of *Christ-Church* in *OXFORD*. . . . Published by his Dearest Friend *J.G[urgany]*. B.D. of *Merton* College (London, 1650) [first issued 1649].

Griffiths, John (ed.), *Statutes of the University of Oxford Codified in the Year 1636 under the Authority of Archbishop Laud* (Oxford, 1888).

Gronovius, Joh. Fredericus, *Laudatio Funebris, recitata in exsequiis cl. Viri Jacobi Golii Arabicae Linguae & Mathematicorum professoris ante diem IV. Nonas Octobr. MDCLXVII* (Leiden, 1668).

Grotius, *Correspondence*, xii: *Briefwisseling van Hugo Grotius*, Twaalfde deel 1641 uitgegeven door Drs. Paula P. Witkam (Assen and Maastricht, 1986).

de Gubernatis, Angelo, *Matériaux pour servir à l'histoire des études orientales en Italie* (Paris, Florence, Rome, Turin, 1876).

DE GUIGNES, J., *Essai historique sur l'origine des caractères orientaux de l'Imprimerie Royale, sur les ouvrages qui ont été imprimés à Paris, en Arabe, en Syriaque, en Arménien, &c., et sur les caractères grecs de François Ier appelés communement Grecs du Roi*, Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque du Roi, 1, ix–cii (Paris, 1787).

Guise, *Zeraim*: Misnae Pars, Ordinis Primi Zeraim Tituli Septem. Latinè vertit & Commentario illustravit *GVLIELMVS GVISIVS, Accedit* Mosis Maimonidis *Praefatio* in Misnam Edv. Pocockio *Interprete* (Oxford, 1690).

GUNTHER, R. T., 'The First Observatory Instruments of the Savilian Professors at Oxford', *The Observatory*, 60 (1937), 190–7.

Halley, Apollonius' *Conics*: *Apollonii Pergaei* Conicorum Libri Octo et Sereni Antissensis de Sectione Cylindri & Coni Libri Duo. Opera & studio Edmundi Halleii (2 vols., Oxford, 1710).

Halley, Apollonius' *Cutting off of a Ratio*: Apollonii Pergaei de sectione Rationis Libri Duo Ex Arabico MSto. Latine Versi. Opera & studio Edmundi Halley (Oxford, 1706).

Halliwell, *Collection of Letters*: *A Collection of Letters illustrative of the Progress of Science in England from the Reign of Queen Elizabeth to that of Charles the Second*, edited by James Orchard Halliwell (London [Historical Society of Science], 1841).

HAMILTON, ALASTAIR, 'The Victims of Progress, the Raphelengius Arabic type and Bedwell's Arabic Lexicon', *De Gulden Passer, Bulletin van de 'Vereeniging der Antwerpsche Bibliophielen'*, 61–3 (1983–5), 97–108.

—— '"Nam Tirones Sumus". Franciscus Raphelengius' *Lexicon Arabico-Latinum* (Leiden 1613)', *De Gulden Passer, Bulletin van de 'Vereeniging der Antwerpsche Bibliophielen'*, 66–7 (1988–9), 557–89.

—— *William Bedwell the Arabist 1563–1632*, Publications of the Sir Thomas Browne Institute, NS 5 (Leiden, 1985).

—— 'Eastern Churches and Western Scholarship', in *Rome Reborn: The Vatican Library and Renaissance Culture*, ed. Anthony Grafton (Washington and New Haven, 1993), 225–49.

—— 'The English Interest in the Arabic-Speaking Christians', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 30–53.

—— 'An Egyptian Traveller in the Republic of Letters: Josephus Barbatus or Abudacnus the Copt', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, 57 (1994), 123–50.

HAMMOND, PAUL, 'Thomas Smith, a Beleaguered Humanist of the Interregnum', *Bulletin of the Institute for Historical Research*, 56 (1983), 180–94.

Harmar, *Vindiciae Academiae Oxoniensis*: Vindiciae ACADEMIÆ OXONIENSIS, SIVE ORATIO APOLOGETICA, Quâ Exercitiorum Academicorum in Trimestre VACATIO A crimine vindicatur; nec non Academiae fama, &, ἐν παρόδῳ, Ἐπισκοπὴ asseritur; habita *OXONIÆ*

Postridie Iduum Octobris in pleno Termino, A *JOANNE HARMARO* Lingue Gr. apud *Oxonienses* Praelectore Regio, & M. L. (Oxford, 1662).

Hart/Carter: Hart, Horace, *Notes on a Century of Typography at the University Press Oxford, 1693–1794.* A photographic reprint of the edition of 1900 with an Introduction and additional notes by Harry Carter (Oxford, 1970).

HARTWIG, O., 'Die Uebersetzungsliteratur Unteritaliens in der normannisch-staufischen Epoche', *Centralblatt für Bibliothekswesen*, 3 (1886), 161–90, 223–5, and 505–6.

HARVEY, JOHN, 'Coronary Flowers and their "Arabick" Background', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 297–303.

HASKINS, C. H., *Studies in the History of Medieval Science*, 2nd edn. (Cambridge, Mass., 1927).

HAYWOOD, JOHN A., *Arabic Lexicography: Its History, and its Place in the General History of Lexicography* (Leiden, 1960).

Hearne, *Diaries*: *Remarks and Collections of Thomas Hearne*, ed. C. E. Doble, D. W. Rannie, H. E. Salter, *et al.*, Oxford Historical Society, vols. 1, 7, 13, 34, 42, 43, 48, 50, 65, 67, 72 (11 vols., Oxford, 1884–1921).

Hefele–Leclercq: Hefele, Charles-Joseph, *Histoire des conciles d'après les documents originaux*, nouvelle traduction française faite sur la deuxième édition allemande corrigée et augmentée de notes critiques et bibliographiques par Dom H. Leclercq, 6 pt. 2 (Paris, 1915).

HENKEL, WILLI, *Die Druckerei der Propaganda Fide: Eine Dokumentation* (Munich, Paderborn, and Vienna, 1977).

D'HERBELOT, BARTHÉLEMY, *Bibliothèque orientale, ou Dictionnaire universel, contenant généralement Tout ce qui regarde la connoissance des Peuples de l'Orient. Leurs Histoires et Traditions véritables ou fabuleuses. Leurs Religions, Sectes et Politique. Leurs Gouvernements, Loix, Coutumes, Moeurs, Guerres, & les Révolutions de leurs Empires. Leurs Sciences, et leurs Arts... Les Vies et Actions remarquables de tous leurs Saints, Docteurs, Philosophes, Historiens, Poètes, Capitaines, & de tous ceux qui se sont rendus illustres parmi eux, par leur Vertu, ou par leur Savoir. Des jugemens critiques, et des extraits de tous leurs Ouvrages ...* (Maastricht, 1776) [reprint of original edition, Paris, 1697].

d'Herbelot (Reiske): Orientalische Bibliothek oder Universalwörterbuch, welches alles enthält, was zur Kenntniss des Orients nothwendig ist. Verfasst von Bartholom. D'Herbelot (4 vols., Halle, 1785–90) [essentially the same in content as the French version published The Hague, 1777–9, for which see *L'Europe et le monde arabe*, 36].

HERVEY, MARY S. F., *The Life Correspondence & Collections of Thomas Howard Earl of Arundel* (Cambridge, 1921).

HILL, CHRISTOPHER, *The World Turned Upside Down: Radical Ideas During the English Revolution* (London, 1972).

Holsten, *Epistolae*: Lucae Holstenii Epistolae ad diversos, quas ex editis et

ineditis codicibus collegit atque illustravit Jo. Franc. Boissonade (Paris, 1817).

HOLT, P. M., 'Arabic Studies in Seventeenth-Century England with special Reference to the Life and Work of Edward Pococke', B.Phil. thesis (Oxford, 1952).

——*A Seventeenth-Century Defender of Islam: Henry Stubbe (1632–76) and his Book*, Friends of Dr. Williams's Library, 26th Lecture (London, 1972).

——'An Oxford Arabist, Edward Pococke (1604–91)', in Holt, *Studies in the History of the Near East* (London, 1973), 3–26.

——'The Study of Arabic Historians in Seventeenth-Century England, the Background and the Work of Edward Pococke', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 19 (1957), 444–55, reprinted in Holt, *Studies in the History of the Near East* (London, 1973), 27–49.

——'The Treatment of Arab History by Prideaux, Ockley and Sale', in *Historians of the Middle East*, ed. Bernard Lewis and P. M. Holt (London, 1962), 290–302, reprinted in Holt, *Studies in the History of the Near East* (London, 1973), 50–63.

HOOLE, CHARLES, *A New Discovery Of the old Art of Teaching Schoole* (London, 1660) [reprinted as no. 133 of English Linguistics 1500–1800 (Menston, 1969)].

HOPKINS, J. F. P., *Letters from Barbary 1576–1774: Arabic Documents in The Public Record Office*, Oriental Documents, 6 (London and New York, 1982).

HOTTINGER, J. H., *Promtuarium; sive Bibliotheca Orientalis exhibens Catalogum, sive Centurias aliquot, tam authorum, quam librorum Hebraicorum, Syriacorum, Arabicorum, Aegyptiacorum, Aethiopicorum &c. Addita Mantissa Bibliothecarum aliquot Europaearum* . . . (Heidelberg, 1658).

——*Bibliothecarius Quadripartitus. I. Pars quae Prolegomenis absolvitur, agit de officio Bibliothecarij, Bibliothecis, &c. II. De Theologia Biblica. III. De Theologia Patristica: cum Appendice Leonis Africani hactenus ἀνεκδότῳ, de Scriptoribus Arabicis. IV. De Theologia Topica; Symbolica, & Systematica; tam universali, quàm Particulari* (Zurich, 1664).

HOUTSMA, M. TH., *Uit de Oostersche Correspondentie van Th. Erpenius, Jac. Golius en Lev. Warner: Eene bijdrage tot de geschiedenis van de beoefening der oostersche letteren in Nederland*, uitgegeven door de Koninklijke Akademie van Wetenschappen te Amsterdam (Amsterdam, 1887).

HOWARTH, DAVID, *Lord Arundel and his Circle* (New Haven and London, 1985).

[HUDSON, JOHN (ed.)], GEOGRAPHIÆ VETERIS SCRIPTORES GRÆCI MINORES. *Accedunt Geographica Arabica &c.*, vol. 3 (Oxford, 1712).

Hunt, *Laudian Manuscripts*: *Bodleian Library, Quarto Catalogues II. Laudian Manuscripts*, by H. O. Coxe. Reprinted . . . with an historical introduction by R. W. Hunt (Oxford, 1973).

[HUNT, THOMAS], Proposals For Printing by Subscription, Abdollatiphi

Historiae Aegypti Compendium quod, Sexaginta abhinc annis, Ab EDVARDO POCOCKIO, clarissimi EDVARDI filio, A.M. Aedis Christi Alumno, Ex Linguâ Arabica in Latinam versum, Nunc Primum Utrâque edidit, Notisque illustravit THOMAS HUNT, S.T.P. *Lingue Arabicae* Professor, & R.S.S. è Collegio Hertfordiensi ([?Oxford], 1746).

——*De usu dialectorum orientalium, ac praecipue Arabicae in Hebraico Codice Interpretando, Oratio Habita Oxonii, in Schola Linguarum, VII Kalend Martii MDCCXLVIII* (Oxford, 1748).

R[OBERT] H[UNTINGTON], '*A Letter from* Dublin *to the* Publisher *of these Tracts, concerning the* Porphyry Pillars *in* Egypt', *Philosophical Transactions*, vol. 14, no. 161 (20 July 1684), 624–9. Reprinted by John Ray, *Collection of Curious Travels and Voyages*, ii (1693), 149–55.

Hyde, *De Ludis Orientalibus*: De Ludis Orientalibus libri duo, quorum prior est duabus partibus, viz. 1. Historia Shahiludii Latine, deinde 2. Historia Shahiludii Heb. Lat. per tres Judaeos. [Mandragorias *etc.* horis succisivis olim congessit Thomas Hyde.] Liber posterior continet historiam reliquorum ludorum orientis [Historia Nerdiludii, hoc est dicere, Trunculorum cum quibusdam aliis Arabum, Persarum, Indorum, Chinensium, & aliarum Gentium ludis *etc.*] (Oxford, 1694) [The second part was first printed separately in 1689, *De Historia Shahiludii Tria Scripta Hebraica*].

Hyde, *Peritsol*: אגרת אורחות עולם ID EST, ITINERA MUNDI, SIC DICTA NEMPE COSMOGRAPHIA, AUTORE ABRAHAMO PERITSOL Latinâ VERSIONE donavit & NOTAS passim adjecit THOMAS HYDE S.T.D. è Coll. Regine *Oxon*. Protobibliothecarius Bodlejanus. Calce exponitur Turcarum LITURGIA, PEREGRINATIO MECCANA, ÆGROTORUM VISITATIO, CIRCUMCISIO, &c. Accedit CASTIGATIO In *Angelum à S^to^ Joseph*, al. dictum *de la Broße*, Carmelitam discalceatum, sui Ordinis in Ispahân Persidis olim Praefectum (Oxford, 1691).

Hyde, *Syntagma Dissertationum*: SYNTAGMA DISSERTATIONUM QUAS OLIM AUCTOR DOCTISSIMUS THOMAS HYDE S.T.P. SEPARATIM EDIDIT ACCESSERUNT NONNULLA EJUSDEM OPUSCULA HACTENUS INEDITA; NECNON DE EJUS VITA SCRIPTISQUE ΠΡΟΛΕΓΟΜΕΝΑ. CUM APPENDICE DE LINGUA SINENSI ALIISQUE LINGUIS ORIENTALIBUS UNA CUM QUAMPLURIMIS TABULIS ÆNEIS, QUIBUS EARUM CHARACTERES EXHIBENTUR. OMNIA DILIGENTER RECOGNITA A GREGORIO SHARPE LL. D. REG. MAJ. A SACRIS TEMPLI MAGISTRO. SS.R ET A.S. (2 vols., Oxford, 1767).

Hyde, *Ulugh Beg*: جداول مواضع ثوابت در طول وعرض كه برصد يافته است الغ بيك بن شاهرخ بن تيمور SIVE TABVLÆ LONG. AC LAT. STELLARUM FIXARVM EX OBSERVATIONE ULUGH BEIGHI TAMERLANIS Magni Nepotis, Regionum ultra citráque GJIHUN (i. Oxum) Principis potentissimi. Ex tribus invicèm collatis MSS Persicis jam primùm Luce ac Latio donavit, & Commentariis illustravit, THOMAS HYDE A.M. è Coll. Reginae Oxon. In

بيلوغرافيا

Calce Libri accesserunt MOHAMMEDIS TIZINI TABULÆ Declinationum & Rectarum Ascensionum. Additur demum ELENCHUS Nominum Stellarum (Oxford, 1665).

INNES SMITH, R. W., *English-Speaking Students of Medicine at the University of Leyden* (Edinburgh and London, 1932).

Isaacson, *Lancelot Andrewes*: An exact Narration OF THE LIFE and DEATH OF THE Reverend and learned Prelate, and painfull DIVINE, LANCELOT ANDREWES, Late Bishop of WINCHESTER. [By the Rev. H. Isaacson] (London, 1650).

Jacob, *Philologiae ἀνακαλυπτήριον*: PHILOLOGIAE 'ΑΝΑΚΑΛΥΠΤΗΡΙΟΝ *Oratione celebratum Inaugurali*, Quam *publicè habuit ad Oxonio-Mertonenses* HENRICUS IACOBIUS; Publicavit à Quindecennio H.B. è Coll. Omn. Animar. Cum Appendice *luculentâ* (Oxford, 1652).

James, *Catalogus*: Catalogus Librorum Bibliothecae Publicae quam Vir Ornatissimus Thomas Bodleius Eques Auratus in Academia Oxoniensi nuper instituit . . . Autore Thoma James (Oxford, 1605) [facsimile reprint:] *The First Printed Catalogue of the Bodleian Library 1605: A Facsimile* (Oxford, 1986).

JOHNSON, JOHN, and GIBSON, STRICKLAND, *Print and Privilege at Oxford to the year 1700* (Oxford, 1946).

JONES, JOHN ROBERT, 'The Arabic and Persian Studies of Giovan Battista Raimondi (c. 1536–1614)', M.Phil. dissertation (Warburg Institute, June 1981).

——'Learning Arabic in Renaissance Europe (1505–1624)', Ph.D. thesis (School of Oriental and African Studies, London University, July 1988), forthcoming in the series 'Brill's Studies in Intellectual History'.

——'Thomas Erpenius (1584–1624) on the Value of the Arabic Language', *Manuscripts of the Middle East*, 1 (1986), 15–25.

——'The Medici Oriental Press (Rome 1584–1614) and the Impact of its Arabic Publications on Northern Europe', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 88–108.

JUSTEL CALABOZO, BRAULIO, *La Real Biblioteca de El Escorial y sus manuscritos arabes* (Madrid, 1978).

JUYNBOLL, WILHELMINA MARIA CORNELIA, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars van het Arabisch in Nederland* (Utrecht, [1931]).

KATZ, DAVID S., 'The Abendana Brothers and the Christian Hebraists of Seventeenth-Century England', *Journal of Ecclesiastical History*, 40 (1989), 28–52.

——*Philo-Semitism and the Readmission of the Jews to England 1603–1655*, Oxford Historical Monographs (Oxford, 1982).

KAYSERLING, M., 'Richelieu, Buxtorf père et fils, Jacob Román. Documents pour servir à l'histoire du commerce de la librairie juive au XVIe siècle', *Revue des Études Juives*, 8 (1884), 74–95.

KEMKE, JOHANNES, *Patricius Junius (Patrick Young): Mitteilungen aus seinem Briefwechsel*, Sammlung Bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten, 12 (Leipzig, 1898).

KEPLER, JOHANNES, *Gesammelte Werke*, vols. 13–17: *Briefe*, ed. Max Caspar (Munich, 1945–59).

KLEIN-FRANKE, FELIX, *Die klassische Antike in der Tradition des Islam*, Erträge der Forschung, 136 (Darmstadt, 1980).

Knös, *Analecta Epistolarum*: ANALECTA EPISTOLARUM, IN PRIMIS *HISTORIAM ET RES LITTERARIAS* SVECIÆ ILLUSTRANTIUM. . . . COLLEGIT, RECENSUIT ET EDIDIT OLAVUS ANDREAE KNOES (9 parts; Uppsala, 1786–96).

Koran (Bibliander): MACHVMETIS SARACENORUM PRINCIPIS, EIVSQVE SUCCESSORVM VITAE, AC DOCTRINA, IPSEQUE ALCORAN . . . opera & studio Theodori Bibliandri (Basel, 1543).

KRITZECK, JAMES, *Peter the Venerable and Islam*, Princeton Oriental Studies, 23 (Princeton, 1964).

KUNITZSCH, PAUL, *Der Almagest: Die Syntaxis Mathematica des Claudius Ptolemäus in arabisch-lateinischer Überlieferung* (Wiesbaden, 1974).

Laud, *Works*: *The Works of the Most Reverend Father in God, William Laud, D.D.* (7 vols., London, 1847–60).

LEFRANC, ABEL, *Histoire du Collège de France* (Paris, 1893) [reprint, Geneva, 1970].

Leiden Oriental Catalogue: *Catalogus Codicum Orientalium Bibliothecae Academicae Lugduno Batavae* ediderunt P. de Jong et M. J. de Goeje, iii (Leiden, 1865).

Le Livre et le Liban: Camille Aboussouan (ed.), *Exposition Le livre et le Liban jusqu'à 1900* (Paris, 1982).

Leo Africanus, tr. Épaulard: Jean-Léon l'Africain, *Description de l'Afrique*, nouvelle édition traduite de l'italien par A. Épaulard et annotée par A. Épaulard, Th. Monod, H. Lhote et R. Mauny (2 vols., Paris, 1956).

Letters written by Eminent Persons in the Seventeenth and Eighteenth Centuries . . . now first published from the originals in the Bodleian Library and Ashmolean Museum, with biographical and literary illustrations. [By Rev. John Walker, M.A., Fellow of New College] (2 vols., Vol. II in 2 parts; London, 1813).

L'Europe et le monde arabe. Cinq siècles de livres de lettrés et voyageurs européens choisis dans les bibliothèques de l'Arcadian Group, ed. Alastair Hamilton (Paris, 1993).

LEVI DELLA VIDA, G., *Ricerche sulla formazione del più antico fondo dei manoscritti orientali della Biblioteca Vaticana*, Studi e Testi, 92 (Città del Vaticano, 1939).

——*Documenti intorno alle relazioni delle chiese orientali con la S. Sede durante il pontificato di Gregorio XIII*, Studi e Testi, 143 (Città del Vaticano,

1948).

Levinus Warner and his Legacy: Three Centuries Legatum Warnerianum in the Leiden University Library (Leiden, 1970).

Lightfoot, *Letters*: The Whole Works of the Rev. John Lightfoot, D.D. Master of Catharine Hall, Cambridge. Edited by John Rogers Pitman. Volume XIII, containing the Journal of the Proceedings of the Assembly of Divines, from January 1, 1643 to December 31, 1644, and letters to and from Dr. Lightfoot (London, 1824).

LLOYD, DAVID, *Memoires of the Lives, Actions, Sufferings and Deaths of those . . . Personages That suffered . . . In our late Intestine Wars, . . . with the Life and Martyrdom of King Charles I* (London, 1667).

LLOYD JONES, G., *The Discovery of Hebrew in Tudor England: A Third Language* (Manchester, 1983).

——(ed. & tr.), *Robert Wakefield on the Three Languages [1524]*, Medieval and Renaissance Texts and Studies, 68 (Binghamton, 1989).

Locke, *Correspondence*: *The Correspondence of John Locke*, ed. E. S. de Beer (8 vols., Oxford, 1976–89).

LONG, P., *A Summary Catalogue of the Lovelace Collection of the Papers of John Locke in the Bodleian Library*, Oxford Bibliographical Society Publications, NS 8, 1956 (Oxford, 1959).

LOSSEN, MAX (ed.), *Briefe von Andreas Masius und seinen Freunden 1538 bis 1573*, Publikationen der Gesellschaft für Rheinische Geschichtskunde, 2 (Leipzig, 1886).

LUCCHETTA, FRANCESCA, *Il Medico e filosofo bellunese Andrea Alpago (†1522) traduttore di Avicenna: Profilo biografico* (Padua, 1964).

MCKITTERICK, DAVID, *Cambridge University Library: A History*, ii: *The Eighteenth and Nineteenth Centuries* (Cambridge, 1986).

MACLAUGHLIN, TREVOR, 'Une lettre de Melchisédech Thévenot', *Revue d'Histoire des Sciences*, 27 (1974), 123–6.

MACRAY, WILLIAM DUNN, *Annals of the Bodleian Library with a notice of the earlier library of the University*, 2nd edn. (Oxford, 1890).

——'A letter from Isaac Abendana', in *Festschrift zum achtzigsten Geburtstage Moritz Steinschneider's* (Leipzig, 1896), 89–90.

——*A Register of the Members of St. Mary Magdalen College, Oxford. From the Foundation of the College*, New Series, 4: *Fellows, 1648–1712* (London, 1904).

MADAN, FALCONER, *Oxford Books: A bibliography of printed works relating to the University and City of Oxford or printed or published there*, vol. 1, *The Early Oxford Press, 1468–1640* (Oxford, 1895); vol. 2, *Oxford Literature 1450–1640, and 1641–1650* (Oxford, 1912); vol. 3, *Oxford Literature 1651–1680* (Oxford, 1931).

MALLET, CHARLES EDWARD, *A History of the University of Oxford*, ii: *The Sixteenth and Seventeenth Centuries* (London, 1924).

MANT, RICHARD, *History of the Church of Ireland* (2 vols., London, 1840).

MANUEL, FRANK E., *The Broken Staff: Judaism through Christian Eyes* (Cambridge, Mass., and London, 1992).

MARSHALL, P. J., 'Oriental Studies', in *The History of the University of Oxford*, v: *The Eighteenth Century* (Oxford, 1985), 551–63.

MARSHALL, WILLIAM M., *George Hooper 1640–1727 Bishop of Bath and Wells* (Sherborne, 1976).

MATTHEWS, A. G., *Walker Revised ('Sufferings of the Clergy during the Grand Rebellion 1642–60')* (Oxford, 1948).

MAYOR, J. E. B., *Cambridge under Queen Anne illustrated by Memoir of Ambrose Bonwicke and Diaries of Francis Burman and Zacharias Conrad von Uffenbach* (Cambridge, 1911).

MERCIER, RAYMOND, 'English Orientalists and Mathematical Astronomy', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 158–214.

Mersenne, *Correspondance*: Correspondance du P. Marin Mersenne, religieux minime, publiée par Mme. Paul Tannery, éditée et annotée par Cornelis de Waard [*et al.*] (17 vols., Paris, 1932–88).

Mersenne, *Synopsis*: VNIVERSÆ GEOMETRIÆ, MIXTÆQVE MATHEMATICÆ SYNOPSIS ET BINI REFRACTIONVM DEMONSTRATARVM TRACTATVS. *Studio & Operâ* F.M. MERSENNI M. (Paris, 1644).

METLITZKI, DOROTHEE, *The Matter of Araby in Medieval England* (New Haven, 1977).

[Michaud], *Biographie universelle ancienne et moderne*, nouvelle édition (45 vols., Paris, n.d.).

MILLIES, H. C., 'Over de Oostersche Vertalingen van het beroemde Geschrift van *Hugo Grotius, De Veritate Religionis Christianae*'. *Verslagen en Mededeelingen der Koninklijke Akademie van Wetenschappen*, Afdeeling Letterkunde, 7 (1863), 109–34.

MOLLAND, GEORGE, 'The Limited Lure of Arabic Mathematics', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 215–23.

Moller, *Cimbria Literata*: Johannis Molleri Flensburgensis *CIMBRIA LITERATA, sive Scriptorum ducatus utriusque Slesvicensis et Holsatici, quibus et alii vicini quidam accensentur, historia literaria tripartita* (3 vols., Copenhagen, 1744). Tomus Primus. *Scriptores universos Indigenas, hisqve immistos complures, qvorum Patria explorari necdum potuit, comprehendens.* Tomus Secundus. *Adoptivos sive Exteros, in Ducatu utroque Slesvicensi & Holsatico vel officiis functos publicis, uel diutius commoratos, complectens.*

MONNERET DE VILLARD, UGO, *Lo Studio dell'Islam in Europa nel XII e nel XIII secolo*, Studi e Testi, 110 (Città del Vaticano, 1944).

——*Il Libro della Peregrinazione nelle Parti d'Oriente di Frate Ricoldo da Montecroce*, Institutum Historicum FF. Praedicatorum, Dissertationes Historicae, 13 (Rome, 1948).

MORES, EDWARD ROWE, *A Dissertation upon English Typographical Founders and Founderies (1778) with A Catalogue and Specimen of the Typefoundry of John James (1782)*, edited with an Introduction and Notes by Harry Carter and Christopher Ricks (Oxford [The Oxford Bibliographical Society], 1961).

MORISON, STANLEY, *John Fell, the University Press and the 'Fell' Types* (Oxford, 1967).

MÜLLER, MAX, *Johann Albrecht v. Widmanstetter 1506–1557: Sein Leben und Wirken* (Bamberg, 1907).

MYNORS, R. A. B., *Catalogue of the Manuscripts of Balliol College* (Oxford, 1963).

NAHAS, MICHAEL, 'A Translation of Ḥayy B. Yaqẓān by the elder Edward Pococke (1604–1691)', *Journal of Arabic Literature*, 16 (1985), 88–90.

NALLINO, C. A., 'Il valore metrico del grado di meridiano secondo i geografi arabi', in *Raccolta di Scritti editi e inediti*, 5 (Rome, 1944), 408–57.

——'Le fonti arabe manoscritte dell'opera di Ludovico Marracci sul Corano', in *Raccolta di Scritti editi e inediti*, 2 (Rome, 1940), 90–134.

——'Filosofia «orientale» od «illuminativa» d'Avicenna?', in *Raccolta di Scritti editi e inediti*, 6 (Rome, 1948), 218–56.

NEUBAUER, AD., *Catalogue of the Hebrew Manuscripts in the Bodleian Library and in the College Libraries of Oxford*, Catalogi Codd. Mss. Bibliothecae Bodleianae, 12 (Oxford, 1886).

NICHOLS, JOHN, *Literary Anecdotes of the Eighteenth Century* (9 vols., London, 1812–16).

Nicoll: *Bibliothecae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium Catalogi, Partis Secundae Volumen Primum Arabicos complectens* confecit Alexander Nicoll (Oxford, 1821).

Nicoll–Pusey: *Bibliothecae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium Catalogi, Partis Secundae Volumen Secundum Arabicos complectens* confecit Alexander Nicoll, J. C. D. edidit et catalogum Urianum aliquatenus emendavit E. B. Pusey, S. T. B. (Oxford, 1835).

NIJENHUIS, WILLEM, *Matthew Slade 1569–1628: Letters to the English Ambassador*, Publications of the Sir Thomas Browne Institute, New Series, 6 (Leiden, 1986).

NORRIS, H. T., 'Professor Edmund Castell (1606–85), Orientalist and Divine, and England's Oldest Arabic Inscription', *Journal of Semitic Studies*, 29 (1984), 155–67.

——'Edmund Castell (1606–86) and his *Lexicon Heptaglotton* (1669)', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 70–87.

NUOVO, ANGELA, 'Il Corano arabo ritrovato', *La Bibliofilia*, 89 (1987), 237–71; reprinted in Angela Nuovo, *Alessandro Paganino (1509–1538)*, Medioevo e Umanesimo, 77 (Padua, 1990), 107–31, chapter 'Il Corano'.

Oates: *Cambridge University Library: A History*, i: *From the Beginnings to the Copyright Act of Queen Anne*, [by] J. C. T. Oates (Cambridge, 1986).

OATES, J. C. T., *The Manuscripts of Thomas Erpenius*, Bibliographical Society of Australia and New Zealand, Occasional Publications, 1 (Melbourne, 1974).

OEHME, RUTHARDT, 'Der Geograph und Kartograph', in Seck, *Wilhelm Schickard*, 310–75.

Oldenburg, *Correspondence*: *The Correspondence of Henry Oldenburg*, Edited and Translated by A. Rupert Hall and Marie Boas Hall (13 vols., Madison and London, 1965–86).

[OMONT, HENRI], *Missions archéologiques françaises en Orient aux XVII et XVIII siècles*, Documents publiés par Henri Omont (2 vols., Paris, 1902).

Pasor, *Inaugural Lecture*: ORATIO *PRO* LINGVÆ ARABICÆ *PROFESSIONE, PVBLICE* ad Academicos habita in Schola Theologica *Universitatis Oxoniensis* XXV Octob. 1626. à MATTHIA PASORE (Oxford, 1627).

Pasor, *Vita*: Parentalia in piam memoriam Reverendi & Clarissimi D. Matthiae Pasoris . . . Oratio Funebris ab Abdia Widmario, in Choro Templi Academici 6. Febr. Ann. 1658; Vita Matthiae Pasoris, ab hoc ipsomet vivo pleniùs consignata . . . (Groningen, 1658).

PEARSON, JOHN B., *A Biographical Sketch of the Chaplains to the Levant Company, maintained at Constantinople, Aleppo and Smyrna. 1611–1706* (Cambridge and London, 1883).

PEILE, JOHN, *Biographical Register of Christ's College 1505–1905 and of the earlier foundation God's House 1448–1505* (2 vols., Cambridge, 1910, 1913).

Peiresc, *Dupuy Correspondence*: Lettres de Peiresc aux Frères Dupuy, publiées par Philippe Tamizey de Larroque (Collection de Documents Inédites sur l'Histoire de France, Deuxième Série, Paris, I, 1888; II, 1890; III, 1892).

PHILIP, IAN, *The Bodleian Library in the Seventeenth and Eighteenth Centuries* (Oxford, 1983).

Philologia Arabica. Arabische studiën en drukken in de Nederlanden in de 16de en 17de eeuw, onder redactie van Dr. Francine de Nave, Catalogus, Tentoonstelling Museum Plantin-Moretus 25 oktober – 21 december (Antwerp, 1986).

PINKE, WILLIAM, *The Triall of a Christian's Sincere Love unto Christ*, 5th edn. (Oxford, 1659) [1st edn. 1630].

Pococke, *'Abd al-Laṭīf*: مختصر اخبار مصر لعبد اللطيف البغدادى *ABDOLLATIPHI* HISTORIÆ ÆGYPTI *COMPENDIUM* [tr. Edward Pococke junior (Oxford, ?1685)].

Pococke, *Abū 'l-Faraj*: تاريخ مختصر الدول HISTORIA COMPENDIOSA DYNASTIARVM, AUTHORE Gregorio Abul-Pharajio *Malatiensi Medico* Historiam complectens universalem, à mundo condito, usque ad Tempora Authoris, res Orientalium accuratissimè describens *Arabice edita, & Latine versa,* ab EDVARDO POCOCKIO Linguae Hebraicae in Academia Oxoniensi Professore Regio, nec non in eadem L. Arabicae Praelectore (Oxford, 1663).

المؤلف في سطور

جيرالد جيمس تومر

- وُلد في 23 نوفمبر 1938. مؤرخ وعالم فلك ورياضيات.
- كتب العديد من الكتب والأبحاث في علوم الفلك اليونانية والإسلامية، وترجم كتاب «المجسطي» لبطليموس إلى الإنجليزية في العام 1998.
- زميل كلية كوربس كرستي، وجامعة كيمبردج، وانتقل إلى جامعة براون، كطالب امتياز في العام 1959 ليدرس تاريخ الرياضيات في العصور القديمة، وانتقال هذه العلوم من خلال العربية إلى أوروبا في العصور الوسطى.
- في العام 1963 التحق بقسم الرياضيات، وأصبح فيه أستاذا مساعدا في العام 1965، ثم أصبح رئيسا للقسم من العام 1980 إلى العام 1986.
- من مؤلفاته: «ديوقليطس، عن المرايا المحترقة: الترجمة العربية للأصل اليوناني المفقود»، مع ترجمة إلى الإنجليزية وتعليقات في العام 1976، وكتاب «أبولونيوس: المخروطات من السفر الخامس إلى السابع»، الترجمة العربية للجزء اليوناني المفقود في نسخة «بنو موسى»، في مجلدين، مع ترجمة إنجليزية في العام 1990.
- نقل من العربية الكثير من الدراسات في الرياضيات التي فُقدت في أصلها اليوناني. إضافة إلى كتابه المعنون بـ «جون سلدِن: حياة في البحث العلمي» (أكسفورد 2009).

المترجم في سطور

د. أحمد عبدالله الشيمي

- من مواليد باجا - سوهاج – مصر، في العام 1957.
- أستاذ الأدب الإنجليزي – جامعة بني سويف.
- حاصل على الدكتوراه من جامعة رايس بالولايات المتحدة الأمريكية وجامعة القاهرة.
- يشغل منصب رئيس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة بني سويف.
- أهم الكتب التي ترجمها: «هل يوجد نص في هذا الفصل: سلطة الجماعات المفسرة» لستانلي فش، و«الإسلام في أوروبا: التنوع والهوية والتأثير» لمجموعة من الباحثين، ورواية «الإرهابي» لجون أبدايك، و«الأدب العباسي» من أجزاء تاريخ جامعة كيمبردج للأدب العربي، و«رواد نظرية الرواية الحداثية» لدبرا بارسونز، وكتاب «اللغة والثقافة» لكلير كرامش، و«العاشق المسافر» وقصص أخرى لألِس مونرو. نشر الكثير من المقالات في المجلات المتخصصة بالعربية والإنجليزية.

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة. ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة:

1 - الدراسات الإنسانية: تاريخ ـ فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار.

2 - العلوم الاجتماعية: اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبليات

3 - الدراسات الأدبية واللغوية: الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة.

4 - الدراسات الفنية: علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية.

5 - الدراسات العلمية: تاريخ العلم وفلسفته، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء، كيمياء، علم الحياة، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم)، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي.

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته وفي حالة الترجمة

ترسل نسخة مصورة من الكتاب بلغته الأصلية كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب وكذلك يجب أن تدوّن أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة والسلسلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مستوفية لهذا الشرط والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشرها وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألفا دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل ثلاثين فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي، (وبحد أقصى مقداره ألفان وخمسمائة دينار كويتي).

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت	
للأفراد	15 د. ك
للمؤسسات	25 د. ك
دول الخليج	
للأفراد	17 د. ك
للمؤسسات	30 د. ك
الدول العربية	
للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	
للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات والمبيعات مقدما نقدا أو بشيك باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت، ويرسل إلينا بالبريد المسجل على العنوان التالي:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب 23996 الصفاة - الرمزي البريدي 13100

دولة الكويت

بدالة: 22416006 (00965)

داخلي: 1196/ 1195/ 1194/ 1153/1193/ 1152

هذا الكتاب...

في هذا الكتاب يتابع القارئ واحدة من رحلات اللغة العربية إلى العالم الغربي، وإلى إنجلترا بصفة خاصة، وكيف حرص الغربيون عامة والإنجليز بنوع خاص على الإلمام باللغة العربية، وبذل الغالي والنفيس بحثًا عن مخطوطاتها، والوقوف على عبقريتها. يقدم الكتاب فرصة للباحثين الذين يريدون رصد ما أنجزه العرب في مجال نقل الحضارة اليونانية والرومانية إلى اللغة العربية، وكيف استفاد الغربيون من هذا الإنجاز بعد يأس من معرفة تلك الحضارة في نصوصها الأصلية.

تأتي أهمية هذا الكتاب من أنه يحقق أكثر من فائدة: فمن جهة يذكرنا برحلة اللغة العربية في إنجلترا خاصة، والعالم الغربي بصفة عامة، وهي رحلة ماتعة مثيرة تبدأ في أواخر القرن السادس عشر، حين كان وجود اللغة العربية في إنجلترا ضعيفًا، إلى أواخر القرن السابع عشر حين استقر وجودها في الجامعات والمعاهد الإنجليزية والأوروبية. ومن جهة ثانية يضع الباحث أمام بحر زاخر من الموضوعات التي تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي، وكلها متصلة باللغة العربية وآدابها. ومن جهة ثالثة، يذكرنا بأولئك المستشرقين الذين عشقوا اللغة العربية وآدابها: بِدوِل وسِلدِن ولود وإدوارد بوكوك وغريفز ورافيوس وجون بِلْ وصاموِل كلارك وتوماس هايد وكاستل وكثيرين غيرهم.

يمكننا أن نقول بشيء من الفخر: إن هذا البحث صفحة مشرقة من صفحات اللغة العربية، وفي الوقت نفسه صفحة من صفحات تاريخنا الثقافي والمعرفي، يصور فيها الكاتب عهودًا كان العالم يسعى فيها إلى المعرفة بالعربية وآدابها، حين كانت العربية وسيلة كلِ ساعٍ إلى المعرفة، ومقصد كل محتاجٍ إلى العلوم التي كانت لا تُلتَمس إلى من خلال لغتنا الجميلة.

ISBN 978 - 99906 - 554- 9

إصدارات المجلس متوافرة إلكترونيا على موقعنا :
www.nccal.gov.kw/publications